العدد الثاني عشر - السنة الأولى
جمادى الثانية ١٣٩٨هـ - مايو - يونيو ١٩٧٨م
Issue no. 12 - May - June 1978



مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE



بسم الله الرحمن الرحيم

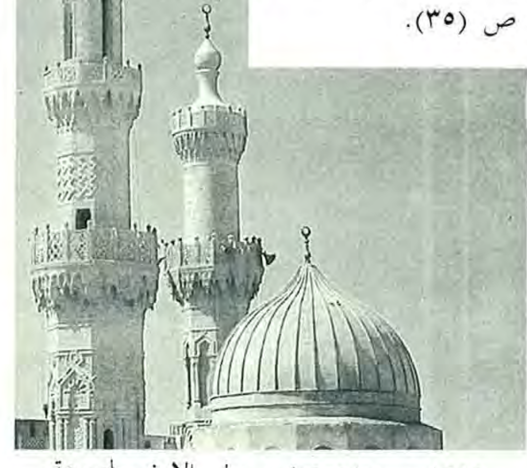
العدد الثاني عشر - السنة الاولى
جمادى الثانية ١٣٩٨هـ - مايو - يونيو ١٩٧٨م

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

هذا العدد

تعد مدينة «القاهرة» واحدة من العواصم العالمية الكبيرة .. تاريخاً .. وحضارةً .. وفكراً وجهها الاسلامي العربي تجسده ألف مئذنة .. وعمرها اكثر من ألف عام ص (٣٥).



الزلازل .. هزات تنتاب سطح الارض لمجموعة من الاسباب .. أحد هذه الاسباب البراكين .. اذن فهناك ارتباط بينهما .. ماذا تعرف عن الزلازل .. والبراكين .. لمحة تاريخية شاملة (ص ٩١).



حين يذكر البحر تتداعى الى الاذهان الاصداف .. والمحار .. والودع .. رحلة مع ودع البحر وصدفه .. في عقائد العرب .. ولغتهم .. وصناعاتهم .. وعاداتهم الشعبية ص (١٢١).



من كتّاب هـذا العـدد



د. مصطفى ماهر

* من مواليد مدينة القاهرة عام ١٩٣٦.

* دكتوراه في فقه اللغة الالمانية .. وآدابها – جامعة كولونيا – المانيا الغربية.

* له مجموعة من الكتب والبحوث باللغتين العربية .. والالمانية.

* يحرر مجلة «ارمنت» الثقافية بالعربية .. والالمانية.

* نقل طائفة من اعمال وآثار المفكرين والأدباء الالمان الى اللغة العربية .. كما نقل بعض الاعمال الادبية العربية الى الالمانية.

* يعمل حالياً استاذاً للآداب الالمانية بكلية الالسن – جامعة عين شمس الى جانب رئاسته لقسم اللغة الالمانية فيها.

طاهر زمخشري

* من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٣٢هـ.

* تلقى تعليمه بمدرسة الفلاح في مكة المكرمة وحصل على شهادتها النهائية عام ١٣٤٩هـ.

* عمل في عدد من الوظائف الحكومية.

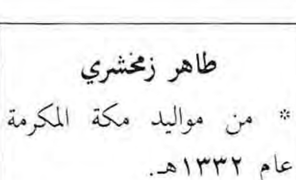
* له عدد من القصص نشرتها الصحف.

* اصدر أول مجلة أطفال في المملكة باسم «الروضة» التي توقفت عن الصدور.

* له عدد كبير من الدواوين المطبوعة.

* درس شعره في أكثر من جامعة منها جامعة القاهرة، جامعة السودان، ومعاهد اليونسكو.

* ترجم شعره الى عدد من اللغات الأجنبية.







كريستوفر شايلد

* من مواليد انجلترا عام ١٩٣٥م.

* خريج جامعة كمبردج – انجلترا (قانون ولغات).

* عمل مستشاراً في العديد من المشاريع التربوية والتعليمية في افريقيا والوطن العربي.. وعلى الأخص مشاريع نشاطات الشباب.

* اذاعي .. وتليفزيوني .. وخبير في التصوير الفوتوغرافي.

* خبير في التعليم والرحلات.

* عضو الجمعية الملكية البريطانية الجيولوجية.

المعَادلة الصّعبَة

بهذا العدد تختتم المجلة عامها الاول .. لتستقبل عاماً جديداً يحمل في اهابه آمالاً عريضة بحجم الدور الذي تتطلع اليه لخدمة الثقافة العربية والاسلامية .. والفكر الانساني الاصيل.

عام مضى بسلبياته .. وايجابياته .. حاولت فيه هذه المجلة ان تكون لكل الناطقين بلغة الضاد .. كما حاولت ان تكون فكراً مفتوحاً على الثقافات الانسانية الجيدة.

اننا لا ندعي ان المجلة قد حققت ما هو مطلوب منها .. كما لا نتصور أن يغمط حقها في انها حاولت تقديم بعض هذا المطلوب.

كان العام الاول «المنصرم» من عمر المجلة عبارة عن «قراءة» لطموحات القارئ .. ورحلة «استكشاف» نتلمس من خلالها اهتماماته .. وتطلعاته .. وكانت رسائله الى المجلة نافذة نطل منها على عالمه الواسع.

ونحن هنا لا نتزلف القول .. وانما نؤمن بان المجلة لم تنشأ من فراغ .. كما أنها لا تصدر في فراغ.

كانت نشأتها استجابة لحاجة ثقافية .. وهي تصدر لاشباع هذه الحاجة .. فاذا كنا قد حققنا شيئاً من هذا فذلك ما كنا نبغي .. أما اذا كان العكس فحسبنا اننا حاولنا .. وسنظل نحاول مستقبلاً بكل صدق وامانة واخلاص لتحقيق ما فاتنا تحقيقه في العام المنصرم.

الهوية .. والخط

اخذت المجلة على عاتقها تجنب الحديث عن نفسها ايماناً منها بأنه حق من حقوق القارئ .. لكننا نرى ونحن نقف على أعتاب عام جديد أن نتوقف قليلاً لتلمس مواقع خطانا بعد رحلة ليست قصيرة من ناحية .. ومراجعة حسابات الامس سلباً .. وايجاباً من ناحية أخرى.

لقد قامت سياسة المجلة منذ صدور أول عدد منها على «الوضوح» الكامل لخطها «الثقافي» وهويتها «الفكرية» ..

وفي تصورنا اننا حافظنا على كل المعاني .. والاهداف التي اوردناها في افتتاحية العدد الاول.

قلنا : يأتي صدور هذه المجلة وجهاً عربياً مشرقاً دائم الصحو كسماء بلاده .. واضح القسمات .. رحب الفكر كصحرائه يسعى لخدمة الثقافة العربية الاسلامية والفكر الانساني .. متجاوزاً كل التقسيمات الجغرافية .. خالياً من أمراض صحافة اليوم .. في عينيه الصدق .. والصفاء .. والوضوح.

هذه هي «هوية المجلة» بكل ما تشتمل عليه من وضوح.

ويأتي خطها الفكري مكملاً لهويتها «مجلة .. منطلقاتها البحث عن الحقيقة المجردة بلا اثارة أو افتعال .. وباسلوب واقعي بلا انفعال او تشنج .. وبروح علمية لا تهويل فيها ولا تجريح.

«مجلة .. تحترم الطرح الموضوعي والعلمي احترامها للعقل البشري الذي كرمته الاديان السماوية.

«مجلة .. عربية الملامح والسمات .. واضحة الافكار والمبادئ .. تلتزم بقيم الخير .. والمحبة التي يدعو اليها ديننا الاسلامي الحنيف بتعاليمه السمحة .. وتشريعاته الانسانية العادلة.

«مجلة .. بيئتها الارض العربية والاسلامية على امتداد مساحتها، وتعدد مواطنها، وما على هذه الارض من مدنية .. وبقايا حضارة باهرة .. وما تحتضنه من تراث انساني رائع.

«مجلة .. تحافظ على تراث الاجيال المنصرمة عن طريق دراسته وتقديمه للجيل الحاضر والاجيال القادمة، في صورة مشرقة .. تحتفي بالثقافة المعاصرة الاصيلة من اجل ايجاد جسور من العلاقات القوية .. والصلات المتينة التي تحرص على ربط تراث الماضي بثقافة الحاضر لصناعة فكر المستقبل.

«مجلة .. تحترم القيم النبيلة .. والافكار البناءة .. تسعى بكل ذلك الى عقل القارئ ووجدانه».

لقد حرصنا في رحلة العام الماضي على تجسيد تلك المعاني .. والاهداف النبيلة من خلال المواضيع التي نشرتها المجلة .. والقضايا التي طرحتها .. والمناقشات التي أثارتها.

فماذا كانت النتيجة؟

أنقسمت آراء القراء الى اقسام أربعة:

** قسم يرى أن «الجرعة التراثية» التي قدمتها المجلة كانت كبيرة جداً بصورة عكست انطباعاً خاصاً لديهم بانها مجلة تراثية.

** وقسم آخر .. طالب بزيادة «الجرعة التراثية» .. والتركيز على هذا الجانب .. رافضاً ما عداه.

** وقسم ثالث .. حمل «هراوته» بحدة في وجه التراث .. واتهمنا بالتحجر .. والتقوقع .. والتخلف .. داعياً الى التركيز على «الجرعة المعاصرة» .. اعتقاداً منه ان الاهتمام بالتراث .. وقضاياه مضيعة للوقت.

** أما القسم الرابع .. فيرى أن سيطرة الرصانة على المجلة جعلت وجهها يبدو متجهماً .. وطالب بقليل من المرح.

المعادلة الصعبة

بقراءة هذه الآراء .. نجد أن كل فريق قد نظر الى المجلة من زاويته الخاصة .. ومن منظور اهتماماته الفكرية. فجاءت رؤيته للمجلة محكومة بنظرته الذاتية البحتة .. وهذا أمر طبعي.

لكن المجلة لا تستطيع الا أن تكون كل هذه الآراء على تباينها .. هذا ما أعلنته .. والتزمت به.

يأتي هذا الموقف من ايمانها بان التراث قضية لها من الاهمية والمكانة ما للقضايا المعاصرة .. وهذا لا يعني أن تغمض عينيها عن عطاءات الفكر المعاصر وقضاياه بشقيه العربي .. والانساني .. فالحاضر امتداد للماضي موصول

بالمستقبل.

ان اهتمامنا بالتراث تأصيل لفكر العصر لصياغة المستقبل الذي ننشده لاجيالنا القادمة.

من هذه المنطلقات حاولت المجلة ان تمسك العصا من وسطها وان تحقق «المعادلة الصعبة» في الجمع بين الاصالة .. والمعاصرة.

قراءة للمجلة

بعد قراءتنا لتلك الآراء نجد انفسنا مطالبين بقراءة محتويات المجلة مقارنة بالاهداف التي رسمت سياستها .. وحددت مسارها .. او خطها الفكري.

لقد حرصت المجلة ان تكون الارض العربية والاسلامية مناخها العام .. ومحور اهتمامها .. من اجل ذلك استقطبت مفكري وعلماء هذه الارض لطرح همومهم .. وقضاياهم .. وافكارهم البناءة على صفحاتها كما مدت جسراً للتعارف بين هؤلاء المفكرين والعلماء من خلال التراجم التي قدمتها عن بعضهم.

ونعترف للتاريخ بمبادراتهم الكريمة رغم حداثة عمر المجلة .. وهذا بريدها يستقبل كل يوم عطاءاتهم الفكرية .. ونتاج اقلامهم .. مما يؤكد أن هذه الارض المعطاء كانت .. وما زالت تنجب الرجال .. والفكر .. والعلم.

وقد سعت هذه المجلة الى ديار هذه الارض الكريمة .. فكان ثمرة هذا السعي تلك الاستطلاعات المصورة التي ركزت على الجانب التاريخي .. والحضاري .. والانساني لبعض المدن العربية والاسلامية .. متجاوزة اسلوب الطرح الصحفي السريع الذي يعتمد على الانطباع .. والمشاهدة.

ولان اللغة العربية هي محور كل نشاط فكري وعلمي للامة العربية والاسلامية فقد كان نصيبها من اهتمام المجلة كبيراً .. من خلال هذا الاهتمام طرحت عدداً من القضايا التي عالجت جوانب مختلفة.

ويأتي اهتمام المجلة بالتراث العربي والاسلامي ظاهرة يلمسها المتتبع لاعداد المجلة بصور .. وأساليب مختلفة.

ولم تكن المجلة محدودة الاهتمامات بحيث تقصر عن مواكبة العصر في الاهتمام بعطاءات العصر علماً .. وفناً .. وأدباً. كما يرى البعض .. فقد قدمت الشعر .. والقصة .. والمسرحية .. كما قدمت عدداً من الدراسات المختلفة لبعض الجوانب العلمية .. والفنية كالمسرح .. والفنون التشكيلية وغيرها.

الى جانب هذا كله كان للادب الانساني العالمي نصيب جيد .. حيث قدمت المجلة عدداً من الكتب التي لم تترجم الى العربية من لغات مختلفة .. كما نشرت تراجم لعدد من القصص والمسرحيات الانسانية.

هذه «قراءة» عاجلة لمحتويات المجلة توضح الدور الذي قامت به المجلة في المحافظة على اهدافها الرئيسية التي اعلنت عنها في اول لقاء لها مع القارئ .. وكيف انها حاولت تحقيق «المعادلة الصعبة» من خلال المحافظة على جانبي الاصالة .. والمعاصرة.

وبمراجعة فهارس السنة الاولى للمجلة التي سوف تنشر في العدد الاول من السنة الثانية يدرك القارئ أبعاد ما نقوله في هذه السطور.

ومن الخدمات التي قدمتها المجلة قيامها باستكتاب عدد من المستشرقين .. والكتاب الغربيين الذين نشرت لهم المجلة دراسات وابحاث علمية وتاريخية كتبت اصلاً للمجلة بناء على تكليف خاص منها.

حديثنا هنا عن المجلة ليس الا محاولة جادة لرسم معالم الطريق .. نعترف بالخطأ في محاولة تجاوزه .. نسمع الرأي المعارض سماعنا للرأي المؤيد .. لا ندعي الكمال .. لان الكمال لله وحده.

رئيس التحرير



بقلم : د. عمر الفاروق السيد رجب

ليست دراسة السكان في «**المملكة العربية السعودية**» يسيرة بأي مقياس، ليس فقط لأسباب تتصل بنقص البيانات والاحصائيات اللازمة.. بل لتضاربها أيضاً في معظم الاحيان وهي صعوبات لا تقتصر على المملكة وحدها، ولكنها ايضا مشكلة الدراسات السكانية في معظم دول المنطقة.. والعالم النامي عامة.. بدرجات وهي – مرة ثانية – ليست نادرة أو متضاربة فقط.. بل تفتقر كذلك الى التفصيلات «**الديموجرافية**» .. والتي لا يجوز أن تخلو منها دراسة متكاملة في جغرافية السكان العامة والخاصة، والحقيقة ان مثل هذه الدراسة.. لم يكن لها ان تتم – رغم ندرة الارقام وتضاربها ونقص التفصيلات – دون توفر بعض الدراسات السكانية المعاصرة للغاية (بعد ١٩٦٠).. والتي اتخذ معظمها طابع التقديرات المعتمدة على وسائل خاصة في اطار برامج التنمية والمشروعات.. متبعة في ذلك مناهج معينة وأساليب احصائية عديدة.. ذات اهداف محددة.. تلبية

جدول (١) توزيع السكان في مناطق المملكة الإدارية، ونسبة التوزيع بين رحل ومستقرين، وعدد المسميات

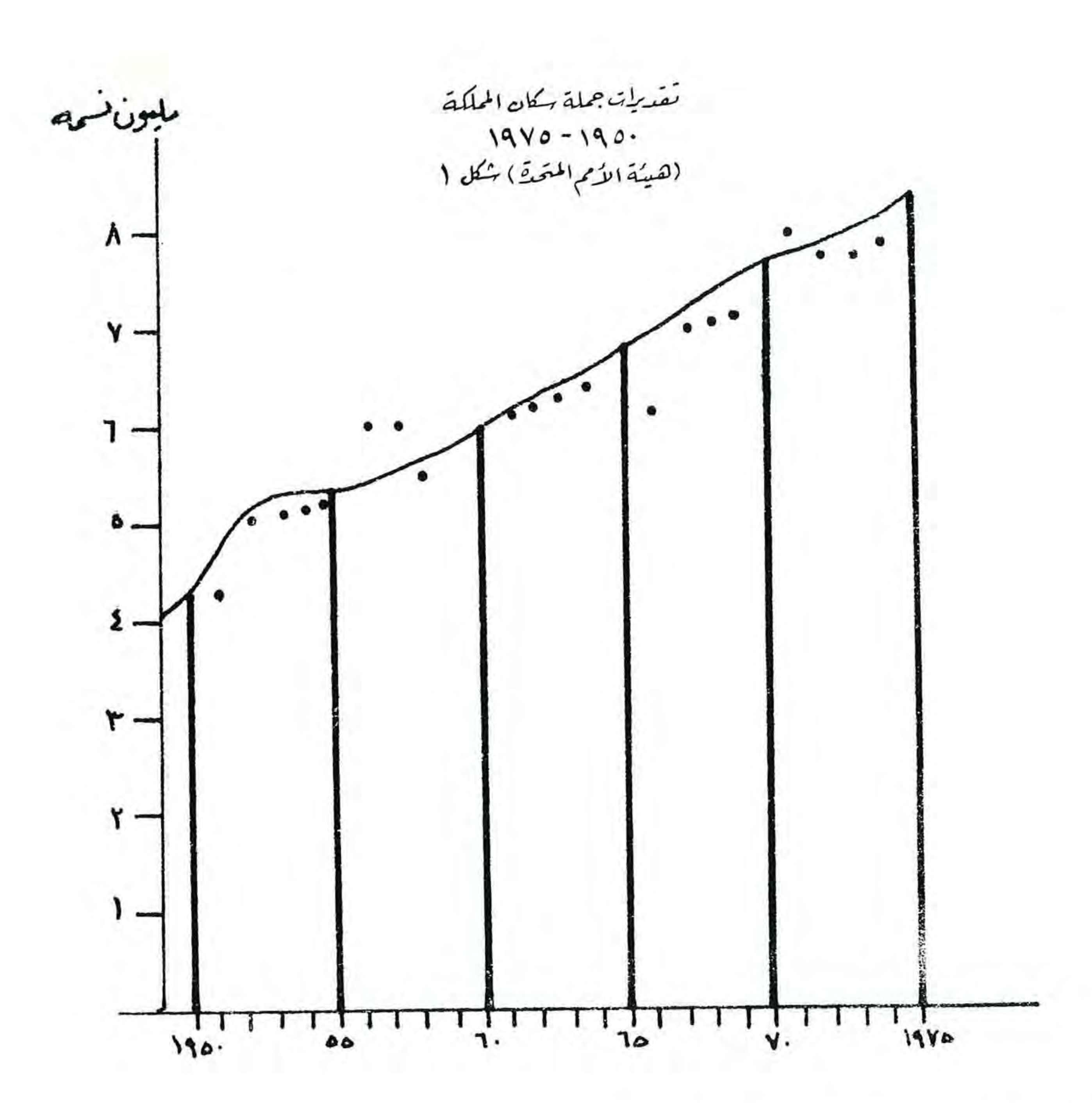
البيان المنطقة	جملة السكان نسمة	نسبة التوزيع %			نسبة سكان المنطقة % إلى جملة السكان	عدد المسميات
		رحل	مستقرين			
			مدن رئيسية	ريف ومدن صغيرة		
الرياض	١٢٧٢٢٧٥	٢٤,٠٩	٥٢,٤١	٢٣,٥٠	١٨,١٤	١٩٩٢
مكة المكرمة	١٧٥٤١٠٨	١٣,٧١	٦٤,٥٨	٢١,٧١	٢٥,٠١	٤٠٨٨
المنطقة الشرقية	٧٦٩٦٤٨	١٠,٣٢	٤٣,١٧	٤٦,٥١	١٠,٩٧	٦٦٧
عسير	٦٨١٣٦١	٣٦,١٧	١١,٧٠	٥٢,٦٣	٩,٧١	٤٥٩٧
المدينة المنورة	٥١٩٢٩٤	٤٥,٦٦	٣٨,١٦	١٦,١٨	٧,٤٠	١٧٤٢
جيزان	٤٠٣١٠٦	٣,٩٦	٨,١٣	٨٧,٩١	٥,٧٤	٤٥٣٧
القصيم	٣١٦٦٤٠	٣١,٩٦	٢٢,٠٨	٤٥,٩٩	٤,٥١	٥٠٩
حائل	٢٥٩٩٢٩	٥٤,٩١	١٥,٥٨	٢٩,٩١	٣,٧٠	٥٤٠
تبوك	١٩٣٧٦٣	٤٥,٦١	٣٨,٦١	١٥,٧٨	٢,٧٦	٤٧٢
الباحة	١٨٥٩٠٥	١٥,٥٥	——	٨٤,٤٥	٢,٦٥	١٢٩٦
نجران	١٤٧٩٧٠	٣٨,١٣	٣٢,٠١	٢٩,٨٦	٢,١١	٢٤٢
الحدود الشمالية	١٢٨٧٤٥	٦٦,٨٦	——	٣٣,١٤	١,٨٣	١٣٠
الجوف	٦٥٤٩٢	٤٧,٩٤	——	٥٢,٠٦	٠,٩٣	٨٥
القريات	٣١٤٠٤	٤١,٣١	——	٥٨,٦٩	٠,٤٤	٩٨
بادية الحدود	٢١٠٠٠	١٠٠,٠٠	——	——	٠,٢٩	——
جملة	٧٠١٢٦٤٢	٢٦,٨٧	——	——	١٠٠	٢٠٩٩٥

ملحوظة: (١) تشمل جملة السكان ٧٣ ألف من السعوديين في الخارج (٤٠و١ ٪ من جملة السكان)
(٢) المدن الرئيسية هي المدن التي يزيد حجمها عن ٣٠ ألف دون مسمياتها.
(٣) المدن الصغيرة .. يقل حجمها وحدها دون مسمياتها عن ٣٠ ألف نسمة وقد تزيد عن ذلك مع مسمياتها.. ولا يوضح التعداد حجمها وحدها.. بل يذكره مع مسمياتها.
(٤) الجدول من إعداد الباحث .. ومصدر الأرقام .. احصاء ١٩٧٤.

لاغراض التخطيط في بعض مناطق المملكة.. هذا بالاضافة الى الاحصاء السكاني **الاول** الذي تم في ١٩٦٣/٦٢.. **والثاني** الذي اجرى في ١٩٧٤/٧٣ ويتميزان أساساً بانهما قد اجريا على مستوى المملكة كلها ومن ثم فقد اتيحت – رغم نقص التفصيلات بهما ايضا – فرصة المقارنة بين مناطق المملكة المختلفة والكشف بذلك عن تباين جوانبها الظاهرة السكانية بين باديتها وريفها وحضرها وتحديد بعض العوامل المؤثرة في حركة هذه الظاهرة وتغيراتها.

أولاً: الاحصائيات السكانية ومصادر الارقام

قبل احصاء السكان العام في المملكة (١٩٦٣/٦٢).. كانت الارقام السكانية الخاصة بها تأتي متناثرة مبثوثة هنا وهناك.. غير موثقة غالباً، ويرتبط تقدير ١٩٣٢ من بينها – بتلك السنة الهامة



في تاريخ المملكة حيث اتضح خلالها – بشكل مبدئي. أبعاد مواردها البترولية وذلك بغض النظر عن بداية الانتاج الفعلي – بمستواه الاقتصادي – والذي بدأ بعد ذلك بنحو خمس سنوات لقد قدر عدد سكانها في هذه السنة (١٩٣٢) ما بين ١.٥ – ٢ مليون نسمة (م١٤ص٢٢٥) يتوزعون بين باديتها وريفها وحضرها. دون تفصيلات واضحة فيما يتصل بهذا التوزيع .. خاصة بالنسبة لمناطقها المختلفة وقد وردت – بعد ذلك – بعض التقديرات المعتمدة على اجتهادات شخصية او مصادر تاريخية او معلومات عامة تقريبية فيما يلي مثال لتقدير منها (١٩٤٤) لا يتضمن أية اشارة لمصادره (م٣. ص١٠٦) الارقام بالالف:

	الحجاز	عسير	نجد	الاحساء	الملحقات	جملة
بدو	٧٠٠	٤٥٠	١.٣٠٠	٢٠٠	٣٥٠	٣.٠٠٠
حضر	٤٠٠	٧٥٠	٨٠٠	١٠٠	١٥٠	٢.٢٠٠
جملة	١.١٠٠	١.٢٠٠	٢.١٠٠	٣٠٠	٥٠٠	٥.٢٠٠

ورغم بساطة التقدير – الا انه يشير الى بعض الحقائق السكانية العامة.. التي كانت شائعة على الاقل **فالحجاز وعسير** يمثلان مركز الثقل السكاني في المملكة اذ يستوعبان – معا – نحو ٤٤.٢٣٪ من جملة سكانها آنذاك – يليهما «**نجد**» باكثر قليلا من ٤٠٪ ولا يتبقى لباقي المناطق مجتمعة سوى نحو ١٦٪ من السكان

وتستوعب «البداوة» نحو ٦٠٪ من سكان الحجاز في باديته اما الحضر منهم فيتركزون في مدنه الدينية «**مكة المكرمة**، **المدينة المنورة**» وتصل نسبة البداوة في «نجد» – اكبر مناطق المملكة مساحة[1] الى ٦٢٪ اما «**الاحساء**» فقد كانت تمر آنذاك بمرحلة متدهورة اقتصادياً وسكانياً.. حيث غزت الرمال والاملاح واحاتها «**الهفوف**، **القطيف**» ونزح سكانها مع تعرض نخيلها للموات.. ولا تقدم هذه الحقائق العامة.. سوى الحد الادنى من المعلومات من احوال السكان في مناطق المملكة.. في ارتباطها بظروفها الطبيعية المسيطرة.

غير انه بداية من **١٩٥٠** بدأت المملكة تظهر في قوائم الاحصائيات السكانية التي تصدرها **الامم المتحدة** (م ١٥ جدول ٤) .. ليست باعتبارات احصائية دقيقة .. وانما كتقديرات تعتمد على مؤشرات خاصة ذات دلالات عديدة لقد قدر عدد سكان المملكة بنحو ٤٫٨٩ مليون نسمة في **١٩٥٠** ووصلت التقديرات بهم في **١٩٥٥** الى نحو **٥٫٣٨** مليون نسمة فالى **٥٫٩٨** مليون نسمة في **١٩٦٠** وفي **١٩٦٥** بلغت بهم التقديرات الى ٦٫٧٥ مليون نسمة ثم الى ٧٫٧٤٠ مليون نسمة في ١٩٧٠ (شكل ١) .. غير ان التعداد الذي أجرته السلطات السعودية في **١٩٧٤** قد عاد بالرقم الى ما يزيد قليلاً عن ٧ مليون نسمة (٧٫٠١٢٫٦٤٢ مليون نسمة على وجه الدقة) وفي تقدير آخر ذكرته مجلة READER'S DIGEST, P628 (**١٩٧٥**) بلغت بهم ٨٫٦٢٧٫٧٠٠ نسمة.

لقد قدرت معدلات الزيادة السكانية العامة خلال المدة المذكورة (١٩٥٠–١٩٧٠) بنحو ١٫٧٪ سنوياً ورغم الاتجاه الحالي الملحوظ نحو **زيادة عدد المواليد وانخفاض معدلات الوفيات** .. وبالتالي ارتفاع نسبة الزيادة الطبيعية .. الا انه حتى عهد قريب .. كانت السعودية تمر بمرحلة ديموجرافية مختلفة الخصائص، متميزة بضعف معدلات الزيادة الطبيعية الناتجة عن ارتفاع معدلات الوفيات بأكثر منها عن نقص معدلات المواليد – حتى ان معدلات الوفيات كانت تقدر بنحو ٢٣٪ (في الألف) وهي عالية بالمقياس العالمي، بل حتى بالمقياس العربي المحلي حيث لم تكن نسبة الوفيات تزيد عن ٢٠٪ (في الألف) الا في **اليمن** بقسميه **وموريتانيا والصومال** غير ان الثابت ان السعودية قد تجاوزت هذه المرحلة الديموجرافية بخصائصها (م **٥** ص **١٥**).

وقد أجري – كما سبقت الاشارة – أول احصاء سكاني عام للمملكة في **١٩٦٣/٦٢** ورغم ان معظم الجداول والأرقام الخاصة بهذا الاحصاء .. لم تنشر بعد اتمامه وحتى الآن فقد اتيح الحصول على بعضها من بحث «**السكان والمؤسسات**» الذي نشر في ابريل **١٩٦٣** (**عن مصلحة الاحصاء – وزارة المالية والاقتصاد الوطني**) ويشتمل على جداول خاصة بتوزيع السكان حسب **النوع** ومجموعات **السن** في المدن الرئيسية وجملة السكان العامة هذا عدا تقرير (غير مطبوع) عن تركيب السكان حسب السن بالنسبة للمملكة كلها.

وقد بلغت جملة سكان المملكة حسب هذا الاحصاء **٣٫٣٠٢** مليون نسمة (**٦٣/٦٢**) ويوضح شكل (**٢**) توزيعهم بين اجزائها وتباين الكثافة السكانية بين مناطقها حيث يمكن تبين مدى **تحكم العوامل الطبيعية في التوزيع الفعلي للسكان** (مظاهر السطح، الامطار، موارد المياه .. وغيرها) فعلى أرضية من الكثافة السكانية العامة (٣ نسمة/كم²) .. تبرز **المنطقة الجنوبية الغربية** بكثافة تصل الى **٢٩** نسمة/كم² باعتبارها أعلى مناطق المملكة كثافة بينما تكاد تخلو الصحراوات الرئيسية الثلاث (**الربع الخالي**، **النفوذ**، **الدهناء**) من السكان .. وتزيد الكثافة السكانية في **الواحات** متخذة نمط التجمعات السكانية التي تفصلها مساحات واسعة خالية من السكان وشبه خالية، وتظهر مراكز السكن في احجام سكانية صغيرة حيث لا يزيد عدد ما يتجاوز منها فئة حجم **٢٠** ألف نسمة + ١١ مركزاً في المملكة (م ١٤ ص ٢٢٧).

ويمكن ملاحظة **عملية التحضر** PROCESS OF URBANISATION السريعة من مقارنة أرقام الحضرية بين ١٩٣٢–١٩٦٢ **فقد تزايدت جملة سكان الحضر من نحو ٣٠٠ ألف نسمة** (تقدير ١٩٣٢) **الى نحو ٨٠٠ ألف نسمة** (احصاء ١٩٦٣/٦٢) **اي بنسبة زيادة قدرها ١٦٦٪** بينما لا تتجاوز نسبة الزيادة السكانية العامة بين التاريخين ٦٥٪ أو ٨٥٪ على أعلى تقدير وخلال هذه الفترة .. حلت «**الرياض**» (+ ١٠٠ ألف نسمة في **١٩٦٢**) محل «**مكة المكرمة**» كأكبر مدن المملكة حجماً كما أصبح الى جانبها خمس مدن أخرى فوق **٥٠** ألف نسمة (**مكة**، **جدة**، **المدينة**، **الطائف**، **الهفوف**) ولم يكن هناك سوى مدينة واحدة من هذه الفئة الأخيرة – تقديراً – في **١٩٣٢** هي «مكة» ولعل من أهم ما يمكن ملاحظته في هذا المجال .. هو تغير التوجيه الجغرافي الايكولوجي القديم المرتبط بالمياه والمرعى .. باعتبارها أهم العوامل المؤثرة في توزيع السكان وتحركاتهم .. الى ايكولوجية جديدة عميقة الأثر .. قوامها **البترول ومراكز انتاجه** وقد تداخل هذا العامل الأخير (**البترول**) .. بحيث يكاد ان يكون قد اعاد تشكيل خريطة المملكة السكانية حيث ظهرت تجمعات سكانية كثيفة نسبياً مرتبطة بمناطق انتاج البترول مباشرة وبموانيه كما برزت تجمعات أخرى مرتبطة بتداعياته الاقتصادية

خارج مناطق انتاجه خاصة تلك المجموعة من المراكز الحضرية التي توزعت على طول الطرق البرية الحديثة والتي نمت مع انتعاش اسواقها وتلك المجموعة الأخرى التي ظهرت كمراكز للخدمة الحضرية في مناطق البادية والريف فضلاً عن نمو المدن القديمة نمواً ملحوظاً بمعدلات عالية بحكم استثمارها – قبل غيرها – لمعطيات **الواقع الاقتصادي** الجديد واتجاه تيارات النزوح اليها. ايضاً – بعد ان كانت تتجه في البداية الى مناطق انتاج البترول وموانيه ومدنه مباشرة.

غير انه نظراً لعدم نشر جداول احصاء **١٩٦٣/٦٢** بشكل رسمي فقد ظهرت بين هذه السنة وحتى اجراء احصاء **١٩٧٤** مجموعة من التقديرات السكانية المتعددة المصادر سواء ضمن تقارير الامم المتحدة أو في بعض الدراسات الخاصة من مناطق معينة في المملكة وقد اعتمدت بعض هذه التقديرات السكانية على المصادر الآتية:

١ مصلحة الاحصاءات العامة:

قامت مصلحة الاحصاءات العامة بتعديل النتائج الاحصائية التي تمت على مستوى المناطق في احصاء **٦٣/٦٢** مع وضع بعض المقاييس الاعتبارية لمعدلات **الزيادة الطبيعية** NATURAL INCREASE **والهجرة** MIGRATION قبل هذا التاريخ وبعده والثابت أن نسبة هامة من هذه التقديرات قد تمت باعتبارات غير احصائية تماماً حيث تخلو هذه المناطق من أي سجلات للمواليد والوفيات والاحصائيات الحيوية VITAL STATISTICS عامة كما تخلو من الأرقام والبيانات الدقيقة عن تدفق الهجرة (خاصة الداخلية) وتياراتها واتجاهاتها.

٢ أعمال مسح المصادر المائية:

قامت بها مجموعة من الشركات الاستشارية (أهمها **سوغريا، ايتالوكونسالت، بارستربيزل**) لحساب **وزارة الزراعة** في عامي **٦٧–١٩٦٨** وقد اعطت هذه الشركات تقديرات عامة لسكان المناطق التي تقوم باعمال المسح فيها غير انها – في معظمها – تتناقض مع تقديرات مصلحة الاحصاءات العامة وذلك لاختلاف المعايير والأهداف ومستويات التقدير وتفصيلاته فضلاً عن ان هذه الشركات لا تشير لمصادرها .. ولا الى الطرق التي اتبعتها بالنسبة لتقديراتها .. أي أنها غير موثقة احصائياً وقائمة على أساس التقدير الشخصي المعتمد على دراسة لعينات سكانية غير ممثلة غالباً.

٣ أعمال مسح شبكة الطرق الريفية:

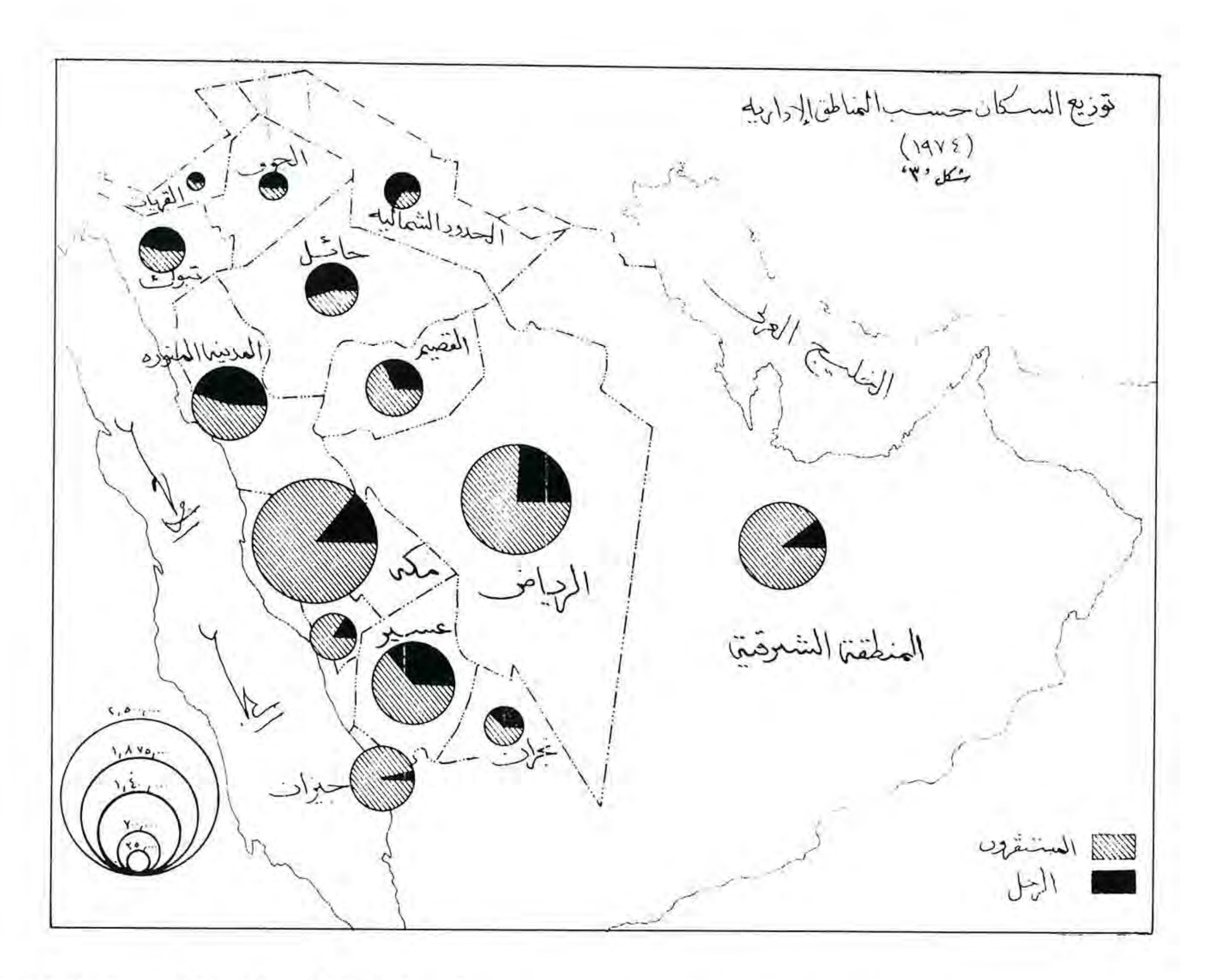
قدمت بعض الشركات العاملة في هذا المجال (من أهمها **ايتالوكونسالت ويلسون دورو**..) تقديرات تفوق في دقتها – خاصة بعد **١٩٦٥** ما قدمته شركات مسح مصادر المياه حيث اعتمدت – أحياناً – على الاحصاء الفعلي لسكان القرى ومراكز السكن في مناطق عملها.

وبغض النظر عن أرقام مثل هذه التقديرات والمصادر المتضاربة والغير موثقة احصائياً في أغلبها يرد احصاء **١٩٧٤** متميزاً بشموله لجميع مناطق المملكة وتبدو الصلة بين أرقامه وما سبقها ضعيفة حيث أدى تعددها الى افتقاد الاستمرارية بينها جميعاً، وبالتالي لم يعد ممكناً – الا بشكل عام للغاية – اجراء نوع من المقارنة بين جداوله باعتبارها تمثل الوضع السكاني للفترة الراهنة .. بالفترات السابقة التي تكاد تخلو من الأرقام الموثقة كما سبقت الاشارة.

ورغم ان هذا الاحصاء الثاني لسكان المملكة **١٩٧٤** لا يتعدى ما نشر عنه حتى الآن حصراً لمسميات المملكة السكانية .. وتقسيماً لسكانها بين **مستقرين ورحل** .. فهو – بلا شك – يقدم للمرة الأولى بيانات تفصيلية لم تكن متوافرة من قبل بأي درجة وتتضاعف أهميته باعتبار ان ارقامه تقدم خلاصة لجملة التغيرات السكانية التي أخذت طريقها الى المملكة من **اكتشاف البترول** وتدفق موارده، وهي تغيرات تتمثل مباشرة في اعادة توزيع السكان بين مناطق المملكة وفي نمو مراكزها الحضرية وفي بزوغ عدد آخر متزايد منها وفي تناقص نسبة البداوة بها نتيجة تيارات النزوح السكاني من البادية الى المراكز الحضرية القديمة منها والبازغة الى غير ذلك من النتائج الهامة التي اعادت بالفعل تشكيل الخريطة السكانية للمملكة.

ثانياً: خصائص الخريطة السكانية المعاصرة (١٩٧٤) في المملكة

أبرز احصاء **١٩٧٤** السكاني مجموعة من الخصائص العامة والخاصة المتصلة بتوزيع تجمعاتها السكانية وبصفة عامة .. **فالمملكة تتميز بقلة عدد سكانها** (٧ر٠١٢ر٦٤٢ر٧ مليون نسمة) **وذلك بالقياس الى مساحتها ٢٤٠ر٢** مليون كم٢ وهو أكثر الأرقام ترددا عن مساحتها في التقارير الرسمية وهي **شبه قارة واسعة** .. يسكنها عدد قليل من السكان .. بمتوسط كثافة عامة (٣ر١٣ نسمة/كم٢) وذلك بحكم مجموعة من العوامل الطبيعية .. تتصل أساساً بصحراويتها **والثابت ان الخصائص العامة لتوزيع السكان بها لم تتعرض لتغيرات جوهرية .. الا حديثاً لقد ظلت تجمعات السكان بها تتخذ تشكيلات مرتبطة بظروفها الصحراوية ومواردها المائية وامكانياتها الاقتصادية المحدودة بالاضافة الى بعض مراكزها الحضرية المتميزة بفضل وظيفتها الدينية السامقة.** وكانت



الصورة العامة لها – حتى قبل ربع قرن فقط لا تعدو ان تكون تجمعات سكانية – ثابتة أو شبه ثابتة أو متحركة – مرتبطة أشد الارتباط بموارد المياه (الآبار، عيون، ينابيع، أمطار) أو منتظمة على طول محاور خطوط طبيعية لها جاذبيتها الاقتصادية أو كبقع زراعية واحية – حيث تتوافر عواملها تفصلها مناطق خالية من السكان أو شبه خالية.

أ – توزيع سكان المملكة بين مناطقها (١٩٧٤)

حسب التقسيم الاداري[٦] الوارد بهذا الاحصاء .. فان جملة المسميات السكانية في المملكة قد بلغت ٢٠٩٩٥ تسمية وهذه – التسميات – تشمل (**المدن والقرى والهجر والمزارع وموارد المياه وأماكن تجمع البادية**..) أي انها تشمل كل نقطة مسكونة كبيرة أو صغيرة وقد توزعت هذه المسميات بين عدد من التجمعات السكانية الأكبر تحت اسم «**الامارات والامارات التابعة**» وجملتها ٥٦١ تجمعاً، وهي تمثل نوعاً من الامارات الادارية الوسيطة INTERMEDIATE ADMINISTRATIVE UNITS تندرج تحت التنظيم الإداري العام لمناطق الدولة وقد توزعت هذه التجمعات بدورها بين مناطق المملكة الادارية الرئيسية (١٤ منطقة) ويلحظ تفاوت كثافة هذه المسميات والتجمعات بين هذه المناطق الادارية .. جملة الخصائص المتصلة بخريطة توزيع السكان بها وكذلك عواملها المؤثرة .. فضلاً عن اشارته لانماط هذا التوزع وسماته الجغرافية والاقليمية ويحدد جدول (١) صورة هذا التوزع .. كما يوضحها شكل (٣) ومنها يمكن تبين صورة التوزيع كما يلي:

المنطقة الشرقية

وجملة سكانها ٧٦٩٦٤٨ نسمة أي بنسبة ١٠٪ تقريباً من جملة السكان، بينما لا تزيد جملة مسمياتها عن ٦٦٧ تسمية أي بنسبة نحو ٣ر٢٪ فقط من جملتها العامة وهذا يعكس – بالقياس للمملكة ككل – الاتجاه نحو التجمع في مراكز سكنية كبيرة نسبياً ويصل متوسط حجم التسمية السكانية في هذه المنطقة الى ١١٥٣ نسمة بينما هي لا تزيد في متوسطها العام للمملكة عن

٣٣٥ نسمة لكل تسمية ويبرز من بين هذه المراكز السكنية مجموعة من المراكز الحضرية على مسافات قريبة من الخليج ٢٠ مرتبطة أساساً بالبترول كانتاج وتكرير وتصدير وتمثل **الدمام** قمة هذه المجموعة بفئة حجمية + ١٠٠ ألف نسمة يليها مدينتا **الهفوف والمبرز** على الترتيب في فئة حجم بين ٥٠-١٠٠ ألف نسمة وتتميز المدن الثلاث بقلة عدد الرحل بين سكانها حيث لا يتجاوزون بضعة عشرات من الأنفس في **ابها** كما ان هذه هي احجامها الحقيقية بدون مسمياتها التي تتبعها وبعدها تأتي «الخبر، الثقبة، ابقيق، سيهات، صفوى، رحيمة، الظهران» وجميعها مرد احجامها مشتملة على مسمياتها .. بحيث يصعب ترتيبها حسب احجامها الحقيقية ولكنها عامة تقع في فئة بين ١٥-٥٠ ألف نسمة والحقيقة ان المنطقة باكملها تتميز بنقص نسبة البداوة العامة بها نسبياً فهي لا تزيد عن ١٢٪ بينما هي تصل في المملكة ككل الى نحو ٢٧٪ من جملة سكانها.

المنطقة الوسطى

وتمثل عامة وسطاً طبيعياً متجانساً .. وان انقسمت ادارياً الى منطقتين (**الرياض، القصيم**) وجملة سكانها معاً ١،٥٨٨،٩١٥ نسمة بنسبة حوالي ٢٢،٥٪ من جملة السكان وجملة التسميات العمرانية بها ٢٥٠١ تسمية .. بنسبة نحو ٢٢٪ من جملتها العامة ويبلغ متوسط عدد سكان التسمية ٦٣٥ نسمة فهي أكبر ايضاً من متوسطها العام في المملكة وتصل نسبة البداوة في هذه المنطقة الى نحو ٢٦٪ أي انها مقاربة لمتوسطها العام غير انه اذا استثنيت مدينة «الرياض» بحجمها البالغ (٦٦٦٨٤٠ نسمة) معظمهم من المستقرين .. فان نسبة البداوة ترتفع بين سكان المنطقة الى نحو ٥٠٪ وتبرز مدينة «الرياض» بهذا الحجم الاستثنائي بين المراكز الحضرية في المنطقة .. وهو حجم منفرد يؤكد معناه .. انها وحدها تستوعب اكثر من ٥٠٪ من سكان منطقة الرياض ونحو ٤٢٪ من جملة سكان المنطقتين «نجد» وتأتي «بريدة» عاصمة القصيم بعدها مباشرة من ناحية الحجم والنسبة بينها وبين الرياض من هذه الناحية ١ : ١٤ وبعدهما لا يكاد يظهر في الخريطة كمركز سكني متميز سوى «عنيزة» (٣٣٨٦٤ نسمة) مع مسمياتها.

المنطقة الشمالية

وهذه تتوزع بين خمسة وحدات ادارية تبلغ جملة سكانها ٦٧٩٣٣٥ نسمة بنسبة ٩،٧٪ من جملة سكان المملكة ويتوزع بها ١٣٢٥ تسمية سكانية (٦،٣٪ من جملتها العامة) وبذلك فان متوسط عدد سكان التسمية ٥١٣ نسمة وترتفع بين مناطقها بنسبة البداوة العامة الى نحو ٥٣٪ وبالنسبة لمحور المدن الشمالية فهي لا تشمل سوى مدينتي «**تبوك**» (٧٤٨٢٥ نسمة) و«**حائل**» (٤٠٥٠٢ نسمة) بحجم متميز ثم «**الجوف، القريات، عرعر**» باعتبارها عواصم ادارية حيث ان احجامها الثلاثة تحت فئة أقل من ٢٥ ألف نسمة ولا يمكن اعتبار هذه المنطقة الا كاستمرار للمنطقة الوسطى في جملة خصائصها السكانية والسكنية مع وضوح الخصائص الصحراوية بشكل أشد.

المنطقة الغربية

وتتوزع بين ست مناطق ادارية (**مكة المكرمة، عسير، المدينة المنورة، جيزان، الباحة، نجران**) وتصل نسبة ما تستوعبه من السكان الى ٥٢،٥٪ (٣،٦٩١،٧٤٤ نسمة) وتصل نسبة ما بها من تسميات عمرانية الى ٧٨،٥٪ من جملتها العامة اما نسبة البداوة بين سكانها فهي نحو ٢٢،٤٪ وهي تشمل مجموعة هامة من المدن المرتبطة في توزيعها **سلسلة الحجاز وسهل تهامة وساحل البحر الأحمر** تمثل ما يشبه محوراً يمتد من **نجران**» جنوباً الى «**المدينة المنورة**» شمالاً مروراً بمدن «**جيزان، خميس مشيط، ابها، جدة، مكة، الطائف**» ويمكن ان نضم اليه «**الباحة**» بحكم الوظيفة الادارية .. وكذلك «تبوك» باعتبارها تمثل نقطة التقاء هذا المحور المدني الغربي بمحور المدن الشمالي السابق تحديده وهنا **تجدر الاشارة .. الى ان توزيع المدن ليس عشوائياً أو بالصدفة أو بلا دلالة فالمدن لا تظهر من تلقاء نفسها ولا تنمو بذاتها وغالباً .. فان محاور توزيعها والخطوط التي تنتظمها .. انما تمثل رد فعل حضارياً لمجموعة من العوامل الطبيعية الاقتصادية المؤثرة** وهي تلخص الكثير من الحقائق الاقليمية وتمثل صورة توزعها خلاصة لمعظم العوامل المؤثرة في المكان (م ٩ ص ٩٦) ولا شك ان وجود مثل هذا الخط المدني باحجامه المتميزة يعكس وضعاً عمرانياً خاصاً لهذه المنطقة فهو من ناحية يعبر عن **ثقلها السكاني** بالنسبة لبقية مناطق المملكة وهو من ناحية أخرى .. يكاد يتفق مع **خط التجارة القديم بين الشام واليمن** ومعظم مدنه الحالية كانت تتوزع كمحطات وأسواق متفاوتة الأهمية على طوله دليلاً على عمرانها القديم .. وعلى توافق توجيهها الجغرافي التاريخي والمعاصر.

والواقع ان صورة التوزع السكاني الحالية هذه تختلف كثيراً عما كانت عليه وقد مرت بعدة مراحل حتى وصلت الى ما هي عليه بعد البترول **في البداية .. اجتذبت (المنطقة الشرقية) تيارات**

النزوح من الداخل والخارج بحيث وصلت - بعد نحو ثلاثة عقود من السنين - الى درجة من الامتلاء وازنت به الثقل التاريخي السكاني «للمنطقة الغربية» الى حد ما وكان هذا الامتلاء على حساب سكان البادية والريف في شتى مناطق المملكة وتغيرت خريطة التوزيع .. بحيث أصبح هناك أربع مناطق رئيسية للتجمعات السكانية في المملكة تتمثل في الحجاز (جدة، مكة، المدينة) وفي ريف «عسير وجيزان» وفي الرياض والقصيم ثم في المراكز الحضرية (بالمنطقة الشرقية) وقد أدت - بعد ذلك - تداعيات البترول وتراكم موارده وانتقالها الى خارج مناطق انتاجه .. الى الحد من تيارات نحو المنطقة الشرقية وبدأت مراكز الخدمة الحضرية النامية والأخرى البازغة في استقطاب هذه التيارات محلياً أي ان مدى النزوح قد قصرت مسافاته نسبياً ولم يعد محتماً الاتجاه نحو مناطق البترول للاستفادة من مزاياه وبعد ان انتقلت هذه - المزايا - الى بقية اجزاء الدولة على شكل مواصلات وخدمات ومشروعات تنمية وأموال سائلة.

البداوة والاستقرار

يقدم حصر السكان ١٩٧٤ تقسيماً وحيداً لهم بين «**مستقرين ورحل**» فهذا هو التصنيف الوحيد لهم في جداوله المنشورة - حتى الآن - عن مناطق المملكة وحسب ارقامها - تصل نسبة البداوة العامة بها ككل الى ٢٦٫٨٧٪ ولم تكن تقديرات نسبة البداوة - حتى عهد قريب - تقل بها في المملكة عن ٦٥٪ من جملة سكانها بل ان تقديرات الامم المتحدة وصلت بها الى ما بين ٨٥-٩٠٪ من جملة السكان حتى ١٩٧٠ (م ١٦ ص ٦٠٥) ووضعتها في فئة واحدة مع **السودان واليمن - موريتانيا** وتقدم الأرقام الأولية لاحصاء ١٩٧٤ أول تفصيلات رقمية متاحة عن توزع البدو بها وبين مناطقها وهي تعكس أيضاً جملة التغيرات التي طرأت على هذه الظاهرة - ان صحت التسمية والتي استمرت قروناً تمثل الظل الأساسي لتجمعاتها السكانية ثم تعرضت منذ نحو ربع قرن فقط لعوامل تكاد ان تضع نقطة الختام لتاريخها الممتد وربما تكون نسبة البداوة الحالية هذه في المملكة (٢٦٫٨٧٪ من جملة سكانها ١٩٧٤) في حد ذاتها .. من أهم نتائج التغيرات السكانية المعاصرة بعد البترول لقد بهت الظل الأساسي لتوزع سكانها ومايزال وبرزت ظلال أخرى - حضرية غالباً - وماتزال .. وتشير نفس الأرقام الى تفاوت هذه النسبة بين مناطق المملكة تفاوتاً له دلالته .. فهي - نسبة البداوة - تصل الى اعلاها في منطقة الحدود الشمالية (٦٦٫٨٦٪ من جملة سكانها) وتتراوح بين ٤٠-٦٠٪ في مناطق حائل (٥٤٫٩١٪) الجوف (٤٧٫٩٤٪) والمدينة المنورة (٤٥٫٦٦٪) وتبوك (٤٥٫٦١٪) والقريات (٤١٫٣١٪) وتقل الى ما بين ٢٠-٤٠٪ في مناطق نجران (٣٨٫١٣٪)، عسير (٣٦٫١٧٪)، القصيم (٣١٫٩٦٪)، الرياض (٢٤٫٠٩٪) ثم تتناقص الى اقل من ٢٠٪ في مناطق الباحة (١٥٫٥٥٪)، مكة المكرمة (١٣٫٧١٪)، المنطقة الشرقية (١٠٫٣٢٪) وتوضح الأرقام بصفة عامة اتجاه نسبة البداوة للزيادة في المناطق الشمالية[7] وللتناقص التدريجي فوق هضبة نجد والأجزاء الشمالية من الحجاز حتى محور مكة / جدة ويحل محل ظلها البارز لون من الحضرية المتميزة في المنطقتين الشرقية (حيث البترول) والغربية (جدة، مكة، الطائف، المدينة المنورة) ولون آخر من الريفية الراسخة جنوبي الطائف .. وعلى طول السراة في الباحة وعسير ونجران وهكذا تبدو البداوة في المملكة كظاهرة حضارية اجتماعية كانت سائدة بها الى عهد قريب ثم انحسر ظلها بدرجات في مناطقها لتحل محلها الوان جديدة معاصرة من الظواهر السكانية .. او لتبرز نتيجة انحسارها الوان أخرى قديمة منها.

وقد صحبت هذه التغيرات تطورات هامة .. خاصة من الناحية الاقتصادية فقد تطورت الأشكال الانتاجية التقليدية من الزراعة المعيشية الى مشروعات الزراعة الكبيرة ومن حركة الرعي البسيطة الى مزارع التربية المختلطة ومن مدن بالأسواق الموسمية والأسبوعية الى مدن اقتصاديات البيوت التجارية ووكالات الخدمات غير ان جملة هذه التغيرات لا تعني انتهاء أشكال الاقتصاد التاريخية فمايزال التداخل مستمراً بين الأشكال التقليدية والمعاصرة في كثير من المناطق والمجالات ولكن الاتجاه العام هو نحو التقدم والتطور.

جـ - تصنيف التجمعات السكانية حسب الحجم ١٩٧٤

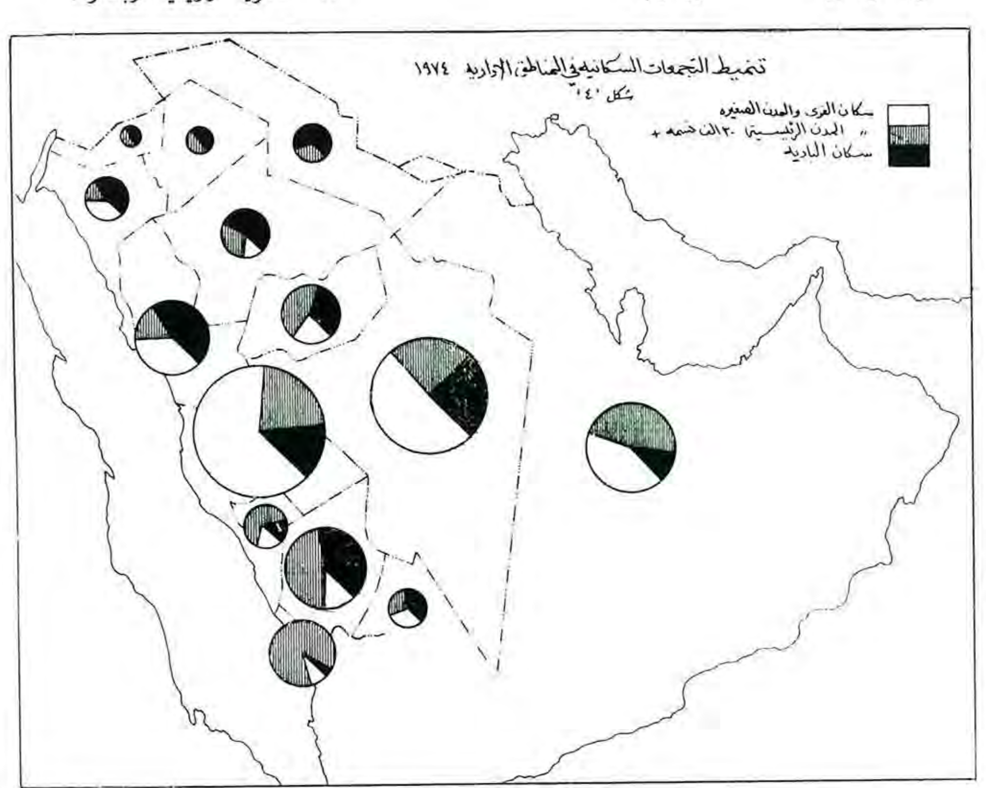
باستثناء المدن الرئيسية في المملكة (٣٠ ألف نسمة وجملتها ١٦ مدينة تتراوح أحجام بقية مراكزها السكنية بين أقل من ٥٠٠ نسمة وأقل من ٣٠ ألف نسمة وذلك باعتبار احجامها السكانية الفعلية أي دون توابعها ومسمياتها (جداول م ٧) وتبلغ جملة سكان مدنها الرئيسية هذه (جدول ٩) ٢٦٧٥٣٥٦ نسمة أي انها تستوعب وحدها نحو ٣٨٫١٥٪ من جملة سكان المملكة **وهو ما يؤكد الاتجاه السكاني المعاصر نحو سكنى المراكز الحضرية التي تتزايد احجامها.**

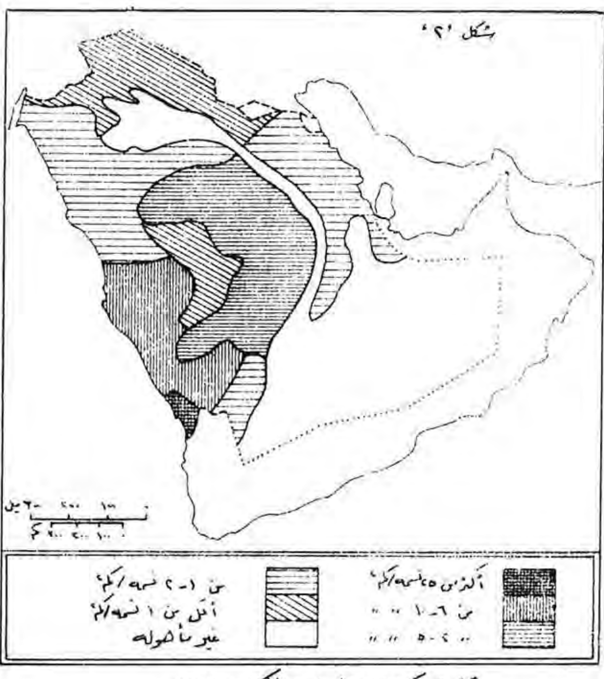
وبدراسة جدول (٣) وشكل (٤) يتضح ان التجمعات السكانية الصغيرة من فئة حجم أقل من ٥٠٠٠ نسمة تمثل نمط

التجمعات السائد في المملكة ورغم قلة ما تستوعبه من سكان بالقياس الى جملة سكان الدولة (١٢٫٦٣٪) الا انها الأوسع انتشاراً وربما كانت تستوعب في الماضي القريب نسبة أكبر مما تقدمه أرقامها الحالية وهي – عامة – تمثل نمط التبعثر السكاني المرتبط بخصائص البيئة الصحراوية عامة وهي تتوزع – بشكل خاص – في بوادي مناطق الدولة المختلفة فهي **تجمعات رعوية** أساساً – لا يبرز من بينها مراكز حضرية متميزة اما بالنسبة للتجمعات السكانية المتوسطة الحجم (٥٠٠٠–١٥ ألف نسمة) فهي التي تستوعب النسبة الكبرى من سكان المملكة (باستثناء مدنها الرئيسية) وان كانت أقل انتشاراً من حيث التوزيع من التجمعات الأصغر كما ان فئة حجم ٥–١٠ ألف نسمة على وجه الخصوص تمثل من بينها أكثر فئات الحجم تكراراً بين التجمعات السكانية على مستوى المملكة (١٠٩ تجمعاً .. بنسبة ١٩٫٥٪ من جملة التجمعات العامة) ويبرز من بينها بعض المراكز الحضرية .. تلك التي استثمرت معطيات الواقع الاقتصادي الجديد بعد البترول (**المواصلات، التجارة، الخدمات الحضرية .. وغيرها**) .. اما التجمعات الكبيرة (١٥ ألف نسمة +) فهي أقل عدداً وانتشاراً على مستوى المملكة (٦٨ تجمعاً) غير انها تستوعب نسبة قدرها ٢٧٫٥٧٪ من جملة سكانها فهي تلي المدن الرئيسية بها مباشرة من حيث نسبة التوزيع السكاني ويبرز من بينها عدد كبير من مراكز الخدمة الحضرية في ريف المملكة وباديتها.

خاتمــة

لا شك ان الخريطة السكانية المعاصرة للمملكة تعكس – بدرجات متفاوتة – جملة التغيرات الحضارية المتداعية عن البترول، لقد تغيرت خصائص التوزع السكاني من التبعثر المرتبط بحرفة الرعي وبعض المراكز الحضرية والريفية المتباعدة .. الى درجة من التجمع المرتبط بالمراكز الحضرية القديم والبازغة وهذا الاتجاه المعاصر نحو التركيز السكاني الشديد .. بعد استمرار – بشكل ما – ولكن بمقياس أكبر لصورة التوزع السكاني القديم، فهذه الصورة القديمة تتلخص في صيغة قوامها «**التركز والتبعثر**» **التركز في بعض المدن والقرى .. والتبعثر في البادية** وتشير اتجاهات التوزع الحالية .. الى تغير هذه الصيغة نحو «**التركز الشديد والتفريغ**» .. **التركز الشديد في بعض المدن الرئيسية والمراكز الحضرية الحديثة، وذلك على حساب تفريغ البادية ثم الريف من سكانها** وتتضح هذه الظاهرة في تضخم حجم هذه المدن والمراكز بحيث أصبحت تستوعب ما لا يقل عن ٥٠٪ من جملة السكان وفي تناقص نسبة سكان البادية الى نحو ٢٥٪ فقط واصبحت نسبة الريفية نحو ٢٥٪ ايضاً وتنمطت الى حد ما مناطق المملكة حيث تزيد نسبة الحضرية – عن متوسطها – في المنطقتين الشرقية والغربية وتمثل المنطقة الشمالية ظل البداوة الأساسي بينما تصل نسبة الريفية الى أعلاها في المنطقة الجنوبية اما المنطقة الوسطى (الرياض، القصيم) فهي تمثل الوسط الحالي في المملكة .. حضرية وريفية وبداوة.





توزيع الكثافة السكانية في المملكة ٦٢/١٩٦٣

الهوامش

(١) تبلغ مساحتها ٨٠ر مليون كم٢ تقريباً اما مساحة المملكة فتتراوح تقديراتها بين ٢-٢,٥ مليون كم٢ وهي بذلك تشغل ما بين ٨٢٪ والى ٨٧٪ من جملة مساحة شبه الجزيرة العربية.

(٢) يذكر د. عبدالهادي طاهر في كتابه «استراتيجيات التنمية والبترول في المملكة العربية السعودية ١٩٧٠» ان (.. عدد سكان المملكة يقدرون بنحو ٦ مليون نسمة) ص ٦٦.

(٣) هناك تقدير لهم في ١٩٥٢ بنحو ٧ مليون نسمة وهو تقريباً نفس الرقم الذي اسفر عنه احصاء ١٩٧٤.

(٤) أجرى في شعبان ١٣٩٤-١٩٧٤ وتشير مقدمته الى كونه تعداداً شاملاً للسكان والمساكن بالمملكة والى امكانية توافر البيانات (لم تصدر بعد) عن تركيب وخصائص السكان بها وعن معدلات الاسهام الاقتصادي الاقليمي عن تكوين العمالة فضلاً عن جداول الهجرة .. وغير ذلك (م ٧ ص ٣).

(٥) تخلو مناطق واسعة في المملكة من السكان مثل منطقة الربع الخالي (مليون كم٢) ولكنها ليست أقل دول العالم العربي كثافة (مساحته الكلية ٢ر١١ مليون كم٢ وجملة سكانه ١٣٤ مليون نسمة ١٩٧٢ بل ان كثافتها اعلى من السودان وليبيا والجزائر وعمان وقطر) (م ١٦ ص ٦٠٥).

(٦) صدر قرار بتقسيم المملكة الى مناطق ادارية في ١٣٨٣-١٩٦٣ (مرسوم رقم ١٢) وبه انقسمت الى مناطق فامارات وامارات تابعة على أساس العامل الجغرافي وعدد السكان وظروف البيئة ووسائل المواصلات (م ٦ ص ٢٣٦).

(٧) هناك نحو ٢١٠ آلاف من البدو.. يصنفون تحت «بادية على الحدود» ونسبة البداوة بينهم ١٠٠٪ (م ٧ ص ٣).

المصادر

١ جمال حمدان «المدينة العربية» من مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٦٤.

٢ عزة النص «احوال السكان في العالم العربي»، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٥٥.

٣ عمر رضا كحالة «جغرافية شبه جزيرة العرب»، دمشق، مطبعة الترقي ١٩٤٥.

٤ محمد ابراهيم حسن «سكان الوطن العربي»، معهد البحوث والدراسات العربية، الاسكندرية ١٩٦٥.

٥ محمد صبحي عبدالحكيم «الموقف السكاني في الوطن العربي»، مجلة الشرق الأوسط، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، العدد الثاني ١٩٧٥.

التقارير

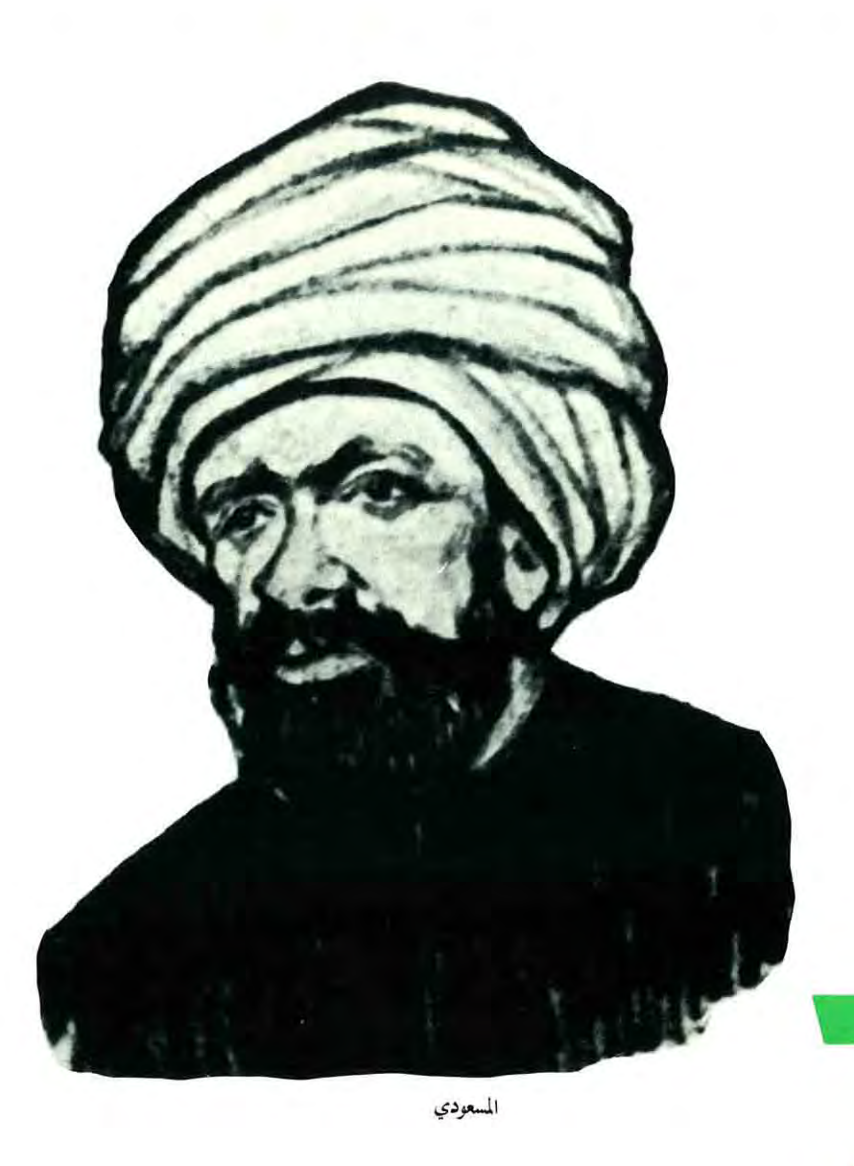
٦ الموسوعة الحديثة للمملكة العربية السعودية، الدار العربية للموسوعات، القاهرة ١٣٩٢-١٩٧٢.

٧ وزارة المالية والاقتصاد الوطني، النتائج الأولية لتعداد السكان والمساكن للمملكة العربية السعودية ١٣٩٤-١٩٧٤.

المراجع الأجنبية

8 AWAD, N. 'Settlement of Nomadic and Semi-nomadic Tribal groups in Middle East', Cairo, 1959.
9 BREEZE, G. 'Urbanisation in Newly Developing Countries', U.S.A., 1966.
10 HOLLER, J. E. 'Population Growth and Social Change in the Middle East', Washington, 1964.
11 LIPSKY, G. 'Saudi Arabia; Its People, Its Culture,, New Haven, 1959.
12 LOUIS E. SWEET, 'Peoples and Cultures in the Middle East' (ed) 2, Vol., New York, 1969.
13 PAUL R. EHRLISH (and others), 'Human Ecology . . . Problems and Solutions', San Francisco, 1973.
14 Mc-GEORGE, 'Saudi Arabia . . . Population and the Making of Modern State' in 'Population of the Middle East and North Africa' ed. by 'Fisher, Clarke', London, 1973, pp. 220-241.
15 U.N. DEMOGRAPHIC YEAR BOOK, 1960-1976.
16 U.N. THE INTERNATIONAL YEARBOOK AND STATESMEN'S WHO IS WHO, LONDON, 1960-1976.

مصادر التاريخ للعربية الجاهلية



المسعودي

بقلم: د. سعيد اسماعيل علي

يعتمد الباحث على عدة مصادر يستقي منها كافة المعلومات المتوافرة عن أحوال العرب في العصر الجاهلي، من هذه المصادر:

(١) الكتب المقدسة والشروح والتفاسير

وأقدم هذه الكتب «**التوراة**» وفيها شيء كثير عن أحوال الأمم العربية في سفر التكوين أول أسفارها الذي ذكر الكثيرين أخبار (سام) وأولاده وقصة ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام، كما جاء ذكر **بلقيس ملكة سبأ وقصتها مع سليمان** في سفر الايام الثاني وقد وردت في **التلمود** اشارات للعرب كذلك سواء التلمود الفلسطيني وقد تعاونت على تحبيره المدارس اليهودية، ويسمى أيضاً «**التلمود الاورشليمي**» أو «**التلمود البابلي**» الموضوع في



ابن خلدون

الجاحظ

العراق[١] هذا وأن للشروح والتفاسير المدونة على التوراة والتلمود قديماً وحديثاً وكذلك للمصطلحات العبرانية القديمة على اختلاف اصنافها أهمية كبيرة في تفهم تاريخ الجاهلية.

أما «**القرآن الكريم**» **فهو أصدق المصادر المقدسة**[٢]، وقد جاء فيه ذكر بعض القبائل البائدة **كعاد وثمود** اللتين انفرد بذكرهما دون بقية الكتب المقدسة، كما جاء فيه بعض أخبار ملوك

---

[١] جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام. ح١، ص ٥٦

[٢] محمد مبروك نافع: تاريخ العرب. عصر ما قبل الاسلام. مطبعة السعادة مصر ١٩٥٢ ص ١.

مصادر التاريخ للتربية الجاهلية

اليمن كقصة ملكة سبأ وقصة اسماعيل جد العرب العدنانية ومسألة **سيل العرم** وغير ذلك. **وقد أيدت الكشوف الحديثة صحة ما ورد عن مساكن ثمود وسيل العرم وغيرها**. والتفسير مصدر هام أيضاً **ففي كتب التفسير ثروة تاريخية قيمة تفيد الباحث في تدوين هذا التاريخ تشرح ما جاء مقتضباً في كتاب الله، وتبسط ما كان عالقاً بأذهان الناس عن الايام التي سبقت الاسلام وتحي ما سمعوه**، وما وعوه عن القبائل العربية البائدة التي ورد لها ذكر مقتضب في السور، وما ورد عندهم من أحكام وآراء ومعتقدات.

(٢) المؤرخون اليونانيون والرومان

فقد جاء ذكر العرب عرضاً في **تاريخ هيرودوت** (٤٨٠–٤٢٥ ق.م) أثناء كلامه عن حرب **قمبيز والمصريين في** القرن السادس قبل الميلاد وأشار (**أرملستيني**) (المتوفى سنة ١٩٤ ق.م) و(**ديودورس الصقلي**) .. (٤٠ ق.م) الى العرب في كتبهم وأفرد (**استرابون**) اليوناني المتوفى سنة ٢٤م فصلاً في مؤلفه الجغرافي ذكر فيه مدن العرب وقبائلهم وشيئاً عن أحوالهم التجارية والاجتماعية[٣] وخصص (**بطليموس**) الجغرافي الشهير الذي مات سنة ١٤٠م جزءاً من كتابه ذكر فيه قبائل العرب ومدنها وحدد موضعها بالدرجات، كما شرح الكثير من أحوال العرب التجارية وغيرها، وفصل ما أجمله سابقوه تفصيلاً.

وقد استقى هؤلاء ومن شابههم معارفهم من الرجال الذين اشتركوا في الحملات التي أرسلها **اليونان أو الرومان** الى بلاد العرب، ومن السياح الذين اختلطوا بقبائل بلاد العرب او اقاموا مدة بين ظهرانيهم، ولاسيما في بلاد **الانباط**، ومن التجار وأصحاب السفن الذين كانوا يتوغلون في البحار وفي بلاد العرب للمتاجرة. وتعد **الاسكندرية** من أهم المراكز التي كانت تعنى عناية خاصة بجمع الاخبار عن بلاد العرب وعادات سكانها وما ينتج فيها لتقديمها الى من يرغب فيها[٤] **ومن هنا يجب أن تؤخذ هذه المعلومات بحذر وتمحيص شديدين.**

(٣) النقوش والكتابات

كذلك تعتبر **النقوش** عماد البحث في تاريخ هذه الفترة، فهي تحل محل **المصادر الارشيفية** في سرد وقائع **تاريخ العرب قبل الاسلام**، اذ هي الكتابة الموجودة على الآثار[٥].

فقد عرف النقش – منذ قديم الزمان – في مواطن استقرار العرب بخطوط الجزيرة العربية القديمة مثل: **الخط السبئي والحميري** او ما يعرف عند العرب **بالخط المسند في اليمن**، حيث كانت أكثر النقوش القديمة مكتوبة به، **والخطوط اللحيانية والثمودية والصفوية والآرامية والنبطية والعبرانية في الشام**، وأغلبها يشبه **الكتابة الكوفية** فيما بعد. أما عن النقوش القديمة بالعربية قبل

---

(٣) المرجع السابق ص ٤
مجلة الفيصل – ص ٢٠

(٤) المفصل. ح١، ص٥٦

(٥) عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية. الانجلو المصرية. القاهرة. ١٩٦٥م، ج١. ص ١٥

الاسلام، فهذه نادرة، وليس لدينا منها غير أربعة نقوش. أقدمها وهو الأهم – نقش (**نمارة**) الخاص بقبر **امرئ القيس**، وهو مكتوب **بالخط النبطي**.

وأغلب الكتابات الجاهلية التي عثر عليها، هي في أمور شخصية في الغالب، مثل انشاء بيت، او بناء معبد، او بناء سور، او شفاء من مرض، ولذلك انحصرت فوائدها في نواحٍ معينة، في مثل الدراسات اللغوية، وأقلها النصوص التي تتعرض لحالة العرب السياسية، او الاحوال الاجتماعية او العلمية أو الدينية او النواحي الثقافية والحضارية الاخرى، ولهذا بقيت معارفنا في هذه النواحي ضحلة غير عميقة[٦].

وقد ألمح **المسعودي** للمناهج الجاهلية في تدوين الحوادث، فقال «**وكانت العرب قبل ظهور الاسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة، فأما حمير وكهلان ابنا سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بأرض اليمن، فانهم كانوا يؤرخون بملوكهم السالفة من التبابعة وغيرهم**[٧]». ثم ذكر انهم أرخوا أيضاً بما كان يقع لديهم من احداث جسيمة في نظرهم. وقال **الطبري** عن العرب انهم «لم يكونوا يؤرخون بشيء من قبل ذلك غير أن **قريشاً** كانوا – فيما ذكر – يؤرخون قبل الاسلام **بعام الفيل** وكان سائر العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة، كتاريخهم **بيوم جبلة وبالكلاب الأول والكلاب الثاني**[٨]».

(٤) الآثـــــار

وهي التي وصفها **ابن خلدون** بانها تكون على نسبة قوة الدولة (والسبب في ذلك أن الآثار انما تحدث عن القوة التي بها كانت أولاً وعلى قدرها يكون الأثر[٩] مما يدل على اهميتها في فهم تاريخ العرب. ويشير **الجاحظ**[١٠] الى أن العرب في جاهليتها كانت تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى. وكان ذلك هو ديوانها، أما العجم، فكانوا يقيدون مآثرهم بالبنيان «ثم ان العرب أحبت أن تشارك العجم في البناء وتنفرد الشعر. فبنوا **غمدان وكعبة نجران**»[١١].

وكانت بلاد العرب وحضرموت أهم اجزاء بلاد العرب التي كثر مرتادوها من علماء الآثار والتي كثرت دراساتهم فيها. ولا غرو فهي غاصة بآثار **الحضارتين المعينية والسبئية** ولم يكن نصيب **الشمال** من اهتمام علماء الآثار بأقل من نصيب **الجنوب**. وذلك على الرغم من أن وسائل البحث العلمي ومسهلاته لم تكن ميسورة لدى هؤلاء العلماء، فقد كشف العلامة (**دوتي**) سنة ١٨٧٦ عدداً من المقابر النبطية المحفورة في **مدائن صالح** ورسمها كما كشف BUTTON سنة ١٨٧٧ مقابر نبطية أخرى أثناء فحصه عن مناجم الذهب في مدين وعثر بعض الكاشفين على مقابر رومانية في حدود **الحجاز الشمالية**[١٢]. أما آثار **بابلي وآشور** فهي كثيرة.

(٥) جهـود المستشرقـين

وكان للجهود المضنية التي بذلها بعض **المستشرقين** أثراً عظيماً في الكشف عن جوانب لا يستهان بها من تاريخ العرب في العصر الجاهلي، بل لا نبالغ اذا قلنا، إنه قد كان لهم فضل كبير في جعل تاريخ هذه الفترة علمياً بعد أن كان يختلط بالأساطير والخرافات ومن أوائل الجهود التي بذلت في هذا المضمار تلك **البعثة الدانمركية** التي تكونت في أواخر سنة ١٧٦٠ وبالرغم من أن اربعة من الباحثين لقوا حتفهم، الا أن النتائج التي وصلت اليها هذه البعثة

---

(٦) المفصل. ج١. ص٤٤.

(٧) المسعودي: التنبيه والاشراف. دار الصاوي. القاهرة ١٩٣٨م. ص١٨٢

(٨) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. دار المعارف. القاهرة ١٩٦٧م، ج١، ص ١٩٣.

(٩) مقدمة ابن خلدون (طبعة المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة)، ص ١٧٧.

(١٠) الجاحظ: الحيوان. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة ١٩٣٨-١٩٤٧ ج١، ص ٧٢.

(١١) كعبة نجران: بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي. على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة، وكان فيها أساقفة معتمون. وهم الذين جاءوا الى النبي ﷺ.

(١٢) نافع. ص ٦-٨.



كانت أعظم نتائج علمية جاءت بها بعثة أوربية من اليمن[١٣].

وبمضي الزمن، خطت هذه الدراسات خطوات واسعة، وذلك بفضل الرحالة الالماني «**أدولف فون فريده**» عام ١٨٤٣.

وقررت **أكاديمية الفنون الجميلة بفرنسا** ارسال الاستاذ الشهير المستشرق **يوسف هلفي** في بعثة الى بلاد اليمن، فكشف عن نقوش هامة جمعها من سبعة وثلاثين مكاناً، ونشرها عام ١٨٧٢[١٤].

كذلك أقدم المستشرق النمساوي بفيينا «**ادوارد جلازر**» عام ١٨٨٠ على رحلة من قبل الاكاديمية الباريسية، ثم قام برحلات أخرى في سنوات تالية، وقام بعمل جليل، في **مأرب** استطاع أن يرسم تخطيطاً لآثار القنوات القديمة وسدود مياهها العظيمة. ونسخ جلازر الكتابات التي كانت على السدود وقد أتت هذه الرحلة أكلها وعادت على العلم بما يقرب من أربعين نقشاً سبئياً عدا القطع الأثرية الاخرى والنقود والخواتم وما اليها[١٥]. الى غير هذه من الجهود.

(٦) المؤرخـون العـــرب

لم يكتب مؤرخو العرب تاريخاً خاصاً لبلاد العرب قبل الاسلام، ولم يتجاوز كل ما كتبوه ان يكون مقدمات لتواريخهم المفصلة الدقيقة للعصر الاسلامي وحتى هذه المقدمات فانها لم تكن مفصلة ولا دقيقة، وأوجه الخلاف بين المؤرخين في أسماء الدول والملوك وحوادث التاريخ ومدد الحكم كثيرة، وفي بعض الحالات يظهر التناقض بينها[١٦].

ويصعب الاطمئنان الى ما ورد لديهم من أخبار وروايات عن الجاهلية الا اذا وقفنا بها الى حدود القرن السادس للميلاد او القرن الخامس على أكثر تقدير اما ما روي على أنه فوق ذلك، فاننا لا نتمكن من الاطمئنان اليه لانه لم يرد به سند مدون ولم يؤخذ من نص مكتوب، وانما أخذ من أفواه الرجال ولا يعتمد على هذا النوع من الرواية، لاننا حتى اذا سلمنا ان رواة تلك الاخبار كانوا منزهين عن الميول والعواطف، وأنهم كانوا صدوقين في كل ما رووا، وكانوا أصحاب قدرة في النقد والتمييز بين الصحيح والفاسد، فاننا لا نتمكن من أن نسلم أن في استطاعة الذاكرة أن تحافظ على صفاء الرواية وأن تروي القصة وما فيها من كلام وحديث بالنص والحرف حقبة طويلة[١٧].

(٧) الأدب العربــي

فقد بينت الدراسات العلمية الحديثة خطأ تلك النظرة التي كانت ترى أن الاديب يجب أن يروي طائفة جيدة من مختار المنثور والمنظوم، وأن يلم بهذا المنثور والمنظوم من لغة وتاريخ وقصص ونسب بشرحه وتفسيره ونقده لكي يكون أديباً، وأن النظرة السليمة، هي أن الاديب مرآة صافية وضاءة أمينة لما في عصره ان كان أديباً منشئاً وليس المختار من المنظوم والمنثور الا صوراً لألوان من حياة الافراد والجماعات، فيها القوي وفيها الضعيف، فيها الجيد وفيها الرديئ، فيها الرضي وفيها البغيض، ومن هنا فدارسو الأدب الآن لا يقنعون بهذه الصورة يحفظونها ويستظهرونها ويلقون عليها أبصارهم متعجلين ولا ينعمون، وانما يسعون الى أن يتعرفوا ما وراء هذه الصور ويتعمقوا حقائقها ويعرفوا – الى أقصى حدود المعرفة – دقائق هذه الحياة النفسية التي اضطربت بها الافراد والجماعات فأنشأت ما أنشأت من نثر ونظم[١٨].

---

(١٣) نيلسن وآخرون: التاريخ العربي القديم، ترجمة د. فؤاد حسنين علي، ص ٢–٣

(١٤) المرجع السابق، ص ١٢.

(١٥) المرجع السابق ص ٢٠

مجلة الفيصل – ص ٢٢

(١٦) نافع، ص ٥

(١٧) المفصل، ج ١، ص ٧٣، ٧٤.

(١٨) مقدمة طه حسين لـ«فجر الاسلام» تأليف احمد أمين، النهضة المصرية، ١٩٦٥م.

ضرار ابن الأزور

تعليق : على مقال

بقلم :
عبد العزيز الرفاعي

اطلعت في مجلة (**العربي**) في العدد **٢١٩** الصادر في صفر ١٣٩٧هـ (فبراير ١٩٧٧م) على مقال قيم للأستاذ الباحث (**أحمد عادل كمال**).. عن الصحابي الفارس الشاعر (**ضرار بن الأزور**)..

ولما كنت قد عنيت بالبحث عن حياة هذا الشاعر الفارس، منذ سنوات خلت.. وقد حاضرت عن حياته في شتاء عام ١٣٩٤هـ.. وأصدرت عنه كتيباً صغيراً في مستهل عام ١٣٩٧هـ.. فقد سررت باطلاعي على مقال الأستاذ (أحمد عادل كمال) عنه، اذ وجدت فيه صدى لما يحوك في نفسي دائما عن أهمية العناية بتراثنا والكشف عن نفائسه وذخائره، والقاء الضوء على ابطالنا ومثلنا.. وخاصة اولئك الرجال الذين جمعوا من الصفات، ماجعلهم قدوات مثلى، حينما ضموا الى عمق الايمان، واستقامة الخلق، بطولة باسلة، وفنا شعريا رفيعا.. ولاشك أن في مقدمة هؤلاء **شعراء الصحابة**، ومنهم عدد غير قليل لم ينالوا بعد حظاً من الدراسة والبحث.

وقد وجدت في الأستاذ (أحمد عادل كمال) باحثاً أصيلاً، أعطى مقاله حقه من العناية والبحث..

ومادمت، قد التقيت مع الأستاذ الباحث، على الاعجاب بشخصية الصحابي الجليل (ضرار بن الأزور)، فاني أجد من واجبي أن نتعاون معاً في البحث عن داقائق حياة هذا البطل، لعلنا نستطيع أن نصل بفضل هذا التعاون الى كشف حقائق جديدة، تمد تراثنا بمزيد من الفحص والتحقيق والتمحيص.

ولقد كان بودي أن أتعرف على عنوان الأستاذ الباحث لأكتب اليه متعرفاً ومتعاوناً، ولكني لم أجد عنوانه في ذيل مقاله.. ولقد كنت قرأت منذ مدة في احدى المجلات الثقافية، دعوة الى أن يلتزم الكتاب ايضاح عناوينهم في ذيل مقالاتهم أو كتبهم، لاتاحة الفرصة للتراسل، والاتصال، وتبادل الرأي، وتوثيق الروابط بين العاملين في حقل الفكر.. واني بهذه المناسبة أجد هذا الرأي وجيهاً، وأنا هنا أحبذه.. وأذكر به، فعالمنا العربي اليوم أحوج ما يكون الى الترابط والتعاون في شتى مجالات حياته.. وروابط الفكر أكثر هذه الروابط الحاحاً وحاجة الى التوثيق.

وبهذه الدوافع.. أعني حوافز التعاون مع الأستاذ الباحث، أود أن أذكر أن لي وقفات يسيرة في مقاله، لا تقلل من قيمته العلمية، ولا تحول دون تأكيد اعجابي بجهده.. بل وبما زودني به من فائدة جديدة هي محل تقديري الكبير.



سن ضرار بن الأزور

لقد كانت أولى وقفاتي، عند الكلمة الأولى من المقال، فلقد وصف الأستاذ الفاضل، ضرار بن الأزور، بأنه صحابي شاب.. أما أنه صحابي، فلا يرقى الى هده الحقيقة أدنى شك.. **وأما أنه شاب.. فمسألة فيها نظر**.. ذلك أنه قد عرف له ابن يذكر لنا التاريخ أنه مثل بين يدي **الخليفة عبد الملك بن مروان** كان معمراً قد جاوز المائة.. أي أنه أعني الابن كان حين وفود ضرار بن الأزور على **الرسول** ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة، ضمن وفد **بني أسد**، قد ناهز الخمسين من العمر، أو تجاوزها.. فاذا صح ذلك، وأنا ميال الى صحته.. فان سن ابيه ضرار حين الوفادة حوالي السبعين.

أبناء ضرار

وفي مستهل المقال، قال الأستاذ (أحمد عادل كمال): (انه كان لضرار ولدان على الأقل، الأزور وبلال) . وهذا النص يؤكد من جديد أن الأستاذ كمال، لم يقف بعد على خبر ذلك الابن الثالث الذي عمر الى عهد عبد الملك بن مروان، وهو الشاعر الفحل **(ارطأة بن سهية)**.. الذي ظلمه التاريخ فنسبه الى أمه **(سهية)**، أو الى أب مستعار هو (زفر بن عبد الله) ولم ينسبه الى أبيه الحقيقي: ضرار بن الأزور.

وأجد من المناسب هنا، أن اذكر أن البحث في حياة الصحابي الجليل (ضرار بن الأزور) رضي الله عنه، أهدى اليّ بحثين آخرين، أحدهما عن (ارطأة بن سهية) الذي حاضرت عنه محاضرة أرجو أن تجد أيضا طريقها الى النشر في كتيب مستقل، وآمل أن يتم ذلك قريباً ان شاء الله، وثانيهما عن **(خولة بنت الأزور)**، وقد أعددت عنها أيضاً محاضرة، لخصتها في العدد الثاني من **(المجلة العربية)** الصادر في رجب ١٣٩٦هـ (يولية ١٩٧٦م).. وهي في طريقها الى القراء، ان شاء الله، كتاباً مقروءاً..

واذا رجع الأستاذ الفاضل الى «الأغاني» سيجد مصداق ما أقول في ترجمة حياة كل من ضرار وارطأة.

خولة بنت الأزور

لا شك أن النتيجة التي توصل اليها بحث الأستاذ المحقق عن (خولة بنت الأزور) عن عدم وجود شخصية حقيقية تحمل هذا الاسم.. لا شك أنها نتيجة صادقة.. كما هي باهرة أيضاً.. وهي النتيجة التي توصلت اليها، ثم نشرتها في المقال الذي ذكرته آنفاً المنشور في المجلة العربية بعنوان: **(خولة بنت الأزور.. أهي حقيقة أم اسطورة من نسج الخيال)**.. سنة ١٣٩٦هـ.
وقد انتهيت في مقالي الى أنها اسطورة، وأوردت البراهين على ذلك..

كتاب فتوح الشام

ذكر الأستاذ الفاضل اسم كتاب **(فتوح الشام)** من بين المصادر التي رجع اليها ولم يجد فيها ذكراً لخولة بنت الأزور.. ثم عاد فقال بعد ثلاثة أسطر فقط من ذكره: (وفي رواية عنها في هذا الكتاب (فتوح الشام) أن أباها قتل بين يدي رسول الله).. وقد وقفت حائرا ازاء هذا القول.. كيف لم يجد لها ذكرا في كتاب (فتوح الشام) وكيف وجد فيه هذا النص الذي أورده؟ بل لقد ذكر الأستاذ نفسه قبل ذلك أنها مذكورة كثيراً في كتاب (فتوح الشام) ولا شك أن هناك سهواً، وربما خطأ مطبعيا.

ان مرد هذه **الشخصية الاسطورية**، أعني خولة بنت الأزور، انما هوكتاب (فتوح الشام) المنسوب الى **الواقدي**.. وهي نسبة خاطئة لا تصح.. وقد أشرت الى كل ذلك بتفصيل في مقالي عن (خولة) في (المجلة العربية) وفي كتابي عن ضرار.

ضرار ابن الأزور

تعليق: على مقال

بقلم:
عبد العزيز الرفاعي

اطلعت في مجلة (**العربي**) في العدد ٢١٩ الصادر في صفر ١٣٩٧هـ (فبراير ١٩٧٧م) على مقال قيم للأستاذ الباحث (**أحمد عادل كمال**).. عن الصحابي الفارس الشاعر (**ضرار بن الأزور**)..

ولما كنت قد عنيت بالبحث عن حياة هذا الشاعر الفارس، منذ سنوات خلت.. وقد حاضرت عن حياته في شتاء عام ١٣٩٤هـ.. وأصدرت عنه كتيباً صغيراً في مستهل عام ١٣٩٧هـ.. فقد سررت باطلاعي على مقال الأستاذ (أحمد عادل كمال) عنه، اذ وجدت فيه صدى لما يحوك في نفسي دائما عن أهمية العناية بتراثنا والكشف عن نفائسه ودخائره، والقاء الضوء على ابطالنا ومثلنا.. وخاصة اولئك الرجال الذين جمعوا من الصفات، ماجعلهم قدوات مثلى، حينما ضموا الى عمق الايمان، واستقامة الخلق، بطولة باسلة، وفنا شعريا رفيعا.. ولاشك أن في مقدمة هؤلاء **شعراء الصحابة**، ومنهم عدد غير قليل لم ينالوا بعد حظاً من الدراسة والبحث.

وقد وجدت في الأستاذ (أحمد عادل كمال) باحثاً أصيلاً، أعطى مقاله حقه من العناية والبحث..

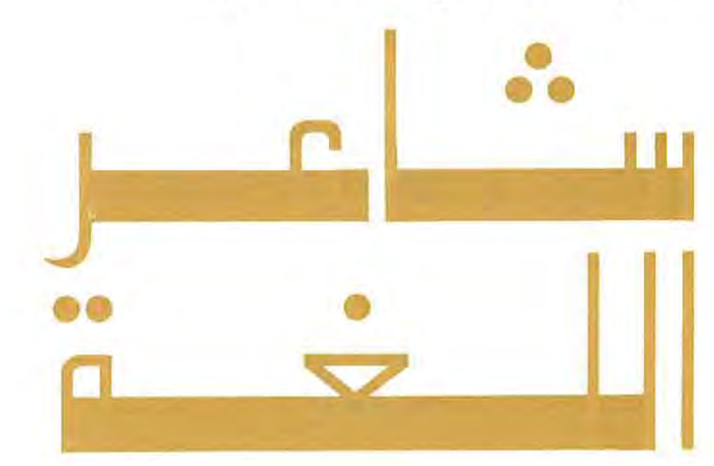
ومادمت، قد التقيت مع الأستاذ الباحث، على الاعجاب بشخصية الصحابي الجليل (ضرار بن الأزور)، فاني أجد من واجبي أن نتعاون معاً في البحث عن داقائق حياة هذا البطل، لعلنا نستطيع أن نصل بفضل هذا التعاون الى كشف حقائق جديدة، تمد تراثنا بمزيد من الفحص والتحقيق والتمحيص.

ولقد كان بودي أن أتعرف على عنوان الأستاذ الباحث لأكتب اليه متعرفاً ومتعاوناً، ولكني لم أجد عنوانه في ذيل مقاله.. ولقد كنت قرأت منذ مدة في احدى المجلات الثقافية، دعوة الى أن يلتزم الكتاب ايضاح عناوينهم في ذيل مقالاتهم أو كتبهم، لاتاحة الفرصة للتراسل، والاتصال، وتبادل الرأي، وتوثيق الروابط بين العاملين في حقل الفكر.. وانني بهذه المناسبة أجد هذا الرأي وجيهاً، وأنا هنا أحبذه.. وأذكر به، فعالمنا العربي اليوم أحوج ما يكون الى الترابط والتعاون في شتى مجالات حياته.. وروابط الفكر أكثر هذه الروابط الحاحاً وحاجة الى التوثيق.

وبهذه الدوافع.. أعني حوافز التعاون مع الأستاذ الباحث، أود أن أذكر أن لي وقفات يسيرة في مقاله، لا تقلل من قيمته العلمية، ولا تحول دون تأكيد اعجابي بجهده.. بل وبما زودني به من فائدة جديدة هي محل تقديري الكبير.

لقاء
مع

عبد الحق فاضل





اجراء: احمد متفكر

اعداد: المجلة

انه المفكر والشاعر وهو الاديب والقاص وهو المترجم والعالم اللغوي وهذه الجوانب مجتمعة ليست في شخصه اشتاتاً فرادى ولكنها جوانب في كل واحد تشكل فيما بينها وحدة حية أو حياة واحدة هي في النهاية وربما منذ البداية حياة **الأستاذ الجليل عبد الحق فاضل العالم العراقي** بأسرار لغتنا العربية، الذي عاش حياته بين **المعاجم والقواميس** يماسيها ويصابحها .. يغوص في اعماقها منقباً عن الخبايا والاسرار مستجلياً الحقائق والمضامين مبصراً بمواطن القوة مبرزاً جوانب الاصالة.

لقد وهب هذا الباحث الجليل حياته كلها – لخدمة **اللغة العربية** قناعة منه بأصالة هذه اللغة وعبقريتها ورغبة منه في احلالها مكانها اللائق ومكانتها الصحيحة بين لغات العالم دفاعاً

> إذا كانت اللغات الأوروبية يترجم بعضها عن بعض ما يستجد من مصطلحات في كل منها .. فأحرى بالعربية أيضاً أن تفعل ذلك.

> المخلوق الآدمي أوجد اللغة لسد حاجاته النفسية والمادية .. كما أوجد الأداة التي تحلق له ذقنه.

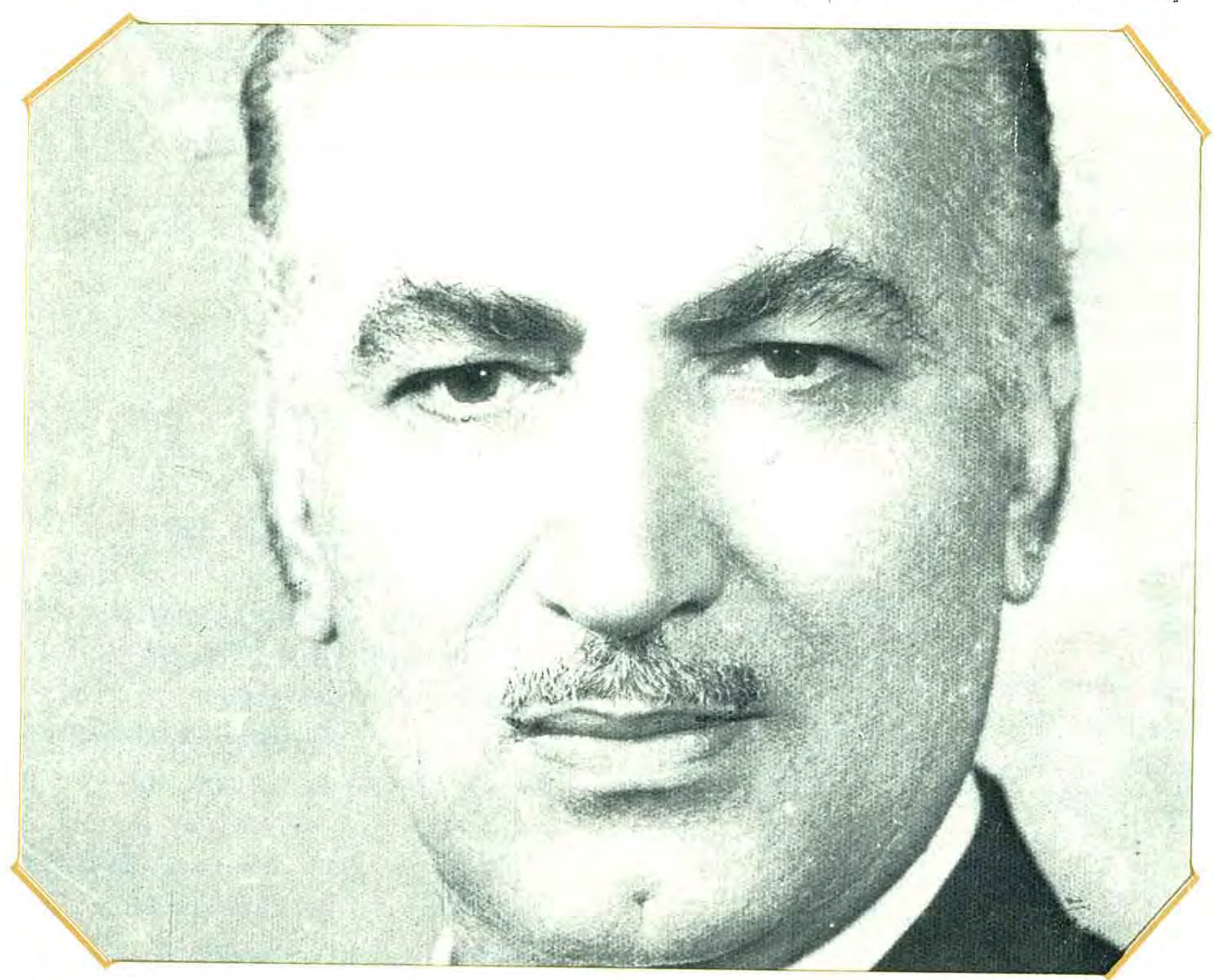
> إذا كان المستشرقون الأجانب أنفسهم قد حكموا على اللهجات العامية بالإعدام فإن كل مساندة لها من قبلنا من شأنها أن تعرقل تنفيذ هذا الحكم العادل.

عن سالف مجدها. وربطا لماضيها التليد بحاضرها المجيد. واثباتاً لاعداء العربية انها لغة حية قادرة على ملاحقة تطورات العصر. ومسايرة ركب الحضارة.

اجل ما احوجنا الى ابراز مزايا اللغة العربية وأصالتها في الفن والفكر والعلم وكافة جوانب التعبير وما احوجنا بعد هذا وذاك الى ابراز هذه المزايا في هذا الوقت بالذات الذي تعرضت فيه هذه اللغة وحدها بين لغات العالم لكل ما ينصب عليها من معاول الهدم، ويحيط بها من دسائس الماكرين من مستشرقين وغير مستشرقين.

وبعد فان لغتنا العربية من بين تراثنا العربي الاسلامي كله هي **بيت القصيد** .. وبيت القصيد هنا اعظم من القصيد كله، لان السهم الذي يصوب في هذه الحالة انما يصوب الى القلب، ولا يقف عند مجرد الفم وما ينطق به من شعر او اللسان وما ينطق به من نثر من هنا لا من هناك، ولا من اي مكان آخر تصبح المهمة الملقاة على عاتق المثقف العربي المسلم ان يهب لا بمجرد الذود عن لغته العربية ولكن لحماية الحضارة الانسانية كلها من أية خسارة تصيب هذه الاداة العالمية من ادوات المنطق الانساني بعد ان بلغت كل هذه المرتبة الرفيعة من التطور والنضوج والكمال.

وهذا فارس من فرسان لغتنا العربية الذين رأت مجلة «**الفيصل**» ان تفيد من علمه ومعرفته في الكشف عن اسرار هذه اللغة وجمالها وكيفية الذود عن حياضها وجعلها وقوداً حياً في معركتنا اليومية من اجل التقدم والازدهار.



لقـــاء مــــع :
عبد الحق فاضل

بعض اللغويين العرب المتخصصين في شؤون اللغة العربية يبدون كأنهم غير مناصرين للعربية!

قضية التعريب

بدأت حواري مع الاستاذ عبد الحق فاضل عن قضية التعريب وباحثنا له باع طويل في هذه القضية وربما تذكرنا في هذا الصدد ترجمته الشعرية **لرباعيات الشاعر الفارسي عمر الخيام** وهي الترجمة التي قدمها العلامة المرحوم **احمد امين** بقوله: «فنشر رباعيات الخيام على وضعها هذا خدمة للمجتمع وخدمة للتاريخ وخدمة للادب العربي ولناقلها على هذا الوضع أيضاً الشكر الجزيل فليس يعرف ما لاقى من عناء الا من حاول ان ينقل الشعر من لغة الى لغة مجتهداً ان يحافظ على معاني المنقول منها الى المنقول اليها وعلى روحها وحسن وقعها وتنغيمها..

* سألته عن التعريب وكيف ان البعض يعتقد ان المقصود من التعريب هو الوقوف عند العربية دون المواكبة مع اللغات الحية الاخرى فهل هذا صحيح؟ وما هو ردكم على هؤلاء؟

**** لم أفهم جيداً ما يرمي اليه القائلون بهذا الرأي لان الغرض الاول والاخير من التعريب هو مواكبة اللغات الحية الاخرى أي اغناء العربية بالمصطلحات الحديثة من علمية وفنية وتقنية لكي لا تبقى عالة على غيرها من لغات البشر، اما اذا كان المقصود ان تقتبس العربية مصطلحاتها من اللغات الاخرى فاية لغة عالمية تلك التي يقترحونها لها؟**

ان الالفاظ العالمية المشتركة بين اللغات قليلة وقليلة جداً، واللغات الحية نفسها يعاني كل منها ما يعاني من ترجمة المصطلحات المتولدة في اللغات الاخرى وحتى اليوم لم يتوصل البشر الى لغة علمية مشتركة واذا كانت اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية يترجم بعضها عن بعض، ما يستجد من مصطلحات في كل منها فأحرى بالعربية ايضاً ان تفعل ذلك.

اللغة كمظهر اجتماعي

* يذهب البعض بل يكاد يجمع الكل على ان اللغة هي أهم مظهر اجتماعي لدى الشعب الذي يتكلم هذه اللغة ما رأيكم في هذا الرأي؟

**** ما اكثر ما قيل في هذا الموضوع وكم من الفاظ فخمة وتعابير فلسفية عويصة تناولت هذا الموضوع وتناثرت على مائدة بحثه لكنني بكل بساطة استطيع ان اقول ان كتاباً في اللغوية اوضحت لي كلها - كيف تتدرج اللفظة اللغوية من المعنى البدائي البسيط الى المعاني الحضارية الراقية تبعاً لحاجة الانسان الى التعبير عن تطور حياته المعاشية والاجتماعية ورقي مداركه الفكرية والشعورية نتيجة لهذا كله.**

هنا وهنا فقط يمكن القول بان اللغة اصبحت تمثل الناحية التطورية والجانب الراقي من كيان الانسان ووجدانه في وقت معاً.

* ولكن اللغة من حيث هي مظهر اجتماعي - هل هي ظاهرة طبيعية ام مكتسبة بالنسبة لأي شعب من الشعوب وفي اي مجتمع من المجتمعات؟

**** المخلوق الادمي اوجد اللغة لسد حاجات له نفسية ومادية كما اوجد الاداة التي تحلق له ذقنه والآلة ذات العجلات الاربع التي يجري بواسطتها كالمجنون من مكان الى مكان آخر والطائرة التي تحقق له السفر السريع الجماعي واحياناً الموت السريع الجماعي، ولكن مخترعاته من هذه الآلات وغيرها مما يعايشه انما يعيش معه من الخارج واما اللغة التي اوجدها لنفسه فتعيش معه ويعيش معها في الداخل والخارج، يطور الفاظها ومعانيها وتطور هي بيانه وافكاره - انما تعيش في خارجه في الكتب التي يقرؤها**



وفي داخله مع خطرات ذهنه وهمسات وجدانه.

يعيشها وتعيشه قائلاً لسواه وسامعاً من سواه ومتأملاً فيما بينه وبين وجوده انها واسطته لادخال الناس في ضمير عالمه وادخاله في ضمير عالم الناس ولهذا كله اكتسبت اللغة ذلك المظهر الاجتماعي الذي ذكرته في سؤالك الآن انها كالمرآة تعكس صورة الشعب السالبة والموجبة الحاضرة والماضية ولعلك اطلعت على بعض ما كتبته تحت عنوان .. «تاريخهم من لغتهم»، وهو ما سوف يصدر في كتاب عن وزارة الاعلام العراقية ولقد توصلت في هذا الكتاب عن طريق التحليل اللغوي وملاحقة تطور الالفاظ والمعاني الى اكتشاف حقائق تاريخية اندثرت آثارها وبقيت مسجلة في مفردات اللغة.

لغتنا العربية تدافع عن نفسها

* كثيراً ما نسمع من ابناء العربية هجمات صاخبة على اللغة الفصحى بل كثيراً ما نراهم ينتقصون من قدر هذه اللغة في التخاطب والتعبير، هذا في الوقت الذي يطالعنا فيه المستشرقون بمثل هذا القرار الذي اصدروه في مؤتمرهم الذي عقد اخيراً باليونان – فهم يقولون في هذا القرار:

«ان اللغة العربية الفصحى هي اللغة التي تصلح للبلاد الاسلامية والعربية للتخاطب والكتابة والتأليف وان من واجب الحكومات في هذه البلاد ان تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية ولتقضي على اللهجات العامية التي لا تصلح كلغة اساسية لأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والاخلاق

فماذا تفسرون هذا الموقف المتناقض والغريب في وقت واحد؟

** ليس في الامر غرابة ولا تناقض وانما هو يعلل نفسه بنفسه ولكثرة ما قيل في هذا الموضوع اشعر الآن ان كل ما قد اقوله معروف ومكرور ان اهم نقطتين تبرران هذا القرار او الاعتراف الدولي بفضل العربية هو أولاً: ماضيها العلمي الحافل بالمصطلحات التي اضطرت اللغات الاوروبية الى الاخذ بالكثير منها في عهد نهضتهم المستضيئة بانوار العربية .. ثانياً: ثراؤها الطائل الذي يمكنها الآن .. بطبيعة الحال وبكل سهولة ويسر من استيعاب اي مصطلحات علمية .. حاضرة او مستقبلة ومن يطلع على المصطلحات التي وضعتها الجامعات والمجامع العربية حديثاً يعلوه الاستغراب لمدى كثرتها ودقتها بل دعني اقولها غير متحرج .. ان المصطلحات العربية الراهنة ادق واصوب من المصطلحات الاجنبية التي تبتعد معانيها الاصطلاحية كثيراً عن معانيها اللغوية اما من الناحية السياسية فمن البديهي ان الفصحى هي اصلح اللهجات لجميع العرب، التواقة شعوبهم الى الوحدة الكاملة سواء اقترح المستشرقون ذلك او لم يقترحوه والامر من البداهة بحيث لا نحتاج فيه الى رأي خارجي كما لا يمكن ان يعوق تحقيقه اي مسعى مناوئ .. خارجياً كان أو داخلياً.

لغتنا وتطور المجتمع

* يقول الدكتور انيس فريحة في كتابه (نحو عربية ميسرة) .. ان اسباب نشوء اللهجة ترد الى عوامل اهمها ان اللغة لا تثبت على حال فهي مجرى وكلما بعد المجرى ظهر التباين.

ما رأيكم في هذا الرأي وما رأيكم ايضاً فيما يقوله في موضع آخر «ولن نحاول ان نقنع من لا يريد ان يقتنع بان العربية عاجزة في وضعها الحالي عن التعبير عن الحضارة الغربية فالأدلة ميسورة وها هي جامعاتنا تعلم العلوم والفنون بلغة اجنبية».

** بعض اللغويين العرب المتخصصين في شؤون اللغة العربية يبدون وكأنهم غير مناصرين للعربية شأنهم في ذلك شأن بعض المستشرقين الذين يتخصصون في شؤونها لكي يناصبونها العداء بعد ذلك اما ما يقوله الدكتور فريحة عن التباين اللغوي كلما بعد المجرى اي ابتعاد اللغات عن منابعها كلما تطاول بها الزمن فهو رأي صحيح بوجه عام. ولكنه رأي لا يخلو من التعميم لانه لا ينطبق على جميع اللغات بدرجة واحدة. فالعربية اولاً وعلى

لقاء مع :
عبد الحق فاضل

من النادر أن يحتاج كاتب بالفصحى إلى تعبير عامي يمكن ترجمته إلى الفصحى.

الرغم من تطورها الحضاري والفكري الهائل في اثناء العهد الاسلامي هي اقل اللغات الحية الراقية ابتعاداً عن ماضيها ونحن نفهم الشعر العباسي الذي انقضت عليه عشرة قرون اكثر مما يفهم الانجليز عن عملاق لغتهم شيكسبير الذي توفي منذ ثلاثة قرون ونصف قرن فقط بل انه اصبح عندهم اكثر صعوبة من امرئ القيس وطرفة بن العبد في لغتنا العربية والواقع ان سيطرة القرآن الكريم واحكام الدين الحنيف وتراثنا العربي الاسلامي الزاخر والحافل الواقع ان سيطرة كل هذه الاشياء على لساننا العربي لها اثرها الكبير في تماسك العربية. وحمايتها طوال هذا الزمن من التفكك والانحلال كاللغة اللاتينية.

هذا الى ان تباعد اللغة عن منابعها. وهو ما يحتج به دعاة العامية حجة عليهم في الواقع لاننا اذا اخذنا اليوم بلغة الكلام في احدى اللهجات الدارجة وجعلناها لغة الادب فسوف تبتعد بعد مدة من الزمن عن لغة الكلام مرة اخرى. وعندئذ يتعين علينا تغييرها مرة اخرى وهكذا دواليك. وما الداعي لهذا كله ان اللغة الالمانية الفصحى مثلاً كانت لغة عامية يوم بدأ الكتابة بها مارتن لوثر، الذي ترجم اليها «الكتاب المقدس» بلهجة بلاده هانوفر فما الذي حدث؟

الذي حدث انها كانت منذ البداية تختلف عن جميع لهجات المدن والارياف الالمانية الاخرى فكان عليهم ان يتعلموها ويتعلموا قواعدها كلغة فصحى اي ان تفصيحها لم يكن تام الفائدة الا بالنسبة لاهالي بلدة هانوفر وحدها ولكنها على كل حال كانت أقرب الى مفهومهم من اللاتينية التي خلصهم منها مارتن لوثر.

والذي حدث بعد ذلك انها ابتعدت مع الزمن عن نفسها فتطورت لغة الكلام في بلده هانوفر ذاتها في اتجاه وتحورت لغة الكتابة التي اصبحت لغة مشتركة بين الالمان جميعاً، وذلك في اتجاه آخر ولو ان لهجة هانوفر ظلت اقرب اللهجات الى اللغة الفصحى.

هذا ولا تزال في المانيا اليوم لغة فصحى واحدة ولغات عامية كثيرة ومختلفة فهل ينصح دعاة العامية عندنا الشعب الالماني اليوم بان يكتب كل فريق منهم بلغته المحلية العامية لكي يصعدوا بذلك في مدارج الرقي والحضارة ولكي يواكبوا مسيرة الفن والفكر والعلم؟ والغريب ان ما يقال عن الالمانية يقال مثله عن الايطالية وعن غيرها من اللغات الاوروبية.

لغتنا العربية وتدريس العلوم

* هذا عن العامية والفصحى في لغتنا العربية خاصة واللغات الاوروبية بوجه عام. فماذا عما يقال من ان الجامعات عندنا لا تزال تلجأ الى اللغات الاجنبية في تدريس العلوم وكأنها لا تعترف بقدرة اللغة العربية على الوفاء بهذا المطلب؟

** أما ان الجامعات العربية ما زالت او بالاحرى لا



يزال بعضها يدرس العلوم بلغات اجنبية فهذا امر يمكن معالجته باحدى طريقتين:

أ) اما الأخذ باللغة الاجنبية اداة للتعلم والتعليم واهمال العربية وهو الرأي الذي اجمع المخلصون من الباحثين العرب والاجانب على تخطئته.

ب) أو تعريب العلوم وهو الأمر الذي يجري تطبيقه الآن في جميع البلاد العربية بدرجات متفاوتة سواء من حيث السرعة او من حيث الشمول وذلك وفقاً لظروف كل بلد من هذه البلاد على حدة.

وواضح من الطريقتين اللتين لا طريقة ثالثة لهما ان الطريقة الثانية هي الاصلح وهي الاقرب الى الصواب.

بين التراث الشعبي .. والادب الشعبي

* ما رأيكم في الرأي القائل بثنائية اللغة او باللغة الثالثة التي تجمع فيما بينها وبين العامية من ناحية والفصحى من ناحية اخرى؟

** اذا كان المستشرقون الاجانب انفسهم قد حكموا على اللهجات العامية بالاعدام كما ذكرت في سؤال سابق فان كل مساندة لها من قبلنا من شأنها ان تعرقل تنفيذ هذا الحكم العادل وانا شخصياً اعارض في نشر اي نتاج من الشعر او النثر باللهجة الدارجة الا ما كان من التراث اي من مخلفات الماضي التي تدخل في باب التراث والتراث الشعبي لا ما يسمونه بالادب الشعبي وفرق كبير بين (التراث) الشعبي وبين (الادب) الشعبي وارجو ان تضع كلمتي التراث والادب بين قوسين فانا اكره بوجه خاص ما ينظمه باللهجات العامية بعض المثقفين الذين يحسنون الفصحى فان ذوقي يمج ما فيه من تعبيرات مقتبسة من الفصحى المثقفة التي لا تتجانس مع بدائية العامية وفطرتها فهذا السطو او الاقتباس انما يبطل الذريعة القائلة بان العامية هي الا قدر على التعبير.

ومن النادر ان يحتاج كاتب بالفصحى الى تعبير عامي لا يمكن ترجمته الى الفصحى حتى الامثال الشعبية العامية الخالصة يمكن ترجمتها الى الفصحى والواقع ان اكثرها مترجم اصلاً من الفصحى نفسها ولو اننا استسهلنا الفصحى في كلامنا باستمرار لتولدت فيها امثال ومصطلحات اكثر بكثير من تلك التي ولدتها اللهجات العامية.

مستقبل لغتنا العربية

* بحكم معايشتكم للغة العربية والوقوف على مشاكلها الماضية والحاضرة كيف ترون مستقبل اللغة العربية بوجه عام؟

** هذا سؤال يمكن استخلاص جوابه من الأجوبة السابقة والذي اضيفه هنا لمجرد الايضاح فقط ان العربية كانت اغنى اللغات واكملها في المصطلحات العلمية بل لعلها كانت يوم كانت في ذروة ارتقاء اهلها اللغة العلمية الوحيدة على ظهر كوكبنا الارضي هذا. اما عن مستقبل لغتنا العربية فهي في تقديري سوف تستعيد مكانتها لا باعتبارها اللغة العلمية الوحيدة ولكن باعتبارها من لغات الطليعة في دنيا العلم، ولو اني اعتقد أنها ستبقى اللغة الفريدة المتفوقة فعلاً في مجالات الادب والتعبير كل ما في الامر انها في هذا العصر بحاجة الى تيسير التعليم ووضع القواعد وحذف الكثير من الشواذ والمستثنيات تسهيلاً لتعليمها لكي يتقنها اهلها وينشأ على السنتهم الصواب بعد ان فشت الاخطاء وكذلك لكي يقبل عليها المتعلمون الاجانب من كل الشعوب بينما يصد اليوم عنها الكثيرون في الجامعات العالمية خوفاً مما يسمعونه عن صعوبة تعلمها وينصرفون بدلاً منها الى تعلم لغات اخرى.

* * *

وعند هذا الحد من هذا الحوار تركت العالم الاستاذ عبد الحق فاضل والامل كل الامل في مستقبل لغتنا العربية وفي ان هذا المستقبل يمكن ان يكون في مثل عظمة الماضي اذا نحن اردنا ذلك وحاولناه انها لغتنا العربية او لغة الضاد التي قال عنها **الجاحظ** «انها تنفرد بالعروض عن سائر لغات البشر» والتي وصفها **العقاد** بأنها «اللغة الشاعرة» لا بمعنى انها لغة يكثر فيها الشعر والشعراء ولا بمعنى انها لغة شعرية وانما هي لغة شاعرة لانها بنيت على نسق الشعر في اصوله الفنية والموسيقية فهي في جملتها فن منظوم منسق الاوزان والاصوات لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء.

أليف

عبقري

شعر: طاهر زمخشري

كل ما قد جنيته من أمان ما له غير بسمتي من مكانِ
شوط عمري قطعته في هموم قَذَفَتْ بي لِعالمِ الاحزانِ
ملء كفي من الحياةِ هباء والحنايا جياشة بالحنانِ
وعويل الآلامِ بين ضُلوعي فاضَ منه الاعصارُ بالخفقانِ
وضلوعي يضج فيها حريقٌ يتلظَّى بلا عجٍ حرّان
كلما أَذْرفَتْ دموعي وراحَتْ تطفئ النارَ عربدت في كياني
وبعيني من لَذْعِها جمراتٌ بعض آثارها على أجفاني

* * *

والليالي ويا لظلم الليالي عقدت بالحبيسِ فيَّ لساني
خَطْوتي في الحياةِ كانت الى الخلفِ ولكن مِقْودي ايماني

وصحيحٌ أني افتقدتُ ربيعي غير أنِّي احتفظتُ بالافنانِ
وعليها الفؤادُ رفَّ يغني لتعيدُ الدَّقَّات رَجْعَ الاغاني
للضنا، للأسى، لكل جراحٍ فَتَحَتْها مشارطُ الاشجانِ
فالوجيب الذي يبعثر شَدْواً ما له غير خافقي من «كمانِ»
وعلى صفحةِ الأثيرِ أليفٌ راقصَ النورِ والرؤى في المغاني
يبسط الظل بالبشاشةِ تَنْدَى بابتسامِ الرضا، وصفوِ الزمانِ



من عادات الناس

في احدى المقاطعات **الامريكية** عادة طيبة هي أنه حين يدخل احدهم مستشفى لا يرسل اليه اصدقاؤه ومعارفه باقات من **الزهور** أوكميات من **الحلوى او الفاكهة** كالمعتاد وانما يرسل كل منهم تكاليف يوم او يومين الى ادارة المستشفى ويرفق بالمبلغ **بطاقة** كتب عليها (**ان فلانا المريض ضيفي، هذا اليوم او هذين اليومين**). ثم يبين اسمه بعد ذلك.

احصائية طريفة



من الاحصاءات الطريفة التي اجرتها منظمة **اليونسكو** منذ أعوام.. حول كيفية تناول سكان الارض للطعام.. فبعضهم يأكل بالشوكة والسكين، كما يفعل أهل **اوروبا** وبعضهم **بالعصي** (جمع عصا) كما يفعل اهل **الصين**، وقسم آخر شوكتهم **أصابعهم**.. واحصوا فوجدوا ان ٣٠٠ مليون من اهل الارض يأكلون بالشوكات والسكاكين و ٥٥٠ مليونا يأكلون بالعصي و ٧٤٠ مليونا يأكلون بأصابعهم.

وسئل رجل ممن يأكلون بأصابعهم فقال: «**رعى الله الأصابع فهي أيسر عند الطعام، والطعام بها ألذ وأشهى**».

العلمـاء .. والناس .. والزمان

ضاق **ابو حيان التوحيدي** بالناس والزمان حداً دفعه الى احراق كتبه في اخريات ايامه كي لا تقع في ايدي اناس لا يفهمونها .. ولا يقدرونها حق قدرها .. وعندما عوتب على ذلك، اعتذر بخطاب يفيض بحرارة الشكوى من جحود الناس وضيق الرزق رغم كل ما نال من الشهرة .. وما توفر له من علم.

وقال ابو حيان في هذا الخطاب نفسه: «ان زماناً احوج مثلي الى ما بلغك لزمان تدمع له العين حزناً وأسىً يتقطع عليه القلب غيظاً وجوى».

وقد استشهد على صحة ما فعله من احراق كتبه بأئمة يقتدى بهم منهم «**ابو عمرو بن العلاء**» وكان من كبار العلماء مع زهد وورع الذي دفن كتبه في بطن الارض فلم يوجد منها شيء ولم يبق لها أثر..

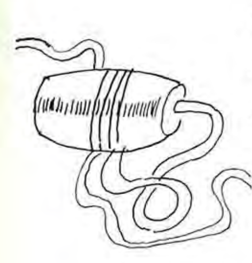
أمراض المشاهـير

بعض المشاهير تدون عنهم دقائق حياتهم أموراً تبقى علامة يتناقلها الناس من بعدهم لغرابتها.

فقد كان **نابليون بونابرت** يقشعر بدنه كلما رأى هرة سوداء معتقداً انها سوء طالع. وكان **جان جاك روسو** يتصور دائماً ان شبحاً يسير بجواره وكثيراً ما يتحدث وهو سائر بمفرده متوهماً ان هذا الشبح يستمع لما يقول. وكان الكاتب الانجليزي (**الدكتور جونسون**) يلمس كل ما يمر به من ابواب واعمدة اثناء سيره بلندن وكان اذا نسي بابا او عموداً عاد اليه ولمسه بيده، خشية ان يلحقه سوء.

اخبارهم

الجود بالنفس عند المرأة



من التقاليد التي كانت شائعة في بعض جزر **الهند الشرقية** أن تسير **المرأة** خلف **الرجل** دائما للدلالة على الادب والاحترام.. وقد لاحظ احد الصحفيين الذين زاروا تلك الجزر بعد احتلالها من قبل **اليابانيين** ان النساء اصبحن يتقدمن الرجال في الطريق، فسأل عن ذلك فقيل له: ان اليابانيين اثناء احتلالهم للجزر كانوا قد بثوا **الالغام** في أراضيها ومنذ ذلك الحين اصبحت المرأة تتقدم الرجل خشية ان يكون فيه لغم يقضي على حياته.. فهي تسير أمام الرجل لتحميه بنفسها.. **والجود بالنفس أقصى غاية الجود.**

يطلب العلم .. وهو يحتضر



أبو الريحان **البيروني** المؤرخ والعالم الطبيعي والجيولوجي والفلكي والرياضي يمثل مكانة فريدة بين علماء المسلمين. توفي عام ٤٤٢هـ (١٠٥٠م) محتفظا بقواه العقلية وثروته العلمية النادرة.

روى عنه **ياقوت في معجمه** نقلا عن الفقيه **أبي الحسن علي بن عيسى الولوالجي**:

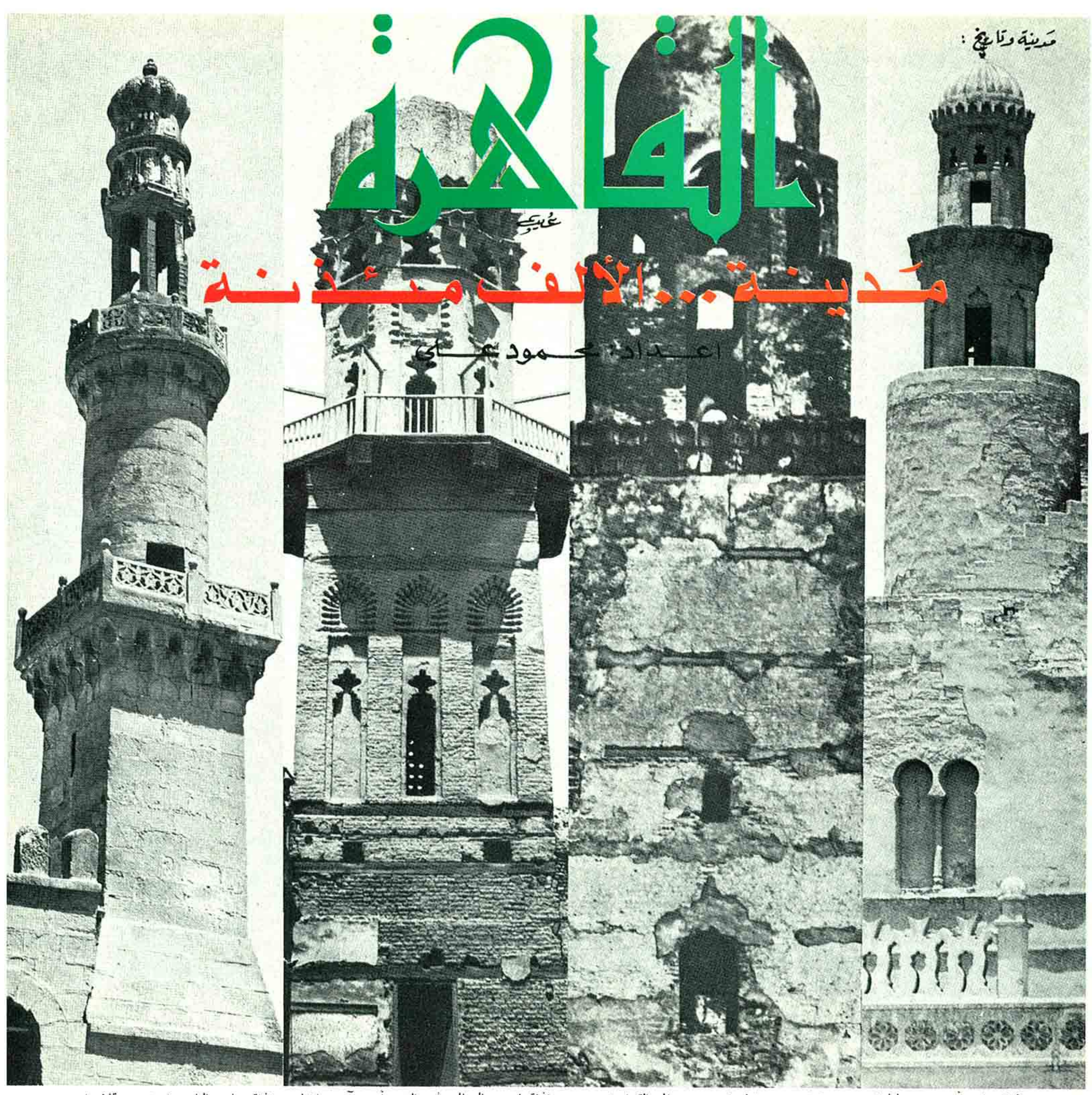
«دخلت على أبي الريحان وهو يجود بنفسه، قد حشرج نفسه، وضاق به صدره فقال لي في تلك الحال: كيف قلت لي يوما حساب الجدات الفاسدة – أي التي من قبل الأم – فقلت له اشفاقا عليه، أفي هذه الحالة؟ قال لي: يا هذا أودع الدنيا وانا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيرا من أخليها وانا جاهل بها؟ فاعدت ذلك عليه وحفظه وعلمني ما وعد وخرجت من عنده وانا في طريقي فسمعت الصراخ» رحمه الله.

الزوجة .. والكتاب

بعض النساء يكرهن الكتب الى درجة بعيدة .. حتى لتحس ان هذه الكتب هي ضرائر لهن .. وذلك اذا كان الزوج مشغولاً بكتبه وفي مكتبته معظم أوقاته .. وينعكس هذا الشعور لدى المرأة على سلوكها.

وقد صور الشاعر **محمود عمار** حالته مع زوجته من خلال **قصيدة** مؤثرة قال فيها:

تغار من الكتاب اذا رأتني ... أطالعه واترك وجنتيها
تضن بفكرتي فيما عداها ... وتنكر نظرتي الا اليها
وتنفر من مقال ليس فيها ... ولو شمل الحياة وملحقيها
و تحسب هيكلي و محيط نفسي ... بقية ارثها من والديها
وقد ظفر الكتاب ببعض هذا ... لذلك كان احدى ضرتيها
فنظم **(ابي العلاء)** احب منه ... حديث عن نظام ذؤابتيها
ونثر **(ابن المقفع)** لا يوازي ... نثار الورد من احدى يديها
وعلم الكون ان لم يرو عنها ... فذا لا ينطلي أبداً عليها
ولكن من كتابي لي اعتذار ... فهل هو رائج في مسمعيها
اطالعه فأفهم ما لديه ... ولم أفهم بجهدي ما لديها



القاهرة

مدينة.. الألف مئذنة

اعداد: محمود علي

مئذنة جامع أحمد بن طولون وترجع الى سنة ٢٦٥هـ.

مئذنة ضريح الجيوش وترجع الى القرن ٥هـ.

مئذنة ضريح الصالح نجم الدين أيوب آخر سلاطين الدولة الأيوبية وترجع الى القرن ٧هـ.

مئذنة جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة وترجع الى القرن ٧هـ.

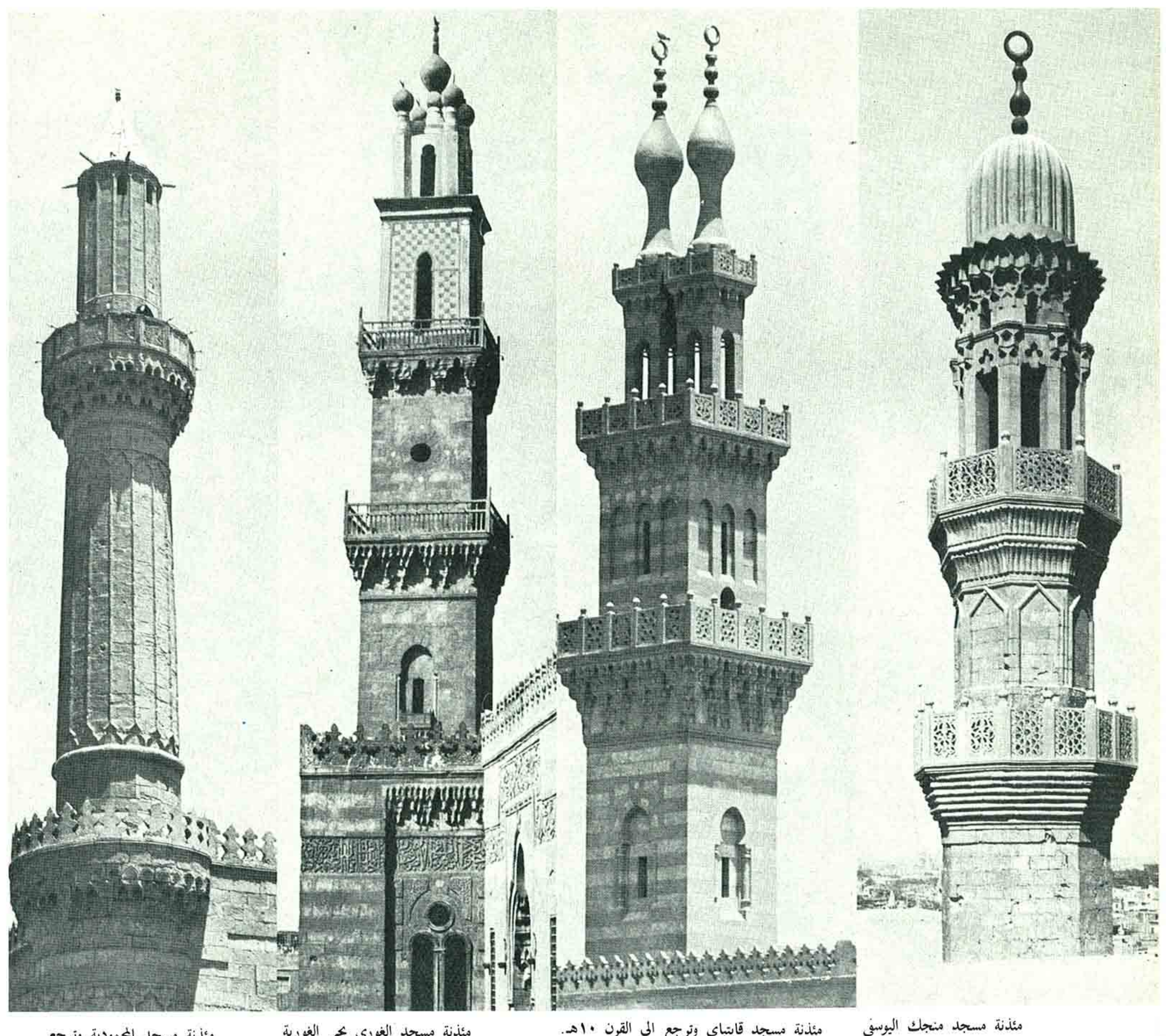
قاهرة اليوم ليست قاهرة المعز التي بناها جوهر الصقلي بل هي «اختصار» لتاريخ اكثر من عشر عواصم على امتداد الفين وخمسمائة عام.

قاهرة اليوم ليست ايضاً قاهرة المعز فقط .. فقد عرفت مصر أربع عواصم أخرى قبل أن تعرف باسم «القاهرة المعزية» وهي بهذا النسب التاريخي ايضاً قاهرة الالف مئذنة.

تاريخ القاهرة بهذا لا يرسم حدود تاريخ عاصمة فقط .. بل يمثل ايضاً تاريخ مصر .. وهذه الصفحات مجرد ضوء سريع على المدينة من خلال التاريخ.

للوهلة الاولى تبدو أمامنا القاهرة «**قاهرتين**» يبدو التناقض جذرياً بينهما:

** **القاهرة الاولى** التي تضارع بمبانيها ونظام حياتها



مئذنة مسجد منجك اليوسفي وترجع الى القرن ٨هـ.

مئذنة مسجد قايتباي وترجع الى القرن ١٠هـ.

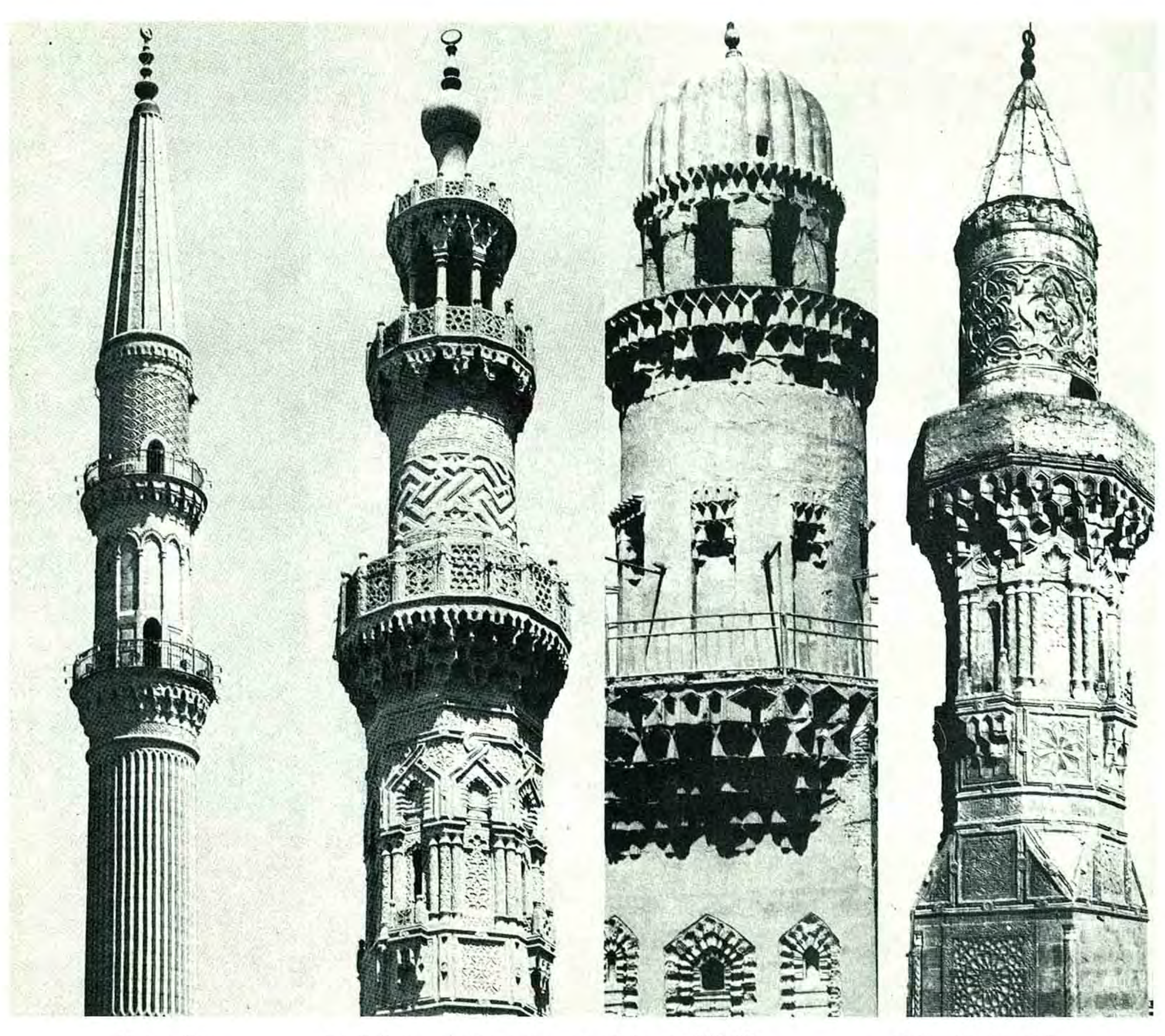
مئذنة مسجد الغوري بحي الغورية وترجع الى العصر العثماني.

مئذنة مسجد المحمودية وترجع الى العصر العثماني.

عواصم اوروبا وهي **قاهرة القرن العشرين** التي بدأ نسيجها يتشكل منذ أن هزمت جيوش المماليك أمام مدافع الحملة الفرنسية ليبدأ الاحتكاك الحقيقي بين حضارة الغرب وحضارة القاهرة منذ الفتح الاسلامي.

** أما **القاهرة الثانية** فهي لا تبعد كثيراً عن الاولى بل تتداخل معها تداخلاً لا يفقدها مذاقها ورائحتها. فهي بعطرها التاريخي وبعالمها الذي يبدو غريباً على هذا الجيل ما زالت تلعب دور الروح في جسد «**القاهرة الحديثة**» واذا كانت مباني القاهرة «التاريخ» تصارع عمارة القرن العشرين وتتفوق عليها بالاصالة فان انسانها يعيش نفس الروح .. عين على الماضي والاخرى على المستقبل محاولاً كأجداده ان يجمع خلاصة القديم والحديث.

والبداية قديمة جداً – **فعمر القاهرة ليس ألف سنة .. بل هو عمر اقترن بالحضارات المصرية القديمة** – فقد عرفت مصر اكثر من عاصمة منذ فجر تاريخها. عرفت مدينة «**اون**» سنة ٤٢٥ ق.م والتي سماها الاغريق «**هليوبوليس**» .. ويعرفها سكان القاهرة الآن باسم «**المطرية**» أي أن اول عاصمة لمصر كانت تبعد



مئذنة مسجد مغلباي طاز وترجع الى العصر العثماني.

مئذنة خانقاه بيبرس وترجع الى القرن ٧هـ.

مئذنة مسجد ازبك اليوسفي وترجع الى القرن ٨هـ.

مئذنة مسجد الحسين.

أميالاً قليلة شمال القاهرة الحديثة.

بعدها عرفت اكثر من عاصمة «**منف**» .. «**اهناسيا**» .. «**طيبة**» .. «**صان الحجر**» .. وغيرها .. ورغم تغير موقع العاصمة وتغير النظم السياسية فقد تحدد موقع العاصمة بموقع تفرع النيل وكما سنرى لم يكن هذا «الاختيار» عشوائياً بل ضرورة حضارية واستراتيجية. **وعندما فتح العرب مصر بقيادة عمرو بن العاص سنة ٢١هـ (٦٤١م) بنى «الفسطاط» شمال حصن بابليون. الذي يعرف الآن بمصر القديمة - عند رأس دلتا النيل لموقعها الاستراتيجي والعمراني**. فهي بقربها من **جبل المقطم** تصبح في مأمن من غزو العدو وفيضان النيل .. وهي بقربها من الاراضي الزراعية بمثابة مخزن مؤن للجيوش. وظلت «الفسطاط» مركز السيادة مائة وثلاث عشرة سنة. ولم يتبق منها الآن الا جامع عمرو ابن العاص. ثم كانت مدينة «**العسكر**» سنة ١٣٣هـ (٧٥١م) والتي عاشت مائة وثماني عشرة سنة ويسكنها خمسة وستون والياً لتخلفها «**القطائع**» (٢٥٦هـ - ٨٧٠م) التي بناها **احمد بن طولون** ولم يبق منها هي الاخرى الا «**جامع ابن طولون**» الذي يشير



الجامع الأزهر – من الداخل.

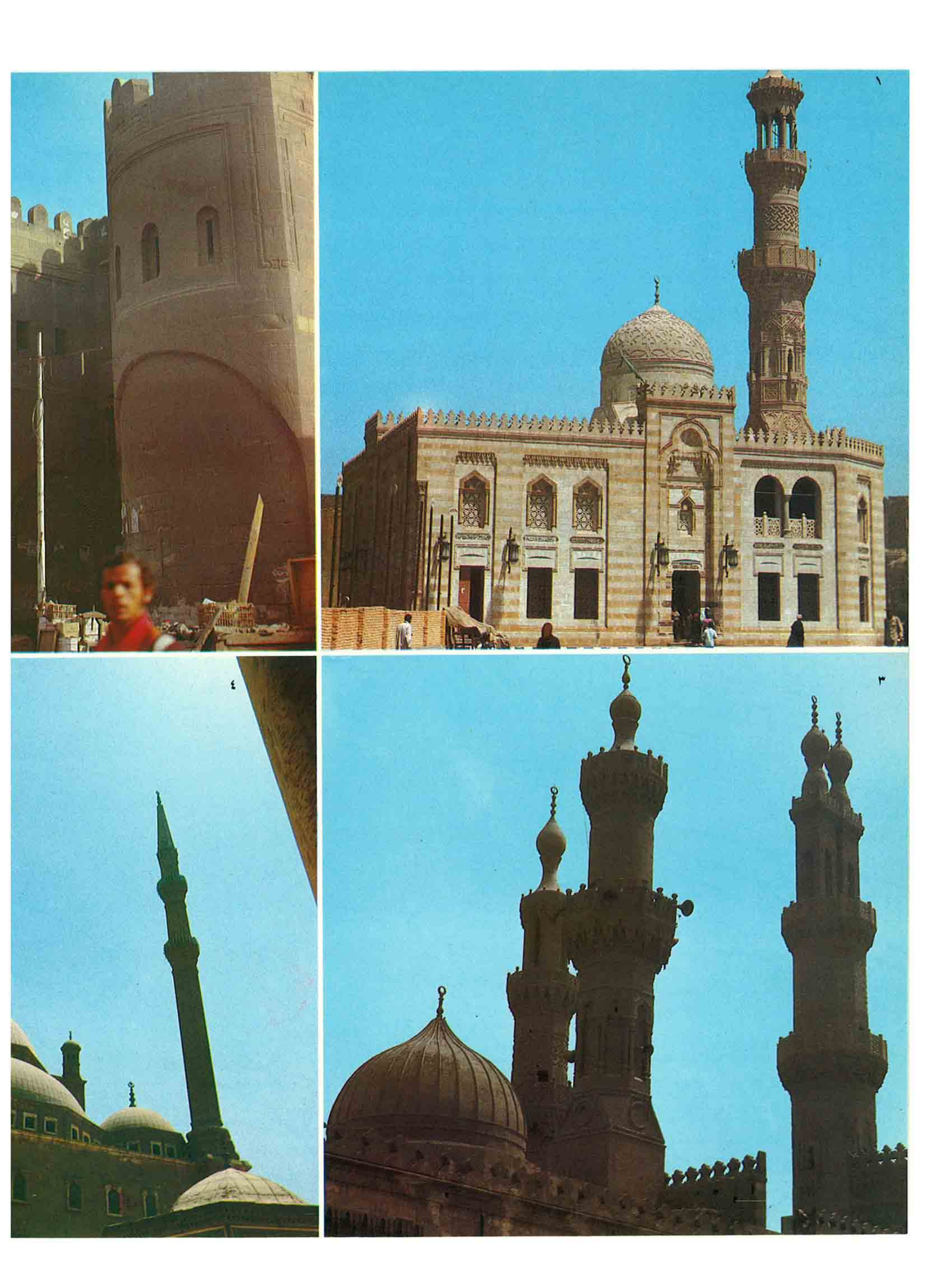
بناؤه الى مدى تأثر العاصمة بمدينة **«سامراء»** فقد كانت مقسمة الى خطط او قطائع تضم كل قطعة منها مجموعة من السكان الذين تجمعهم رابطة العرق او العمل .. ومن هذا التخطيط جاء اسمها. ومن بعدها جاءت **«القاهرة المعزية»** وهي التي استطاعت ان تصمد امام التاريخ والاحداث والتي **سماها ابن خلدون** **«مدينة المدن»** وكما ينشأ الوليد ويمر بمراحل من الطفولة والصبا والشباب مرت القاهرة باطوار .. كل منها يعكس روح عصره. فكيف نشأت القاهرة؟ وما هي ملامحها الاولى؟.



الجامع الأزهر – من الخارج

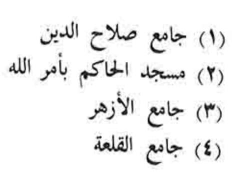
نشــأة القاهــرة

كانت مصر أملاً ومطمحاً للفاطميين. أملاً لم يتحقق الا زمن **المعز لدين الله الفاطمي** الذي امر قائده «**جوهر الصقلي**» ان يخطط لغزو مصر .. فما كان منه الا ان حشد مائة الف رجل استطاع بهم ان يغزو مدينة «الفسطاط» سنة ٣٥٨هـ – ٦ يوليو ٩٦٩م). وفي مساء يوم الفتح امر بوضع حجر الاساس لقصر يستقبل فيه المعز بنى حوله سوراً من اللبن على شكل مربع وعلى مساحة ٣٤٠ فداناً .. منها سبعون فداناً للقصر الكبير وخمسة وثلاثون للبستان ومثلها للميادين والباقي وزع على الفرق العسكرية

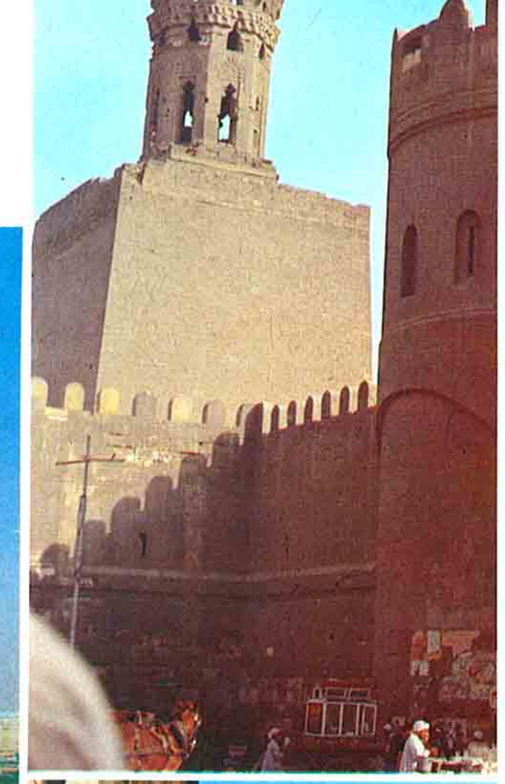


في نحو عشرين خطة. وكما يقول **المقريزي** : «**كان المقصود من بناء القاهرة ان تكون منزل سكن للخليفة وفرقه وجنده ومعقلاً يتحصن به ويلجأ اليه**».

هكذا كانت بداية القاهرة .. متواضعة .. بمثابة قلعة شأنها شأن مدن العصور الوسطى. ولقد حملت لاربع سنوات اسم «**مدينة المنصورية**» حتى قدوم المعز الى مصر فأطلق عليها الاسم الذي نعرفه الآن. وهو اسم اقترن باكثر من قصة اكثرها شيوعاً ما قيل في ان جوهر الصقلي اعد اجراساً تدق جميعها عند لحظة



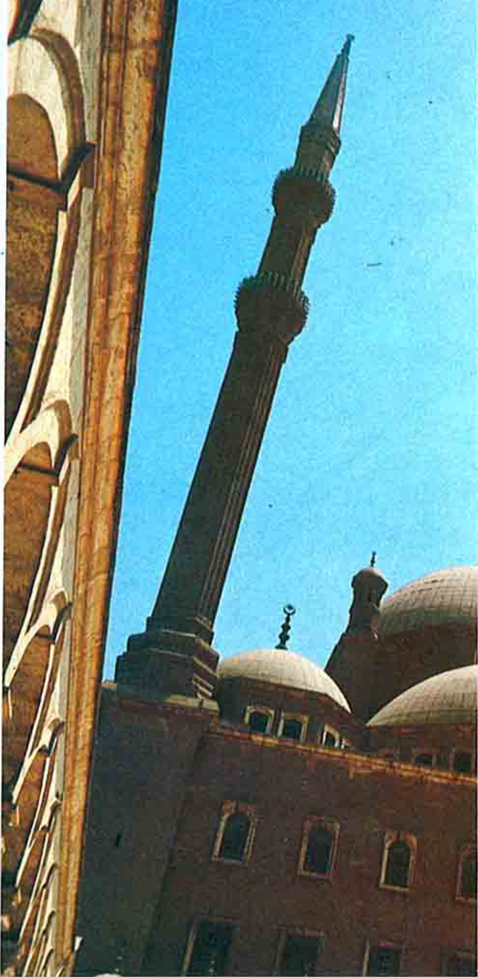
(١) جامع صلاح الدين
(٢) مسجد الحاكم بأمر الله
(٣) جامع الأزهر
(٤) جامع القلعة



٢



كوبري الجلاء ↑



وضع الاساس وترقب الجميع مرور كوكب ميمون الطالع لبدء العمل ولكن غراباً حط على احد الاجراس فدقت كلها .. في نفس وقت ظهور كوكب المريخ او قاهر المريخ. فلما علم الخليفة المعز بذلك في ٥ رمضان سنة ٣٦٢هـ — ١٠ يوليه سنة ٩٧٢م وكان عالماً بالتنجيم استبشر به .. وسميت «**القاهرة المعزية او قاهرة المعز**» واصبحت عاصمة الخلافة الفاطمية.

كانت القاهرة حينذاك بمثابة «**حي ملكي**» به مساكن الامراء ودواوين الحكومة يحوطها سور سميك زاد في بنائه فيما بعد امير



الجيوش **بدر الجمالي وصلاح الدين** أيام كان وزيراً .. وكان لها ثمانية ابواب لم يتبق منها الآن سوى «**باب زويلة**» و«**باب النصر**» و«**باب الفتوح**».

يصف الرحالة «**ناصف خسرو**» بعض ملامح القاهرة زمن الفاطميين فيقول:

«كان قصر السلطان وسط القاهرة يحرسه كل ليلة الف رجل .. خمسمائة راجل وخمسمائة فارس ينفخون البوق ويدقون الطبول من وقت صلاة المغرب».

«وقيل ان به ما لا يقل عن عشرين ألفاً وكانت كلها ملكاً للسلطان وكثير منها يؤجر بعشرة دنانير مغربية في الشهر وليس بينها ما تقل اجرته عن دينارين .. والاربطة والحمامات والابنية الاخرى كثيرة لا يحدها الحصر وكلها ملك للسلطان. اذ ليس لاحد ان يملك عقاراً او بيتاً غير المنازل وما يكون قد بناه الفرد لنفسه. ويجلب ماء الشرب من ماء النيل والابار القريبة. ويقال ان في القاهرة اثنين وخمسين الف جمل يحمل عليها «السقّاءون» الروايا .. عدا من يحمل الماء على ظهره. اما عن بيوتها فانها من النظافة والبهاء بحيث تقول انها بنيت من الجواهر الثمينة .. لا من الجص والآجر والحجارة».

في العصر الفاطمي

لقد شهدت القاهرة **زمن الفاطميين** ايام عز قل ان عاشته عاصمة اخرى. كان الخليفة المعز عادلاً .. يحب الجمال فانعكس هذا على عصره. البس القاهرة حلة قشيبة من المجد والازدهار. بنى في عهده القصرين الكبير والصغير ودار الحكمة **وميناء المقش (وموقعه قرب ميدان رمسيس الآن)** والذي ظل مرفأ القاهرة حتى تحول النيل عن مجراه وظهرت «**بولاق**» كميناء فيما بعد. «كان يبلغ خَرج الجيش الذي يرافق السلطان الف دينار مغربي في اليوم .. عشرون ديناراً لكل رجل فيه نفقاتهم في الشهرين ستون الف دينار مغربي».

وشهدت القاهرة زمن الفاطميين من الاعياد ما لم تشهده في حياتنا .. وما زال بعضه قائماً حتى اليوم. فهم اصحاب الاحتفال باول العام الهجري ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ويوم عاشوراء ووفاء النيل وخروج قافلة الحج الى الحجاز. بل واحتفلوا ببعض الاعياد القبطية مثل «ليلة الغطاس» و«النيروز» كانوا يريدون بهذا كله كسب ود الشعب خاصة وانهم اصحاب مذهب الشيعة .. الجديد على المصريين.

← مسجد الحسين في اماسي شهر رمضان المبارك

وكان انشاء **الجامع الازهر** دليلاً على هذا. لقد وضع «جوهر» حجر الاساس اسوة بجامع عمرو بن العاص في «الفسطاط» وجامع ابن طولون في «**القطائع**» كي تقام فيه الصلوات الجامعة ولكي يدرس فيه **المذهب الشيعي** ويعتبر اقدم اثر باق للعمارة الفاطمية في مصر رغم ما ادخل عليه من تعديلات وزيادات بعد ذلك حتى اصبحت مساحته الآن اكثر من ١٢ الف متر مربع.

وفيما عدا مجاعة السنوات السبع التي مرّت بها القاهرة زمن «المستنصر» والتي «لم يجد الناس فيها حيواناً يقتلوه ليأكلوا فاختطفوا بعضهم بعضاً وباع القصابون لحم الانسان وحصد الموت بمنجله اسرة بعد اسرة .. واضطر الخليفة ان يعيش على رغيفين».

فيما عدا هذه المجاعة عاشت القاهرة عصر ازدهار. فقد اصبح الجامع الازهر جامعة للعالم الاسلامي يتوافد اليه الطلبة من كل مكان .. وبلغ عددهم تسعة آلاف طالب. كما شهد عصرهم أسماء علماء نبغوا في الطب والفلك والكيمياء مثل «**ابن يونس**» في الرياضيات و«**ابو الحسن بن جعفر**» أشهر اطباء عصره وله اكثر من تسعين بحثاً في الطب اهمها كتاب «الاصول في الطب» ... و«**ابن الهيثم**» في الطبيعة الذي تدين له اوروبا لما قدمه من دراسات في علم البصريات. ولا أدل على عز ايامهم من ان التاريخ يحدثنا عما تركوه من مخلفات وآثار «استمر فيها البيع عشر سنين بعد ان استولى الايوبيون على الحكم .. ولم ينقض وقت طويل على قصورهم حتى سكنها العامة».

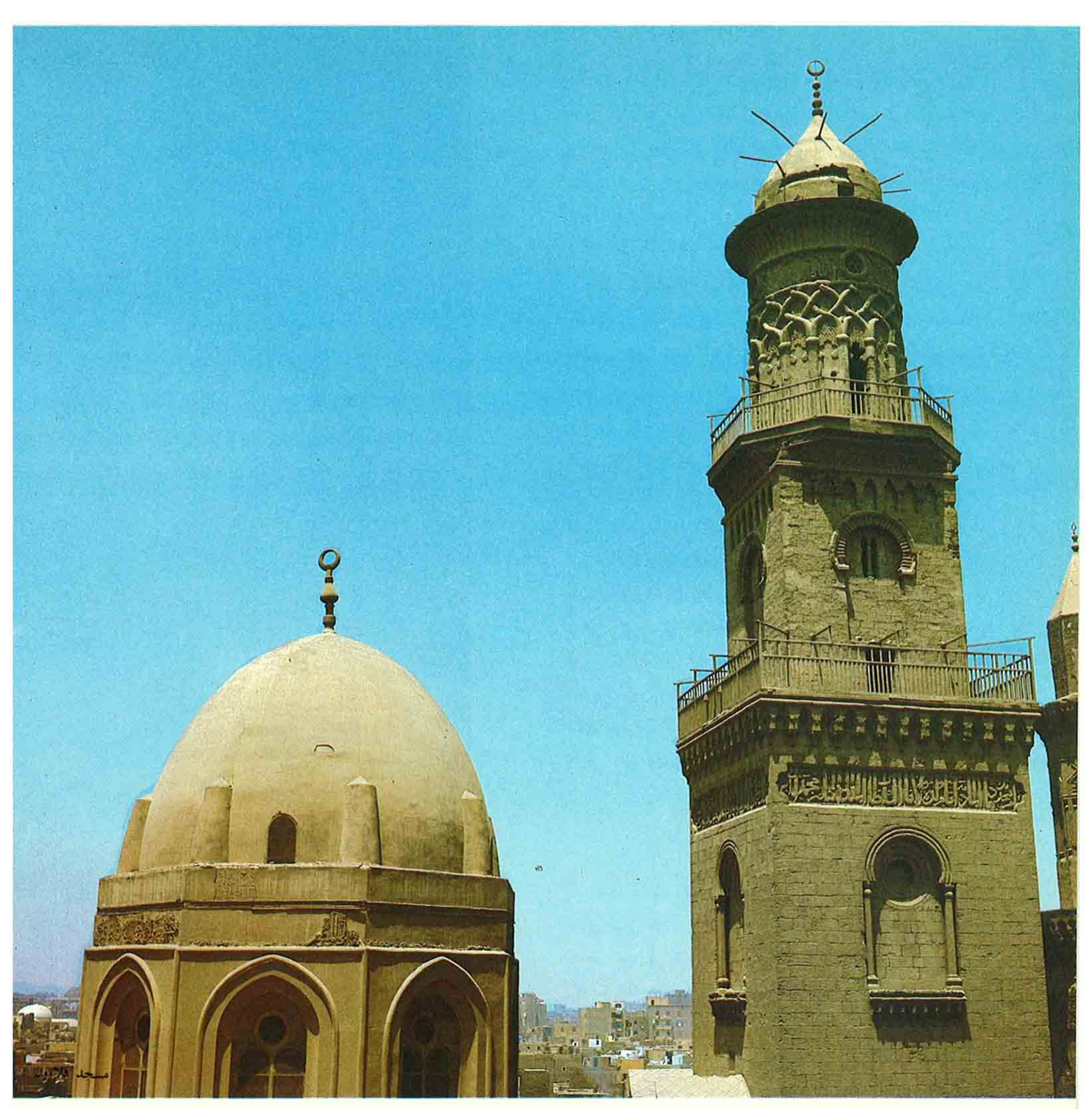
الدولـة الايوبيــة

فاذا كانت **الدولة الايوبية** برز اسم **الناصر صلاح الدين** الذي قضى حياته في صد هجمات الصليبيين من القاهرة كقاعدة يزحف منها الى **بلاد الشام** ومع انه لم ينعم بحياة هادئة في القاهرة الا انه ترك عليها بصماته الواضحة ومن اثارة «**القلعة**» التي تحمل اسمه دليل عبقريته الهندسية والحربية. يقول كاتبه «**عماد الدين**» حول سبب بنائها .. «لما ملك مصر رأى ان مصر والقاهرة لكل واحدة منها سور لا يحميها فقال: ان أفردت لكل واحدة منها سوراً احتاجت الى جند كثير يحميها .. واني ارى ان ادير سوراً واحداً من الشاطئ وامر ببناء القلعة في الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المقطم» ومعه امتدت البيوت غرباً وجنوباً وارتفعت بعض الدور الى طبقتين واربع طبقات.

ومن اجل نشر تعاليم المذهب السني انشأ المدارس. فمدرسة **للمالكية** واخرى **للشافعية** وثالثة **للحنفية** .. حتى وصل عددها زمن الايوبيين بالقاهرة وحدها ثلاث عشرة مدرسة .. هذه



← «حي الحسين» حركة دائبة ليلاً ونهاراً

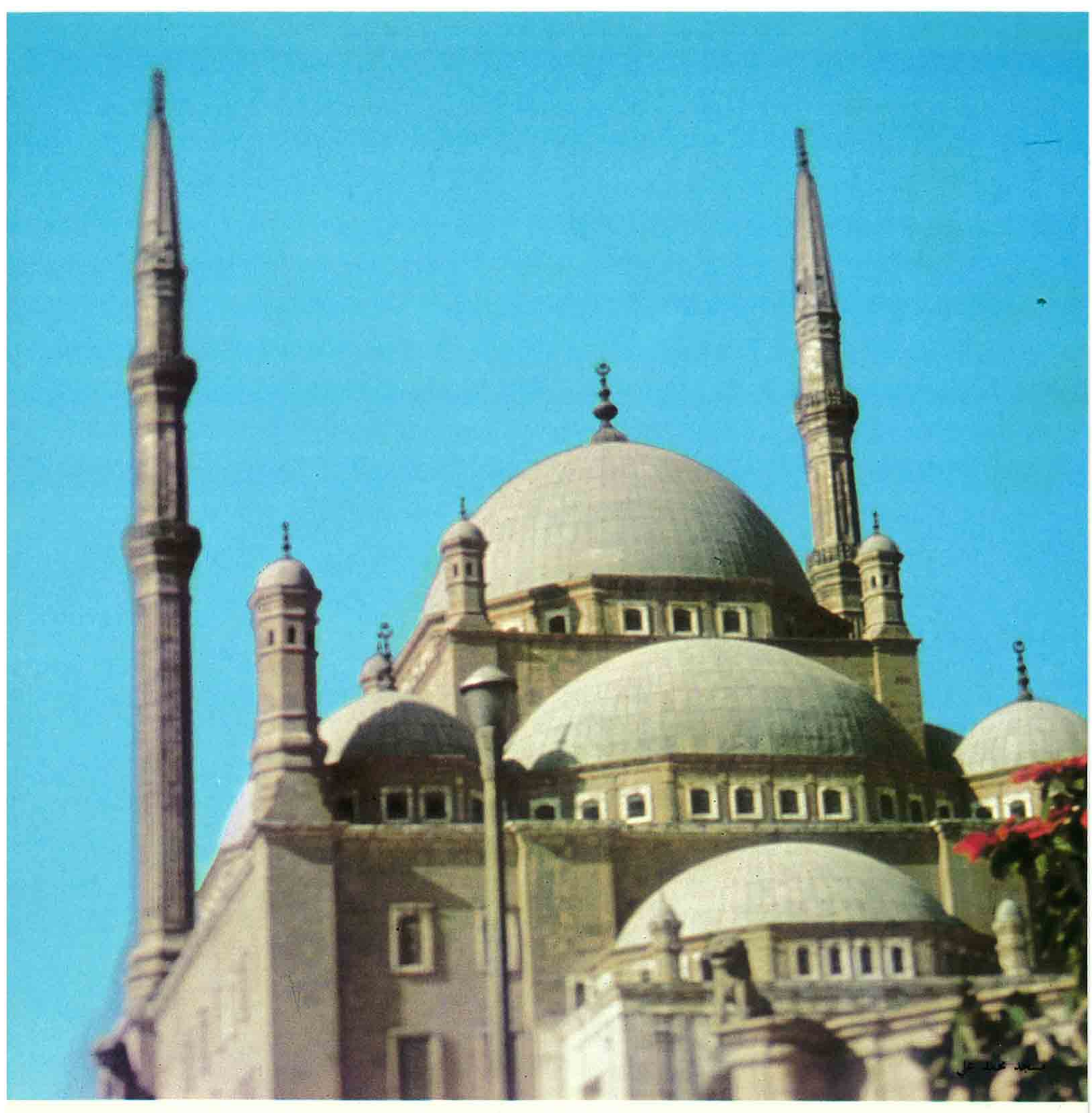

مسجد قلاوون

المدارس ادخلت شيئاً جديداً على فن العمارة. فقد كانت الجوامع ذات تخطيط هندسي واحد الغرض منها تجمع المسلمين لصلاة الجمعة وكان اهم اجزاء الجامع هو «**ايوان المحراب**» فجاء المعمار الايوبي لينشئ مربعاً صغيراً اقيمت في وسطه قبة وفي اركان الجامع الاربعة اجنحة مستقلة كل جناح منها لمذهب من المذاهب الاربعة يجتمع فيها الطلبة لدراسة امور دينهم.

ظاهرة اخرى نشأت في القاهرة ايام الايوبيين وهي ازدهار **الصوفية** وابرزهم «**ابن الفارض**» (١٢٣٥م) و«**محمد بن سعيد البوصيري**» ١٢٩٦م «**وعطاء الله الشاذلي**» الذي قضى معظم حياته في مصر ومات بها سنة ١٢٥٨م.

زمن المماليك

والقاهرة القديمة كما يراها زائر اليوم هي اساساً قاهرة المماليك

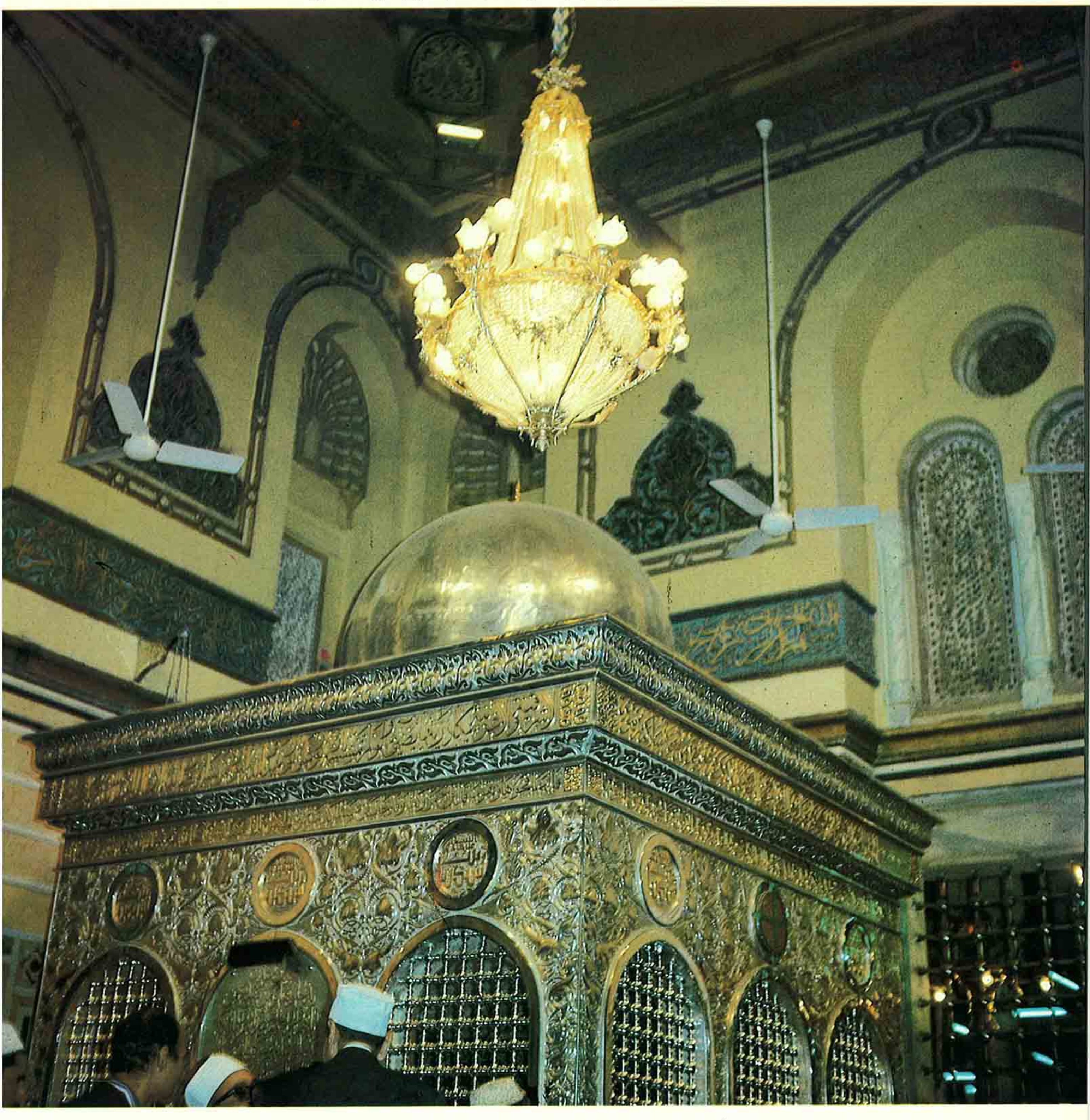


مسجد محمد علي

فاذا كانت يد الزمن والعمران قد خلفت من ورائها بقايا مسجد او سور او مدرسة من ايام الفاطميين، والأيوبيين فان آثار العصر المملوكي شاهدة على عز أيامه. لم تستطع يد الزمن ان تغير كثيراً منها ان حي «**خان الخليلي**» وما يحيط به من مبان قديمة هو بعض هذه البقايا من عصر المماليك الذهبي يكفي ان نعرف «انه بني ايام الملك الظاهر بيبرس ما لم يبن في ايام-الخلفاء الفاطميين وملوك بني ايوب من الابنية والرباع والخانات والدور والمساجد والحمامات».

واتسعت مساحة القاهرة زمن المماليك البحرية فامتدت جهة الشمال عبر الصحراء والشمال الغربي ولم يترك قطعة ارض فضاء داخل القاهرة الا أقاموا فيها الجوامع والمدارس والاضرحة وكان حكم «**الناصر بن قلاوون**» ذروة عصر القاهرة الذهبي فقد ألغى الضرائب الباهظة وعوقب بالجلد الطحانون والخبازون الذين حاولوا رفع الاسعار .. وشجع على التجارة فوصلت الهند

صورة لجانب من المقصورة الجديدة المهداة لمسجد السيدة زينب من طائفة البهرة



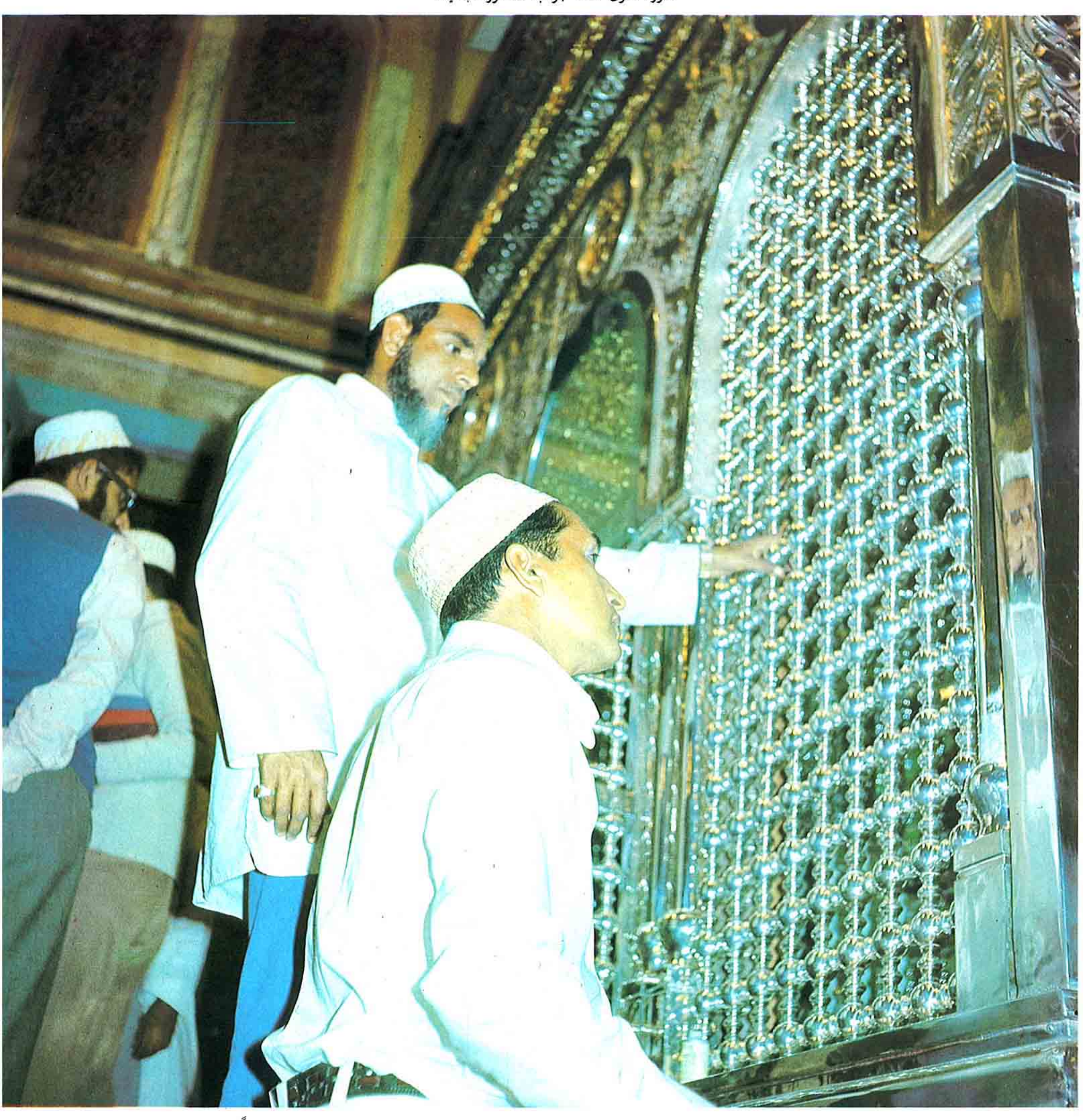
والصين. وأنشأ اكثر من اربعين مسجداً ومدرسة فيما بين سنة ١٣٢٠ و ١٣٦٠ أي اكثر من ربع مجموع العدد الذي سجل منذ القرن الهجري حتى ايام المقريزي. ولا يزال الكثير منها قائماً مثل **«جامع الامير حسن»**، ٨١٢هـ و**«جامع قوصون»** ٧٣٠هـ، **وجامع بشتاك**، ٧٣٦هـ، **وجامع شيخو**، ٧٥٠هـ، وغيرها من المساجد والمدارس. **وان اختفى جزء كبير من مساجد المماليك فان**

جامع السلطان حسن (٧٦٠هـ) المواجه للقلعة من اروع ما خلفوه من عمارة. ويقال ان السلطان قطع يد مهندسه حتى لا يبني نظيره.

وأهم ما يميز عمارة المماليك ثلاث خصائص هي:

* الاهتمام بواجهة المساجد.

صورة أخرى لأحد جوانب المقصورة الجديدة



* تطور المآذن التي اصبحت اكثر رونقاً وجمالاً في الزخرفة.

* بناء القباب .. فقد كان القبر ملاصقاً للبناء الرئيسي.

لقد استفادت القاهرة ايامهم من موقعها كعاصمة لتجارة «الترانزيت» بين الشرق والغرب .. «كانت السفينة الواحدة التي تفرغ حمولتها في **الاسكندرية** تدفع رسوماً جمركية مقدارها واحد وعشرون الف جنيه» وحتى اكتشاف **طريق الكاب** عام ١٤٩٨م كان المماليك يحتكرون تجارة الهند مع بلاد المشرق. وكان لابد للقاهرة ان تستقبل يومياً وفود التجار من كل مكان فأنشأت الخانات والفنادق التي ما زال بعضها قائماً حتى اليوم تموج بالسياح والتجارة .. لكن من نوع آخر .. مثل «خان الخليلي»

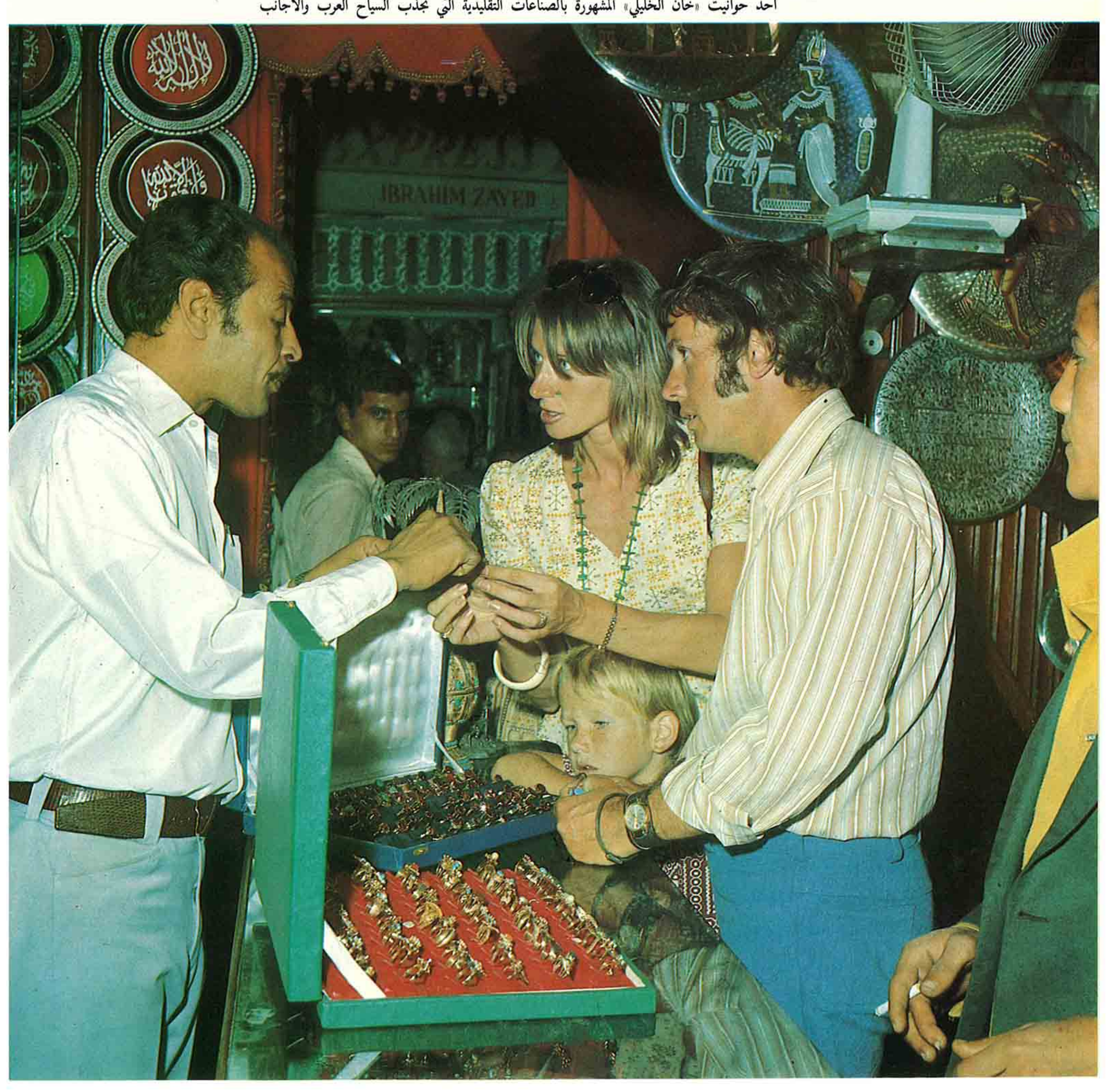
الذي انشأه الامير «**جهاركس الخليلي**» و«**الحمزاوي او سوق القماش**» ووكالة **قايتباي** حتى كان في القاهرة عندما وصفها المستشرق «**لين بول**» عام ١٨٣٥ مائتا وكالة. وكان من اشهر فنادقها «**خان سرور**» و«**فندق بلال**» و«**خان السبيل**». ومن الاسواق «**القصبة**» التي كانت تضم اثني عشر الف حانوت. و«**سوق السلاح**» .. و«**سوق بين القصرين**» اما حمامات القاهرة فقد بلغت اربعة وأربعين.

وقد وصف المقريزي في خططه ٣٧ حارة او حياً وثلاثين خطاً و ٦٥ شارعاً و ٢١ زقاقاً و٤٩ ميداناً و٥٠ سوقاً و ١١ خاناً وفندقاً و ٥٥ قصراً و ١٨ بستاناً و ١١ ميداناً للسباق.

وكما اضاف الموقع الجغرافي للقاهرة الثروة اضاف نيلها اراضي جديدة مثل ميناء بولاق الذي بنيت حوله الدور والقصور .. وارض الطبالة و«**حي الظاهر**» الآن و«**الحسينية**»

لم تعد القاهرة زمن المماليك مجرد «معقل» يحمي السلطان

أحد حوانيت «خان الخليلي» المشهورة بالصناعات التقليدية التي تجذب السياح العرب والأجانب



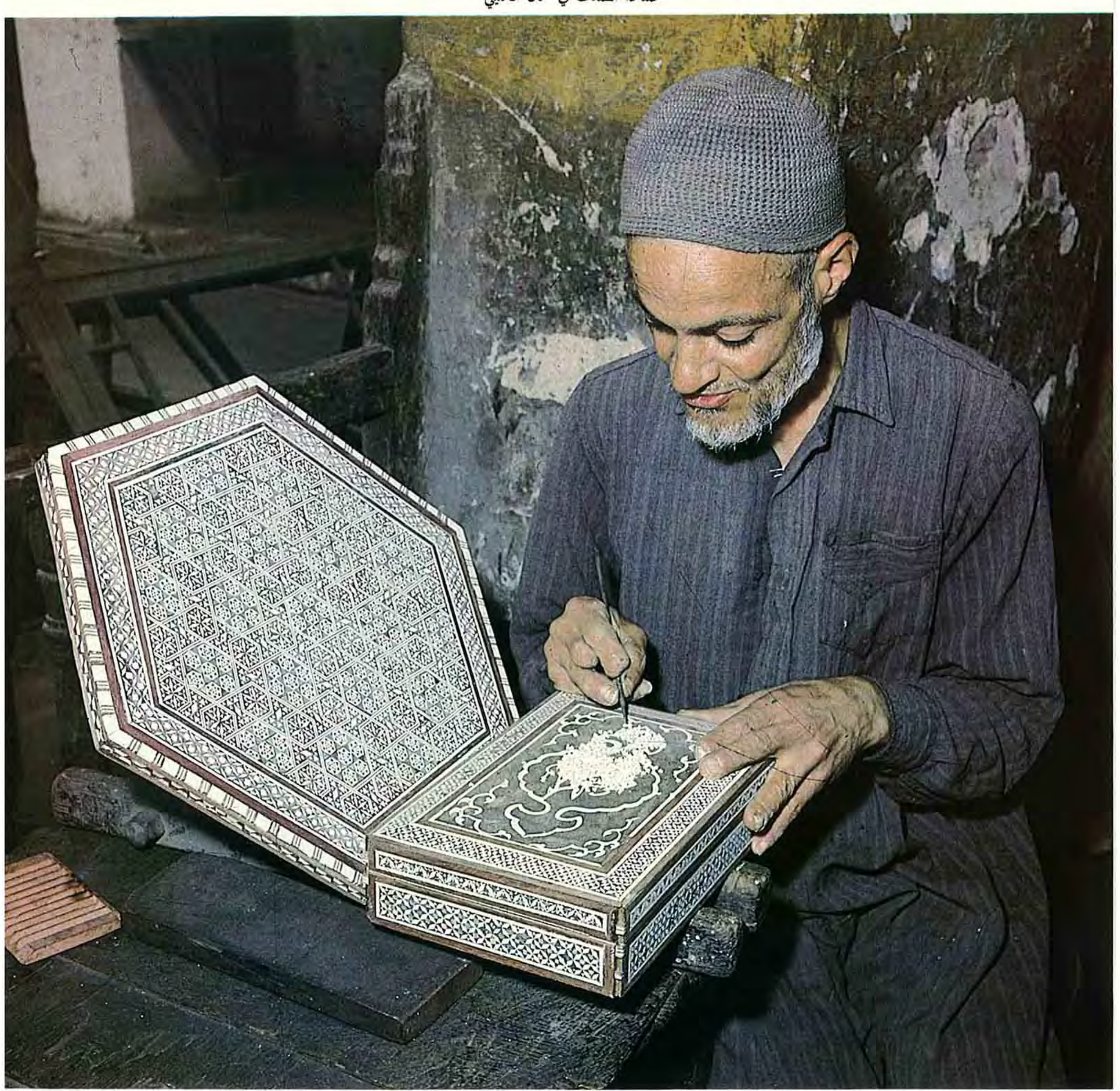
وانصاره ويعزلهم عن عامة الشعب كما بدأت القاهرة .. بل امتدت من جميع نواحيها فيما عدا الشرق.

والى هذه العصور يرجع مؤلف مثل «**ستانلي بول**» في كتابه عن سيرة القاهرة نشأة «**قصص الف ليلة وليلة**» التي سجلت حياة الناس .. «فأبطال قصصها الحقيقيون هم التجار واصحاب الحوانيت التي شهدتهم قاهرة المماليك عبر خاناتها وحركة البيع والشراء التي تدور بين شوارعها والتي ما زالت تحتفظ باسمائها مثل «**الصليبية**» و«**بين القصرين**» و«**الدرب الاصفر**» و«**حارة برجوان**».

ويصف الرحالة الالماني «**ارنولدنون هارف**» قاهرة «قايتباي» حيث زارها وهو في طريقه الى **القدس** .. يصفها بقوله:

«يوجد بها ٢٤٠٠٠ شارع وحارة منها **٢٤** شارعاً رئيسياً يمتد احدها من المطرية ويمر بالقلعة وترش هذه الشوارع بالماء ثلاث مرات يومياً. ولكل شارع بوابتان عند طرفيه تغلقان ليلاً ويقف

صناعة الصدف في خان الخليلي



شارع من أحياء القاهرة – تصوير زيتي.

بيت السحيمي بالقاهرة للفنان عبدالعزيز درويش

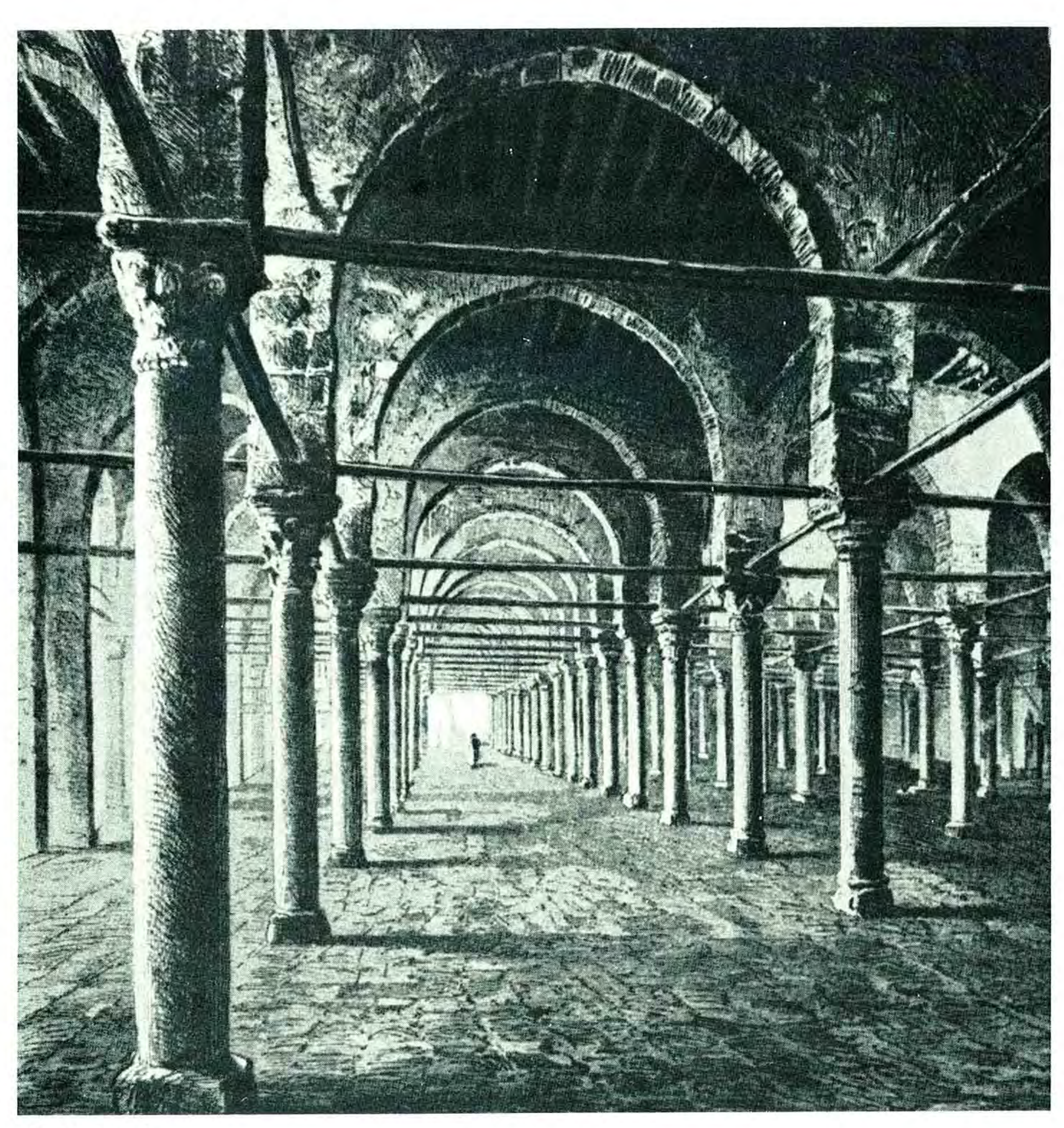


عليها الحراس. وفي كل شارع طباخ ومخبزان او اكثر حسب طول الشارع وحاجة سكانه».

هذه الابواب او الاحياء المغلقة على سكانها مع حلول الليل التي تحدث عنها الرحالة الالماني ظلت تؤدي وظيفتها في منع السرقات او المقاومة حتى القرن التاسع عشر .. لكن هذه قصة اخرى.

العصـــر العثمانـــي

يبدأ باستيلاء **السلطان سليم** على مصر عام ١٥١٧م حتى يتركها بعد ما يزيد على قرن .. ومع ذلك لم يذكر التاريخ شيئاً كثيراً عنه فقد ظلت القاهرة بحدودها القديمة فكان «**باب الحديد**» نهاية حدود مبانيها من جهة الشمال الغربي و«**الازبكية**»

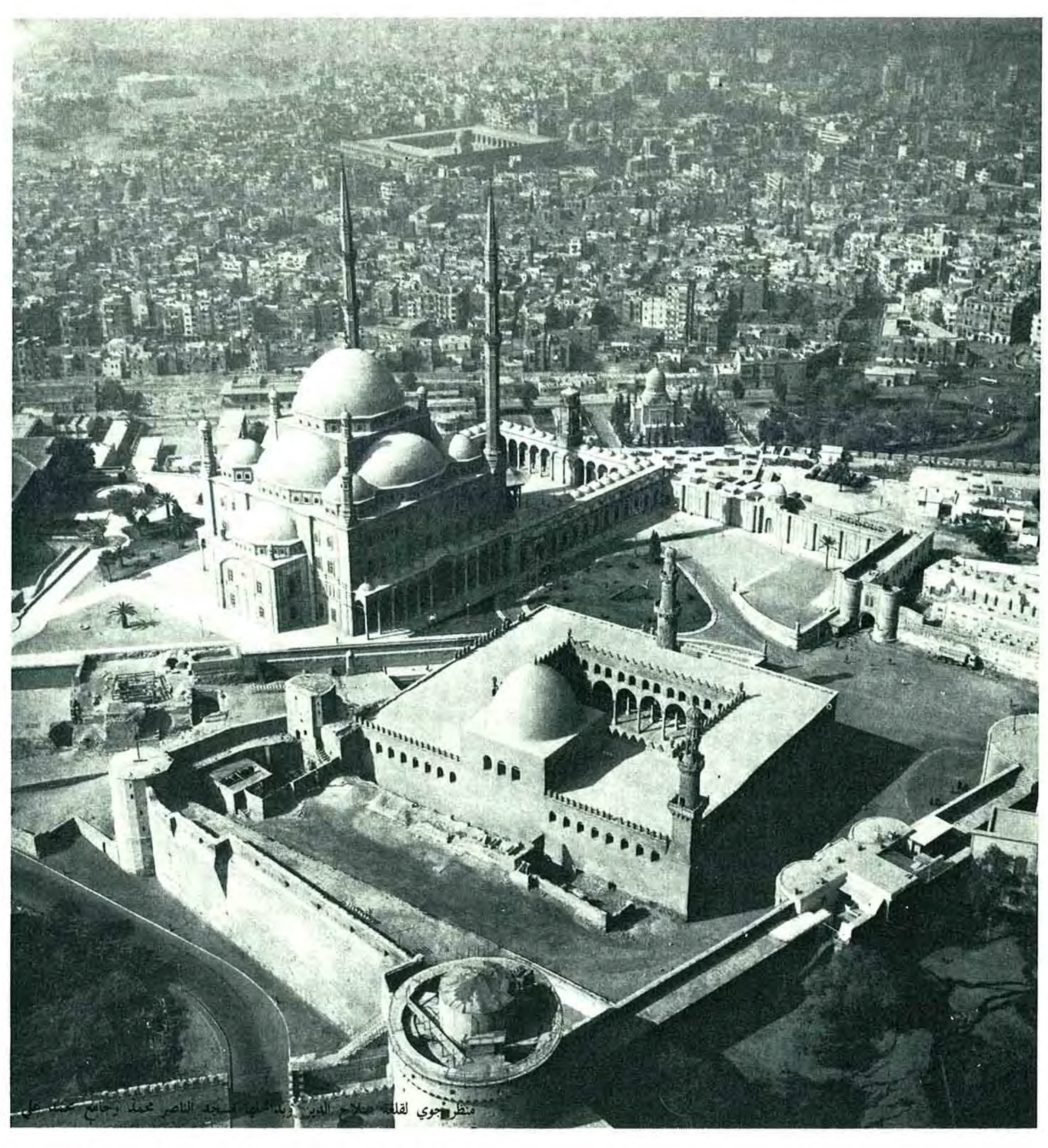


جامع عمرو «مستنسخة»

وما حولها غرباً.

خرج السلطان سليم من مصر بعد ثمانية اشهر يصحبه الف جمل محملة ذهباً وفضة وتحفاً وسلاحاً .. والفان من امهر الحرفيين والعلماء خرج ليترك القاهرة نهباً لصراعات رجاله.

وتفاصيل حكم العثمانيين يختلف حولها المؤرخون مثل «**ابن اياس**» و«**الجبرتي**» من العرب او الرحالة الاجانب. فبينما يقول «**هاكلو**» ان محيط القاهرة كان ٣٣ كيلومتراً في القرن السادس عشر .. يقول آخر هو «**كوربييه دي نبوا**» ان طولها ١١ كيلومتراً وعرضها خمسة كيلومترات .. ويصف الرحالة «**دي تيفنو**» القاهرة سنة ١٦٥٦م «كانت المنازل تبنى بدون ان يراعى في بنائها تخطيط المدينة .. فكان كل انسان يبني حيث رغب وكما شاء ذوقه دون ان يكترث بخط الشارع او استقامته».



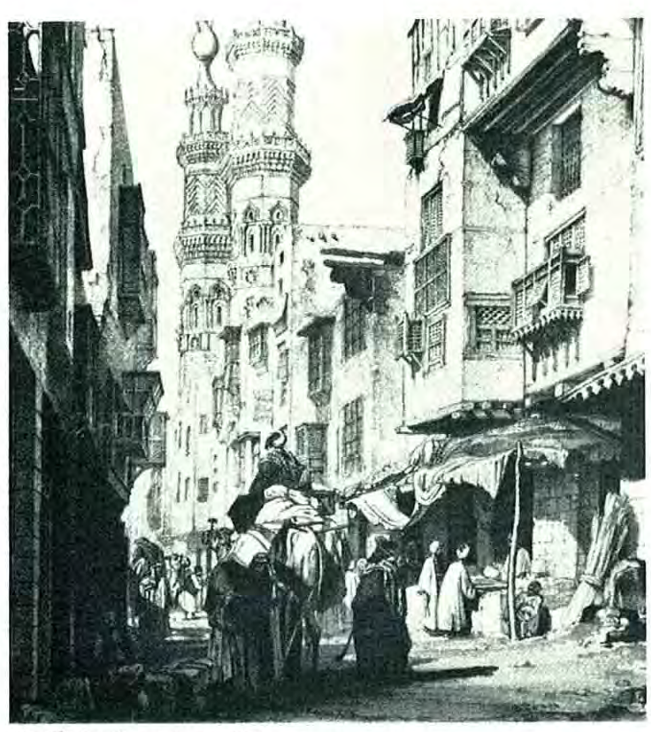
منظر جوي لقلعة صلاح الدين وبداخلها مسجد الناصر محمد وجامع محمد علي

وتوالى الاسماء الحاكمة. شركس .. ابراهيم .. رضوان .. وعلي بك .. ابو الذهب .. مراد وابراهيم .. ولا يذكر منهم الا «ابو الذهب» الذي بنى مدرسته تجاه الجامع الازهر على طراز «**جامع سنان ببولاق وعبد الرحمن كتخذا**» وتحولت اسواق القاهرة الى اماكن مهجورة بعد ان انقطع عنها طريق التجارة .. كما تحولت القاهرة الى قلعة تغلق ابوابها بمجرد ظهور العسكر في الطرق العامة وانطفأت شعلة العلم فاصبحت اللغة التركية لسان

الحكومة بدلاً من العربية وانتشرت الخزعبلات بين الناس. ومن عجائب ذلك العصر كما يقول الجبرتي في يومياته ان اشيع بين الناس ان القيامة ستقوم يوم الجمعة في السادس والعشرين من ذي الحجة (١١٤٧هـ - ١٧٣٤م) فودع الناس بعضهم بعضاً وخرجوا الى الحقول والمتنزهات قائلين «دعونا نودع الدنيا» ومضى يوم الجمعة واصبح السبت وهم يقولون ان فلاناً العالم قال ان سيدي احمد البدوي والدسوقي والشافعي تشفعوا في ذلك وقبل



صورة مستنسخة لاحدى شوارع القاهرة القديمة.



صورة مستنسخة لاحدى شوارع القاهرة القديمة.



اسواق القاهرة في القرن التاسع عشر.



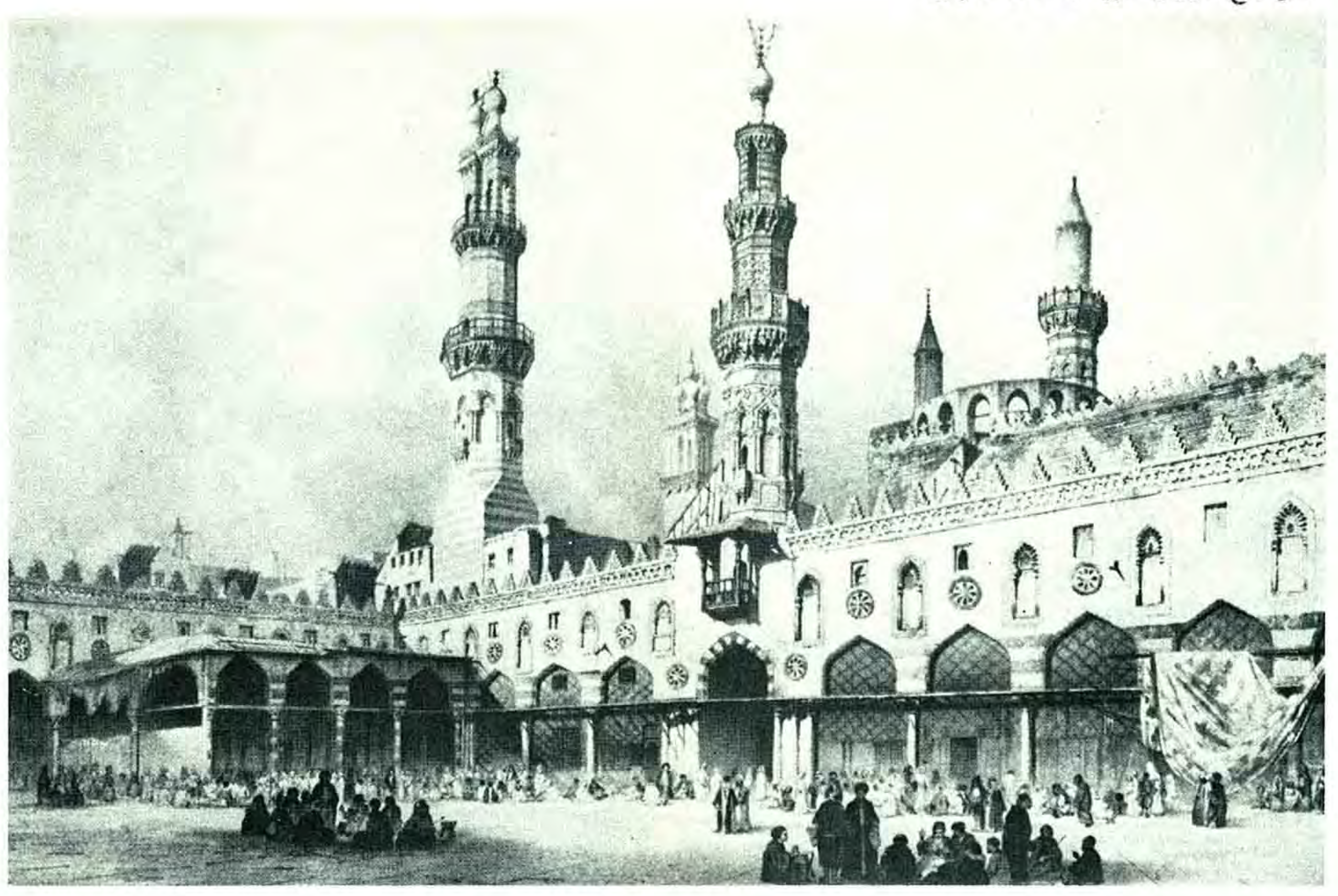
لا تزال الموسيقى العربية تحتفظ بآلاتها المتميزة.

الله شفاعتهم فيرد عليه الآخر «اللهم انفعنا بهم .. فاننا ياأخي لم نشبع من الدنيا».

أيــام نابليــون

من اجل هذا لم تكن هزيمة المماليك امام الفرنسيين هزيمة عسكرية فقط .. بل هزيمة حضارية. كانت القاهرة عند قدوم **نابليون** تمتد حدودها الشمالية بين الحسينية وباب الحديد جنوبا من القلعة الى **باب عرب اليسار** الى **باب السيدة زينب** الى **جامع السيدة نفيسة** فباب طولون فالبغالة وباب السيدة زينب. وشرقاً من القلعة فباب اللوق حتى باب السيدة زينب. كانت بولاق ومصر القديمة تعدان من ضواحي القاهرة .. تضم ما بين ٢٥٠-٢٦٠ الف من السكان و ١٢٠٠ مقهى ينشد فيها الرواة والمنشدون قصصهم الشعبية التي تذكرهم بمجد الآباء والاجداد.

صحن جامع الأزهر وقد ظهرت به حلقات الدارسين.



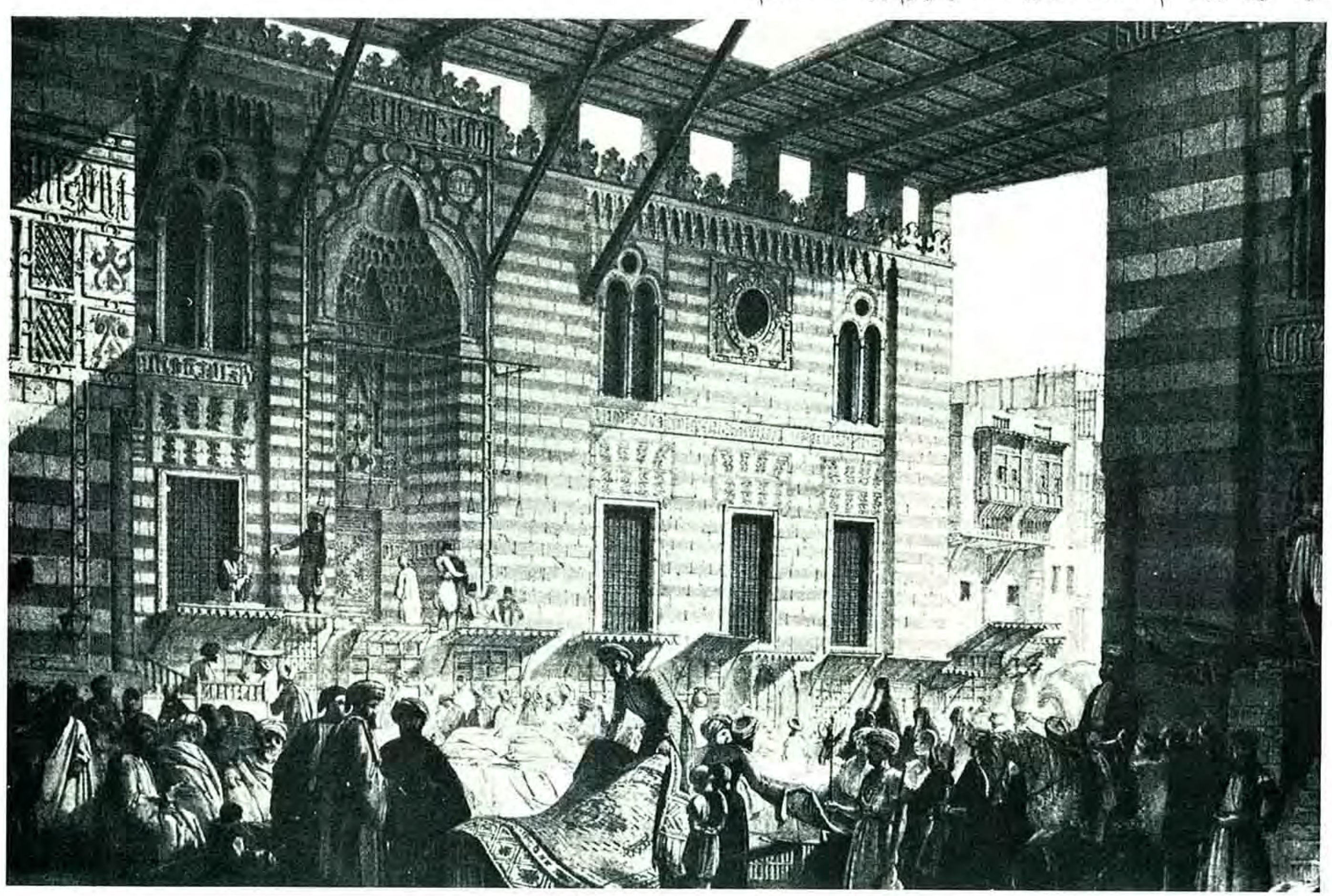
كانت القاهرة ايضاً في حالة يرثى لها فصدرت الاوامر باضاءة القناديل وتنظيف الطرق. وكان ان استولى الفرنسيون على اجمل ما في القاهرة من قصور مثل قصر محمد بك الالفي «وبيت رضوان الكاشف» وغيرها .. ووزعت على كبار قواد الجيش ورغم محاولة نابليون التودد للاهالي حتى انه لبس الجبة والقفطان والعمامة يوم ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم فقد تحولت القاهرة الى شعلة من نار فيما عرف بالثورتين الاولى والثانية .. حتى انه راح ضحية الثورة الثانية ما بين ٢٠٠٠ و ٥٠٠٠ من الضحايا ودخل الفرنسيون الازهر بخيولهم وعاثوا بالاروقة والحارات وهدموا كثيراً من البيوت والاحياء التي كانت تشبه القلاع وقت الثورات حتى تم خروجهم منها. لكنها لم تعد نفس القاهرة القديمة. لقد شعر المواطنون بقوته لاول مرة ومدى احترام الفرنسيين للعلماء .. وشاهدوا أشياء جديدة من الوان الحضارة الغربية سجلها الجبرتي في يومياته وكان عليهم ان يروا .. ويستوعبوا .. حتى تحين الفرصة.

عهد محمد علي

ومنذ عهد محمد علي حتى الآن بدأت القاهرة القديمة تختفي كثيرا من معالمها للتطورات التي جدت عليها. فقد بدأت تمتد ناحية الشمال الغربي والغرب ونشأت احياء جديدة لم تكن موجودة من قبل لسبب طرح النيل. فمع بناء **محمد علي** لقصره في **شبرا الخيمة** بدأ يظهر **حي شبرا** كما نعرفه الآن (سنة ١٨٠٨) وبني **مسجد محمد علي** على طراز مسجد السلطان احمد بالقسطنطينية (سنة ١٨٣٠) ثم **قصر الجوهرة** بجوار المسجد السابق. ثم انشأ محمد سعيد باشا **قصر النزهة** بشبرا (مكان مدرسة التوفيقية الآن) ومن سنة ١٨٦٩ انشأ الامير عمر طوسون قصره (مكان مدرسة شبرا الثانوية الآن) .. ثم ازداد العمران في شبرا تقليداً للسراة والاعيان خاصة بعد مد خط ترام شبرا سنة **١٩٠٢** وفي ساحل **روض الفرج** سنة **١٩٠٣** فسهل اتصالها بقلب القاهرة.

وجاء اسماعيل ليحول القاهرة الى عاصمة اوروبية وفعل بالقاهرة ما لم يفعله غيره. بل ان القاهرة بصورتها الحالية مدينة لما فعله. بدأ بمد الطرق المستقيمة مثل **شارع الفجالة وكلوب بك وشارع محمد علي وشارع عبد العزيز وعابدين** .. وانشأ احياء باكملها مثل **التوفيقية وعابدين والاسماعيلية** ورصف الطريق بين القاهرة والاهرام سنة ١٨٦٩ لمناسبة زيارة **الملكة اوجيني** لمصر ..

سوق الغورية وكيف تتم الصفقات التجارية .. منظر مرسوم باليد سنة ١٨٨٠م.



وانشأ **كوبري قصر النيل** (سنة ١٨٧٢م) **وكوبري الجلاء**. وكان اول من ادخل الانارة بغاز الاستصباح سنة ١٨٦٨ وعمم توزيع المياه بالانابيب مع انشاء شركة مياه القاهرة (١٨٦٥) واهتم بضاحية **حلوان** وربطها بالقاهرة بخط حديدي وحول مجرى النيل الاصلي باقامة جسر بين الجيزة وامبابة.

وكان ان تخلف عن النيل المنطقة الغربية منه لتقوم محلها قرية «**العجوزة**» القديمة ثم «**الدقي**» وتكونت الارض المعروفة الآن «**بالزمالك**» بعد ان كانت ايام محمد علي مجرد ارض عليها بعض العشش.

لقد قلبت هذه التغييرات العمرانية والبشرية صورة القاهرة القديمة رأساً على عقب. فبعد ان كان نظامها القديم المهني والسكاني يجعل منها عالماً صغيراً يربط اعضاءها التصاهر والتزاوج وتنغلق باسرارها على العالم الخارجي اصبحت القاهرة الجديدة مدينة مفتوحة .. او «**مدينة نووية**» لم يعد فيها محل للاسرة التقليدية فانهارت العشائرية .. وقفز عدد سكانها حسب آخر احصاء الى ٦,١١٥,٠٠٠ نسمة وهو رقم يمثل ١٦٪ من تعداد السكان ومن المقدر ان يقفز هذا الرقم سنة ٢٠٠٠ الى ١٤ مليون. وهي كثافة تضعها في قمة العواصم من حيث زيادة الكثافة السكانية .. وتهددها بالخطر.

ارقام .. استهلاكية

وارقام استهلاك العاصمة مخيفة .. فهي تستهلك من المياه، ٤٢٩ مليون متر مكعب اي ٤٦٪ من الاستهلاك العام و ٦٢ ألف طن **سكر** و ٢٧ الف طن **زيت** و ٧ آلاف **مسلي صناعي** و **٥٩٦** الف طن من **القمح والدقيق** و ٤ الآف طن **شاي** و **١٤٩** الف طن من **الكيروسين** .. الامر الذي ادى الى عقد اكثر من مؤتمر لتخطيط المدن بحثاً عن علاج لهذا «**السرطان العمراني**» الذي يهدد القاهرة حتى **اقترح البعض انشاء عاصمة جديدة لمصر في شمال الصحراء الغربية بديلاً عن القاهرة** وعلى بعد ٢٠٠ كيلومتر منها وهذا الحل يعترض عليه **د. جمال حمدان استاذ الجغرافيا** قائلاً:

«العواصم لا تولد بين يوم وليلة ولا تنشأ بدكريتو او امر عال وانما تنبثق استجابة لضرورات طبيعية .. وموقع القاهرة هو محصلة نهائية لالاف السنين نتيجة لعملية انتخاب جغرافي وجيوبولتيكي قاسية طولها خمسة آلاف سنة .. انها الخلاصة الصافية لكل تاريخ مصر».

الترجمة

وأثرها في الفكر العربي والإسلامي

اشترك فيها:

د. رضا عبيد السعودية

محمد بن الخوجة تونس

د. شكري فيصل سوريا

د. عزت خطاب السعودية

د. نعمان السامرائي العراق

د. عبد الجليل شلبي مصر

محمد امزيان المغرب

د. علي بكر جاد السعودية

د. جميل سعيد ابراهيم العراق



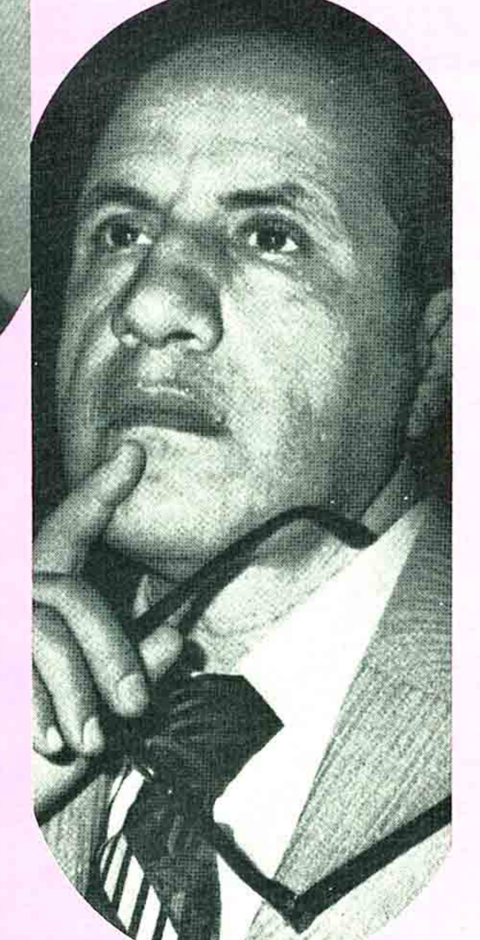
د. رضا عبيد

د. عزت خطاب





د. علي بكر جاد



د. شكري فيصل

لا احد ينكر ما للترجمة من دور في اثراء الآداب الانسانية .. وتعريف شعوب الارض بعضها ببعض.

فاذا كانت وسائل المواصلات اليوم قد يسرت سبل الاتصال بشعوب الكرة الارضية .. وكان من نتائجها هذا «التأثر .. والتأثير» الكبير في العادات .. والازياء .. والنظم المختلفة الا ان الترجمة ظلت محتفظة بدورها في القيام بعملية التفاعل الفكري بين تراث الشعوب وآدابها على اختلاف اساليبها .. واغراضها .. وظواهرها الفنية.

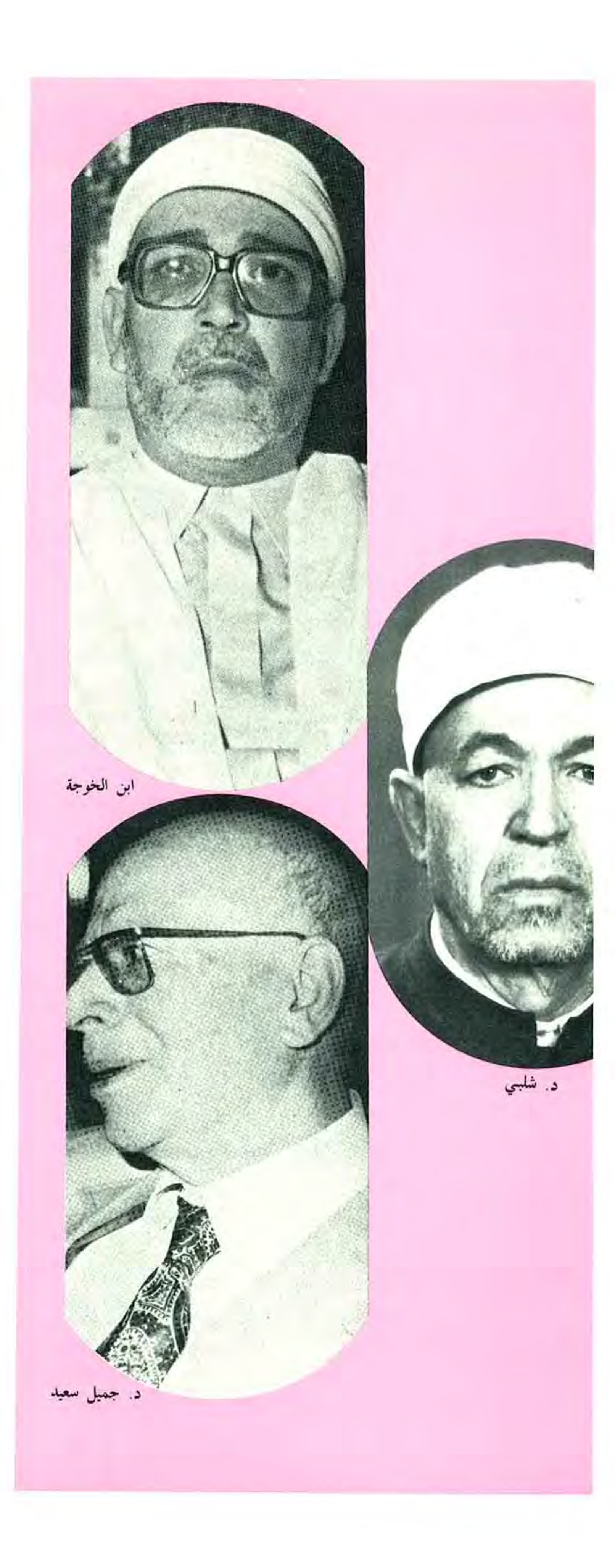
وقد عرف الفكر العربي والاسلامي عدداً من الآثار الفكرية من خلال الترجمة في الماضي حين نشطت في ترجمة بعض الآثار العلمية .. والادبية من اللغات **اليونانية والفارسية والهندية** كما عرف الفكر الغربي عدداً من **الآثار العربية والاسلامية** من خلال الترجمات لبعض علوم العرب والمسلمين وآدابهم الى اللغات الاخرى **كالانجليزية .. والفرنسية** .. كما أسهم عدد من المستشرقين في التعريف بتاريخ الشعوب الاسلامية والعربية من خلال المصنفات التي الفوها بلغاتهم بعد اطلاعهم على هذا التاريخ من مظانه العربية.

وقد تميزت حركة الترجمة المعاصرة بظاهرتين:

الاولى: سارت الترجمة من الجانب العربي في خط واحد انحصر في ترجمة اعمال الشعوب الاخرى من آداب او فنون او علوم .. واقتصاد .. وقانون الى اللغة العربية في الوقت الذي كان يجب ان تسير في خطين متوازيين .. من اللغات الاخرى الى العربية وبالعكس. أي من العربية الى اللغات الاخرى .. وكان من نتائج هذه الظاهرة ان ظلت الآثار العربية على قيمتها العلمية والفكرية غير معروفة .. مما جعل الفكر العربي فكراً غير عالمي .. لانه لم يجد التعريف الكافي من قبل ابنائه.

الثانية: ان اغلب الآثار العربية التي ترجمت الى لغات أخرى كانت بمبادرات غير العرب .. أي ان العرب اكتفوا بالترجمة من اللغات الاجنبية الى العربية فقط تاركين الترجمة من العربية الى اللغات الاخرى لغيرهم من **المستشرقين** وامثالهم .. وهؤلاء لا يترجمون الا ما يروق لهم فانصبت ترجماتهم على الآثار التي تعكس في كثير من الاحيان تخلف العرب والمسلمين الاجتماعي .. والفكري .. هذه الآثار التي تعتمد على الخرافات .. والاساطير .. والخزعبلات .. والصور الشعبية المختلفة لامتاع القارئ الاجنبي .. والتندر بالعرب .. مبررين عملهم انهم يترجمون من الآثار ما ليس عندهم.

والسؤال الذي يدور دائماً في عقول المخلصين من العرب



ابن الخوجة

د. شلبي

د. جميل سعيد

ندوة الشهر:

الترجمة
وأثرها في الفكر العربي والإسلامي

والمسلمين عن جدوى الترجمة في الوقت الحاضر .. والحدود التي تحكمها حتى لا يختل التوازن بين الترجمات .. وعملية احياء التراث العربي الاسلامي .. وكيف يمكن تحقيق هذا التوازن .. وما هي الوسائل المطلوبة لسير عملية الترجمة في خطين متوازيين بمبادرات عربية أي قيام العرب انفسهم بترجمات آثارهم الجيدة الى اللغات الاخرى .. واختيار بعض الآثار الاجنبية الجيدة لترجمتها الى العربية؟

وهذا السؤال هو ندوة مجلة «**الفيصل**» التي اشترك فيها عدد من المختصين .. والمهتمين .. والمسؤولين في العالم العربي والاسلامي.

الترجمة .. بلا قيود

* * * * * * * *

من المملكة العربية السعودية تحدث **الدكتور رضا محمد سعيد عبيد رئيس مركز البحوث للعلوم والتكنولوجيا في الرياض** موضحاً دور الترجمة تاريخياً .. وأهميتها في وصل الحضارات القديمة بالحضارة الاسلامية .. وداعياً الى احياء هذا الدور بدون قيود أو حدود .. ويشرح رأيه قائلاً:

«في صدر الحضارة الاسلامية قام المسلمون بنقل **علوم الاغريق والهنود والفرس** الى اللغة العربية فكان للترجمة دور كبير في وصل الحضارات القديمة بالحضارة الاسلامية .. وعندما قامت النهضة الغربية في اوروبا كان اول ما بدأت به تلك النهضة هو ترجمة العلوم والآداب الاسلامية الى لغاتها القومية.

وهكذا نرى ان الحضارات انما تقوى وتحيا بالاتصال الخصب والتفاعل الخلاق مع الحضارات الاخرى..

وتعتبر الترجمة من اهم الوسائل التي تمكن ابناء الامة العربية من مسايرة التطور السريع في شتى مجالات العلوم والآداب الذي تدفعه جهود البشر في كل مكان من العالم .. وينبغي الا تكون هناك قيود او حدود لعملية الترجمة بلغة عربية سليمة اذا اردنا ان نساير النهضة العلمية العالمية بل يجب علينا ان ننقل الى اللغة العربية امهات الكتب العلمية العالمية في كل فرع من فروع المعرفة ونحن بهذا انما نؤدي واجباً وطنياً جليلاً هو أمانة في اعناقنا نحو الاجيال القادمة من أبناء وطننا العربي الكبير وذلك للاسباب التالية:

١ الترجمة هي الوسيلة الاساسية لدفع تهمة القصور عن **اللغة العربية** التي يتهمها بها من يجهلها.

٢ الترجمة هي الوسيلة الوحيدة في الوقت الحاضر لتمكين طلاب العلم ومريديه من اشباع نهمهم الى العلم وتحقيق رغبتهم في التغلغل الى اغوار الحقيقة مما لا يتسنى تحقيقه الا بلغة الطالب القومية التي يفهمها ويجيدها.

٣ من الصعب جداً جعل الامة بكاملها تتقن لغات العالم حتى تستطيع ان تلم بالثقافات والمعارف العالمية المختلفة ولكن من الممكن أن ننقل المعارف والثقافات العالمية الى الامة العربية عن طريق الترجمة.

٤ ان التمسك بشخصيتنا الوطنية وبلغتنا العربية وهي من اسمى اللغات لانها لغة القرآن الكريم يوجب علينا ان نجعلها لغة التأليف والتدوين في جميع العلوم والفنون وذلك باثرائها بالمصطلحات العلمية عن طريق الترجمة حتى يشيع استعمالها خاصة وان كثيراً من المصطلحات العلمية والفنية جديدة حتى على اللغات الاجنبية نفسها.

٥ ان الرد العملي الوحيد على من ينادي بالتدريس في الجامعات لأي تخصص بلغة اجنبية لعدم توفر المراجع باللغة العربية هو الترجمة لسرعة توفير تلك المراجع وبذلك نضمن ليس فقط المحافظة على شخصيتنا والتدريس لابنائنا بلغتنا القومية بل أيضاً تدريب الشباب وهم امل الامة على الكتابة العلمية بلغة عربية سليمة وعلى استعمال المصطلحات العلمية العربية عن طريق جعل التأليف وتدوين الابحاث والمبتكرات الفكرية باللغة العربية.

٦ ان النقص الذي تعانيه المكتبة العربية في الوقت الحاضر في أمهات الكتب العالمية العلمية لا يمكن تلافيه الا بالقيام بحركة واسعة في الترجمة.

اعود الى فكرة الحدود المقترحة في الترجمة حتى لا يختل التوازن بين الترجمات وعملية احياء التراث العربي فأؤكد مرة ثانية انه يجب ألا تكون هناك اية حدود في عملية الترجمة. وليس

هناك ما يسمى بالتوازن. لأن مسئوليتنا الوطنية والتاريخية ليست فقط في المحافظة على التراث بل الاضافة اليه وتطويره ثم نشره وعدم تجميده حيث كان. وكذلك ربطه بالتقدم العالمي في جميع مجالات العلوم والفنون وهذا لا يتحقق الا اذا اثرينا – عن طريق الترجمة – المكتبة العربية بروائع الفكر العالمي في العلوم والفنون والآداب وان الواجب ليحتم علينا الا نقف عند حد المباهاة بنهضتنا الاسلامية السابقة بل علينا ان نستمر في اثبات وجودنا في هذا العصر أيضاً حتى تستطيع الامة العربية في المستقبل القريب ان تباهي بحضاراتها المعاصرة الحضارات الاخرى كماً وكيفاً كما كان في السابق ولا مندوحة ان تكون من أهم وسائلها في تحقيق هذا الهدف تنشيط الترجمة التي بها ننقل مصنفات حضارة الغرب الى لغة العرب لكي يتفهموها ويستوعبوها حق استيعابها، ويجب ان يصل نشاط التعريب الى ما كان عليه ابان ذروة الحضارة الاسلامية عندما كان الغربيون في العصور الوسطى – عصور الظلام في اوروبا – يعكفون بنشاط على نقل علوم المسلمين من اللغة العربية التي دونت بها الى لغاتهم القومية فكانت تلك المصنفات العربية المترجمة هي الاساس المتين الذي بنوا عليه حضارتهم الحديثة. ولن يعود الغربيون الى النقل عنا الا اذا توفر لدينا بعد استعادة نهضتنا من الابداع الفكري والعلمي المدون بلغتنا ما يغريهم بترجمته الى لغاتهم.

أما اذا قمنا بتدوين ابداعنا الفكري والعلمي بلغاتهم الاجنبية عنا فنكون بهذا قد خذلنا لغتنا العربية ووفرنا عليهم جهد الترجمة وشددنا من أزر حضارتهم. واذبنا شخصيتنا في حضارتهم.

وبدون الترجمة في الوقت الحاضر لن يكون التأليف والتدوين في المستقبل باللغة العربية .. ويظل ابناؤنا عالة على اللغات الاخرى يدرسون ويفكرون بها ويدونون بها نتائج أبحاثهم ومؤلفاتهم. ولن يصلوا فيها مهما حاولوا الى مثل ما يصل اليه أبناء هذه اللغات.

شمولية الترجمة
* * * * * * *

ومن **تونس** اشترك في الندوة **الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة مفتي الديار التونسية** وعضو مجمعي اللغة العربية .. والبحوث الاسلامية بالقاهرة والمجلس الاعلى للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة داعياً الى «شمولية» الترجمة .. بحيث لا تقصر على الفنون الادبية كالقصة والرواية. مميزاً في البداية بين الترجمة واحياء التراث فقال:

«الترجمة في اعتقادي – عمل متميز تمام التميز عن احياء التراث فاذا كان الثاني بعثا بكنوز العلم وروائع الادب ومناهج الفكر العربي والاسلامي فان الاول تعريف بما يجري حول العرب والمسلمين في هذا العصر ومن قبله من تيارات فكرية وروائع ادبية وآثار علمية وفنية وقد بدأت الترجمة في عصر مبكر في المجتمعات العربية والاسلامية وافادت منها حضارتنا أيما فائدة واستطاعت اللغة العربية عن طريق النقل ان تدفع الحضارة الانسانية دفعاً وان تمدها بما نقلته اليها عن طريق الترجمات مما كان أساسياً لبنائها ومنطلقاً لازدهارها. وهي اليوم ذات اثر كبير في مجتمعاتنا مثلما كانت في الماضي وضروري ان لا تقصر على الفنون الادبية كالقصة والرواية وان تشمل جميع مجالات التكوين العلمي والتقني في عصرنا الحاضر.

وانه لمن المؤكد ان دور الترجمة في الماضي والحاضر – بالوصف الذي ذكرنا – أخذ لاعطاء واقتباس لا اشعاع ومن الواجب خدمة للانسانية وللاسلام معاً ان نعرف بتراثنا الحضاري والعلمي والفكري والاسلامي عن طريق النقل او الترجمة لما دونه اسلافنا وكتبه علماؤنا وحرره رجال الفكر والادب عندنا الى اللغات الاجنبية لا لنغزو الامم او نهيمن عليها ولكن لنلفت انظارها ونجلب انتباهها الى الكنوز التي اساءوا احياناً فهمها وجهلوا اخرى معناها، ولو أننا خطونا في هذه السبيل خطى مركزة واضحة ليشق الاسلام طريقه في ما حولنا من مجتمعات ولكنا مبلغون لاصول الهدى ومنابع الحضارة الانسانية الحقة التي تحيط الكيان الانساني بألوان من التقدير والرعاية لما تمثله من تمسك بالمبادئ الشريفة والقيم الخالدة.

الاهم .. والمهم
* * * * * * * * * *

من **سوريا** يضع **الدكتور شكري فيصل عضو مجمع دمشق**

الترجمة

وأثرها في الفكر العربي والإسلامي

عدداً من الاسئلة الهامة تتعلق بالترجمة .. كيف نترجم .. كيف ننسق عمل الترجمة .. وماذا نترجم .. ومستشهداً بالمؤتمر الذي عقدته المنظمة العربية للثقافة .. والتربية .. والعلوم في الكويت .. ويبسط وجهة نظره قائلاً:

«ما تقولونه عن مكانة الترجمة في صدر السؤال حقيقة مؤكدة واذا كانت كذلك بالنسبة الى الشعوب الاخرى فهي بالنسبة للشعب العربي ضرورة اشد وحاجة اكثر الحاحاً هذا هو المبدأ ولكن المبادئ لا تستقيم الا بالتطبيق فنحن نحتاج لا الى الترجمة ولكن الى معرفة ماذا نترجم اولا ثم كيف نترجم وكيف ننسق عمل الترجمة بين البلاد العربية المختلفة لابد أن نلاحظ حاجتنا الى الكثير مما يترجم ولكن لابد في ذات الوقت من وضع سلم تتتالى فيه الاوليات ويقدم فيه الاهم على المهم.

الترجمة الآن عملية فردية كل يترجم ما يهوى والجهود المبذولة لذلك دون الحاجة. هناك مؤسسات حكومية كذلك تعنى اما بالترجمة او بتنسيقها ولكنها مؤسسات لا تتلاقى ولا تتعاون على برنامج يسد الحاجة وينهض بها، وارجو هنا ان نذكر ان مؤتمراً عقدته المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم في الكويت وخرج هذا المؤتمر بعد دراسات جيدة الى توصيات محكمة، ولكن السؤال الذي يحز في الصدر هو: ماذا كانت النتيجة الفعلية لهذه التوصيات؟؟

اما عن التوازن بين المترجمات وعملية احياء التراث فارجو ان نفهم أننا بحاجة ماسة لهاتين الخطوتين المتكاملتين والشعوب الواعية التي تدرك الاخطار المهددة لها تستطيع ان توازن في ذلك وفق برامج دقيقة.

اما عن الترجمة في الطريق المعاكس «أي من العربية الى اللغات الاجنبية» فأمر ليست له هذه الاهمية الكبيرة – لنكن صريحين – فليست عندنا في النتاج العلمي ما نقدمه للآخرين ونحن هنا في طور الحاجة ولسنا في طور تقديم شئ للآخرين.

قد يكون عندنا في المجال الادبي بعض ما يصلح ليعرض على العالم وأن يترجم الى اللغات الاجنبية، ولكن القضية لا تؤلف في نظري مشكلة ذات بال. لنحاول أن نسد حاجتنا قبل أن نستطلع الى الآخرين.

دعوة الى تضافر الجهود

* * * * * * * * * *

اما **الدكتور عزت عبد المجيد خطاب عميد كلية الآداب بجامعة الرياض في المملكة العربية السعودية** فيطرح رأيه من خلال الشواهد التاريخية لعملية الترجمة .. وقيام الغرب بترجمة بعض الآثار العربية .. الى جانب ما قام به العرب من ترجمات الى اللغة العربية .. تمهيداً لتوضيح الفرق بين الموضوعات التي تكون عادة مادة الترجمة .. ويدعو في نهاية حديثه الى ضرورة تضافر المؤسسات الاكاديمية والثقافية في العالم العربي لاحياء عملية الترجمة .. ومجمل رأيه هو:

تقوم الترجمة بدور كبير في جعل ثقافتنا العربية تتفاعل مع الثقافات الاخرى ولاسيما الثقافة الغربية. وهو تيار طبيعي ينحدر من الاعلى الى الاسفل فمنذ اللحظة التي يشعر فيها مجتمع من المجتمعات بتفوق ثقافة مجاورة او ثقافة واردة على الثقافة الوطنية تبدأ حركة هذا التيار. حدث هذا في العصر العباسي عندما استفادت الثقافة العربية من روافد الثقافة والفلسفة الاغريقية وتغير اتجاه هذا التيار عندما استفاد الصليبيون من الحضارة العربية في بلاد الشام وعندما نهلت اوروبا من روافد الثقافة العربية في بلاد الاندلس حتى اصبحت اجادة اللغة العربية هدفاً ضرورياً من أهداف المثقفين تماماً مثلما هو عليه الحال بالنسبة لاجادة لغة اوروبية ولاسيما الانجليزية بالنسبة للمثقف العربي. وهنا اعتقد اني بشكل غير مباشر تعجلت الاجابة على السؤال الاخير الذي يقول: لماذا نرى الترجمة تسير الآن في طريق ذي اتجاه واحد أي من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية فقط؟

الواقع ان ما قلته الآن يمثل الاتجاه العام فقط. ويجب ان نفرق بين الموضوعات التي تكون عادة مادة الترجمة. العرب والمسلمون ايام المأمون لم يترجموا الفكر الاغريقي كله وانما اكتفوا بترجمة الفلسفة لانهم شعروا بحاجتهم اليها فهم لم يترجموا ويتفاعلوا مع الادب الاغريقي لاسباب كثيرة منها الدينية ومنها الجماعية وربما كانت الاسباب الجمالية اقوى فقد وجه العرب كفايتهم في تراثهم الادبي ولم يشعروا بحاجة الى انماط جديدة مثل المسرحية او الملحمة بالرغم من ان الشعر العربي في ذلك العصر لم يخل من التأثيرات الفلسفية.

أما في عصرنا الحاضر فقد بدأت الثقافة العربية تتأثر بالادب والفكر الغربي اولاً الى ان تقدمت العلوم البحتة والتطبيقية تقدماً كبيراً ادى الى استعمار اكثر الدول العربية. ولكن هذا التقارب قد ادى ايضاً الى تيار مضاد فقد اكتشف الغرب المادي روحانية الشرق واكتشف حاجته الماسة الى ملءفراغه الروحي بروافد الفكر الديني الشرقي ومنه العربي الاسلامي فأخذ يترجم الآثار والتراث العربي والاسلامي. وهذا احد الاسباب المهمة في نشوء حركة الاستشراق التي بدأت ارهاصاتها منذ القرن الثامن عشر الميلادي. بل يمكن القول ان الغرب اكتشف روافد ثرة في الادب العربي مثل كتاب «الف ليلة وليلة» الذي لم تكتشف اهميته الادبية والجمالية الا عن طريق الغرب. ولا زال الغرب المادي يفتش في الشرق عن هذه الروافد. فيمكن القول ان التيار يسير في اتجاهين في الوقت الحاضر: فالعرب يترجمون العلوم الغربية للاستفادة من تقنياته والغرب يترجم التراث الروحي العربي ليساعد على انتشال نفسه من هوة المادية.

واعتقد انه يجب ان نهتم باحياء التراث وتقديمه الى القارئ في ثوب جديد واذا تم ذلك فسوف تكتشف الاجيال العربية ان تراثهم ليس اقل ثراء من التراث الغربي وعند ذلك لا يطرقون ابواب الغرب في المواضيع التي لا زال الشرق يحمل قصب السبق بها.

والوسيلة الوحيدة في رأيي هي ترجمة تراثنا الى اللغات الاخرى وهذا يتطلب مجهوداً جباراً تتضافر للقيام به جميع المؤسسات الاكاديمية والثقافية في العالم العربي.

تجربة رائدة .. في اليابان

* * * * * * * * * * *

ومن **العراق** يسهم في الندوة **الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي** الاستاذ بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود في الرياض .. يسهم بوجهة نظره من خلال رؤية تاريخية عربية .. وعصرية يابانية .. وداعياً مؤسساتنا العلمية للاهتمام والتنسيق فيما بينها لخدمة قضية الترجمة بدلاً من تركها للباحثين عن الربح المادي .. ويشرح كل ذلك بقوله:

من المعروف تاريخياً اننا بدأنا منذ أواخر ايام الدولة الاموية والترجمة وما ان استقام الحكم للعباسيين حتى ذهبوا في ذلك الى أوسع مدى فأسسوا دار الحكمة ووظفوا المترجمين، وجلبت الكتب من كل صقع وكان من نتيجة ذلك انتشار الفلسفة والمنطق ومن الحصيلة في الرد، علم الكلام.

ثم جاء العصر الحديث فرحنا نترجم العلوم والآداب وقد قام بذلك فريقان.

أ-فريق «رسمي» ينتخب بعض الكتب ويترجمها ثم ينشرها.

ب-فريق «اهلي» كان ينظر في الكتب فما اعجبه منها ترجمه وغالباً ما كان يستهدف الربح في عمله ومن هنا جاء الكثير من «الغثاء» لانه مكسب مربح .. كما ساءت الترجمة وفقدت الامانة العلمية احياناً.

ولو تبنت ذلك جامعاتنا والمؤسسات الثقافية لاحسنت وخدمت.

ومن الحق ان نقول: ان احياء التراث واجب تاريخي لا ينكص عنه الا من يتنكر لامته وتاريخه ونحن ما نزال امام ملايين الكتب المخطوطة التي يجب ان تحقق وتنشر ولكنها في نفس الوقت بحاجة الى معرفة ما في عالمنا اليوم من علوم وفكر وادب على ان ننتخب الجيد منه فننقله ولنضرب مثلاً بدولة شرقية كاليابان فقد استحدثت اكبر جهاز ترجمة فما ان ينشر كتاب في لغة او تكتب مقالة ذات قيمة الا ترجمت خلال ايام قليلة ووضعت بين يدي الشعب الياباني ليستفيد منها في اقرب وقت هذا جهد ينبغي ان ننظر اليه بعين الاعجاب والجدية.

وحقيقة انه جرت ترجمة لبعض الكتب العربية الى لغات اخرى واليوم يترجم الكتاب الاسلامي الى لغات عدة كما ترجمت امهات الكتب وقد نشرت منذ مدة مجلة «المسلم المعاصر» الصادرة في الكويت فهارس لامهات الكتب الاسلامية باللغتين الانكليزية والفرنسية فالترجمة عن اللغة العربية موجودة ولكنها اقل من المطلوب. اما ما يمكن اقتراحه من اجل تنشيط الترجمة عن العربية فيمكن ان يكون بطريق التشجيع وذلك بان تقوم مؤسساتنا العلمية به بعد انتخاب الجيد وان نتعاون مادياً في ذلك خصوصاً وان امكاناتنا المادية امست جيدة والحمد لله، ولا عذر لنا ويمكن ان نضيف وسيلة اخرى هي الاستكتاب باللغات الحية رأساً بعد طرح موضوعات جيدة تعبر عما تريد رأساً دون ترجمة.

ندوة الشهر :

الترجمة

وأثرها في الفكر العربي والإسلامي

ضعف الترجمة

* * * * * *

اما **الدكتور عبد الجليل عبده شلبي** امين عام مجمع البحوث الاسلامية بالازهر **(من مصر)** فانه يرى ان الترجمة عادة تتم من اللغات الثرية بعلومها .. وآدابها .. وهذا ما كان من أمر العرب والمسلمين في الماضي حين ترجمت آثارهم الى اللغات الاخرى كاللاتينية .. وهو ما يحدث اليوم من ترجمة الآثار بلغات اخرى الى العربية .. ويدعو في نهاية حديثه الى ضرورة الترجمة الى اللغة العربية على شرط ان تكون هذه الترجمة سليمة .. وبلغة قوية .. ويأتي رأيه في قوله.

بدأت عملية الترجمة في اللغة العربية من وقت مبكر في تاريخنا الاسلامي ولكنها لم تظهر بوضوح قوي الا في عصر الرشيد والمأمون وكان لهذه الحركة اثرها الواضح في الفكر العربي عند اتصال العرب بالاوروبيين وقيام مدارس عربية على مقربة من هؤلاء – في اسبانيا وصقلية .. قام هؤلاء بحركة ترجمة واسعة من اللغة العربية الى اللاتينية والى لغات اخرى كاد ذلك لان الفكر العربي كان أرقى واثرى بل ان المسلمين قطعوا شوطاً واسعاً في الحضارة والثقافة حين كانت هذه البلاد تتخبط في امية وانحطاط فكري.

اما في الوقت الحاضر فان الشرقيين هم المتخلفون في كثير من جوانب الثقافة والعلوم بصفة خاصة ولكننا لسنا في حالة تشبه حال اوروبا ابان نهضة الاسلام – بل لدينا أسس ثقافية في الآداب والعلوم جميعاً. ولدينا تهيؤ فعلي كاف لاستيعاب علوم الغرب وتنميتها والزيادة عليها.

فالترجمة الى لغتنا ذات اهمية كبيرة – وفي جانب العلوم بصفة خاصة – ولا ريب ان لدى الاوروبيين من معامل البحث وآلاته ما ليس لدينا. فلكي تتابع حركة البحث العلمي وتجاري تيار الثقافة بوجه عام لابد لنا من الترجمات والخطر الذي يجب ان نتحاشاه هو ضعف اللغة العربية على ألسنة ابنائنا الناشئين وتخصص شخص ما للغة اوروبية لا يعني انه ينقطع عن لغته او يضعف فيها – فالبناء الاول في حياة كل مثقف عربي هو اجادة اللغة العربية ودرسها دراسة كافية – ومن هنا تكون ترجمته اليها ترجمة فكرة في اسلوب عربي سليم. ومما يؤسف له حقاً اننا نرى ترجمات كثيرة مشحونة بالاخطاء ضعيفة الاسلوب فهذه ضررها اكثر من نفعها.

ثم ان العالم الآن يتقارب ويتصل اطرافه النائية بعضها ببعض فلابد له من التعارف وهذا لا يكون الا بدرس اللغات ونقل افكار لغة الى لغة اخرى – ولا ينبغي أن نكون نحن العرب حلقة مفقودة في سلسلة هذا الاتصال.

واما ان الترجمة الآن تسير في اتجاه واحد وهو النقل من اللغات الاوروبية فهذا امر طبيعي اشرت اليه فيما سبق وهو ان هذه البلاد الآن ارقى منا فكراً وثقافة وهي قد قطعت شوطاً طويلاً في بناء العلم والحضارة حين كانت بلادنا ترزخ تحت نير الاستعمار الذي سد علينا منافذ الفكر الحر والثقافة العالية. ونحن الآن نعمل بكل جهدنا لنقرب المسافة بيننا وبينهم.

ولا يعني هذا ان الترجمة من العربية الى اللغات الاوروبية مفقودة نهائياً – هذا غير صحيح انما يعني أن ما يترجم الى العربية كثير جداً وما يترجم منها قليل..

وكثير من المسلمين الآن يعيشون في اوروبا – وهؤلاء ترجموا كثيراً من الآثار الاسلامية الى لغات البلاد التي يعيشون فيها – وهؤلاء زادوا حركة الترجمة من العربية كما ان كثيرين من المستشرقين ترجموا آثاراً عربية من قبل – غير ان ترجمة هؤلاء لا تخلو من تحريف واخطاء .. وهذا يرجع الى ضعفهم في اللغة العربية وقيام المسلمين بترجمة آثارهم اسلم وايمن.

ولست ارى أن نجد تيار الترجمة من اللغات الاوروبية الى اللغة العربية – انما اريد ترجمة سليمة وبلغة قوية فنحن ما نزال في حاجة الى متابعة الفكر الاوروبي ولا غنى لنا عنه سواء في مناهج تعليمنا او ثقافتنا العامة ولا يمكن ان نغمض اعين الناشئين من أبنائنا عما يجري هناك كل ما في الامر اننا نترجم ما هو حيوي ومفيد وندع ما يتعارض مع ديننا وتقاليدنا السليمة.

الروح .. والمادة
* * * * * * *

ومن **المغرب** يكتفي **الاستاذ محمد حدوا مزيان عميد كلية اصول الدين بمدينة تطوان** .. يكتفي بطرح المقارنة بين روحانية الشرق واخلاقياته التي جاء بها الاسلام .. ومادية الغرب الذي يبحث عن مخرج من الانهيار الخلقي والروحي الذي يسيطر على حياة افراده مع الاشارة في بداية حديثه الى اهمية الترجمة .. ودورها في التعريف بشعوب الارض وهو يقول:

«لا ريب ان للترجمة دوراً كبيراً في وصل الثقافات بعضها ببعض كونها سبباً في تفاعل الفكر البشري تغلغلاً ينتج عنه فوائد جمة للبشرية لانه بذلك تمكن الامم من الأطلاع على ما عند بعضها البعض وافادة بعضها لبعض مما يدفع عجلة التطور الى الامام وبذلك تتقارب الامم المختلفة وتتعايش وتتوحد الصلات الودية بينها ويحصل التعارف بين الافراد وتضيق شقة الخلاف التي يولدها عادة جهل الامم بعض لبعض ولم يكن للترجمة من فائدة سوى ايجاد التعارف بين بني البشر عن طريق نشر المعرفة لكفاها شرفاً وفخراً والتعارف هدف من اهداف ديننا الحنيف ولقد وردت الاشارة به في الحكم والتنهيل وذلك في قوله سبحانه في سورة الحجرات «ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن اكرمكم عند الله اتقاكم».

هذا ولقد عرف اسلافنا ما للترجمة من جليل الفوائد العلمية ودفع عجلة التطور الى الامام والاطلاع على ما عند غيرهم من انواع الثقافات والمعارف منذ فجر التاريخ حيث يحثنا التاريخ انهم قاموا منذ أواخر الدولة الاموية بترجمة الكتب النافعة من طب ومنطق وفلسفة وغيرها من اللغات الحية وقتها من فارسية ويونانية وهندية الى اللغة العربية التي هي اغنى اللغات واوسعها وارحبها صدراً وذلك بواسطة من كان يتقن اللغتين اوالثلاث.

ويحدثنا التاريخ ان اسلافنا لم يقوموا بدور النقل والحفظ فقط بل قاموا الى جانب ذلك بالفهم الدقيق والهضم وتنقية تلك العلوم بعد فهمها وهضمها واضافوا اليها ومعنى ذلك انهم قاموا بعملية التحليل والتركيب فاخرجوا للدنيا نهضة علمية رائعة وبسبب تلك النهضة العربية استيقظت اوروبا من جديد بعد أن انحطت انحطاطاً لا نظير له في عصورها الوسطى وهنا احب ان انبه ان العصور الوسطى انما كانت شؤماً على الغربيين اما نحن فان تلك العصور كانت هي العصور الذهبية عندنا ومن هنا كان للنهضة العلمية الاسلامية اثر على النهضة الحديثة كما يعني في بذره المنصفون من ابناء اوروبا في العصر الحديث ولقد انبنى على تلك النهضة العلمية لدى المسلمين بسبب الاسلام اولاً وبسبب تلك العلوم المختلفة ارقى واظهر نهضة عرفتها البشرية عن تاريخها الطويل لانها انبنت على المعرفة الصحيحة والاخلاق الكريمة ولطالما تغنى بها الشعراء والادباء وهي تفتقرها الانسانية اليوم لانها وان بنت حضارة مادية بلغت شأواً بعيداً لكنها تفقد العنصر الاساسي وهو العنصر الخلقي والروحي مما جعل عقلاء اوروبا اليوم يندبون حظ البشرية ويدعون الى اعادة النظر من جديد في مقاييس الحياة العصرية التي تعيقها الانسانية اليوم لانها خالية من عناصر البقاء وانها ان استمرت على هذا المنوال فسوف تنهار وهذه شهادة منهم بفضل الاسلام على الدنيا والفضل ما شهد به الاعداء.

وصدق الله العظيم اذ يقول «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق او لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد».

العودة .. الى احياء التراث
* * * * * * * * * * * *

ويسهم **الدكتور جميل سعيد ابراهم عضو مجمع بغداد بالعراق** في هذه الندوة باقتضاب مركزاً على ضرورة الالتفات الى التراث .. وتشجيع المهتمين به من قبل الجامعات .. والمعاهد العلمية العربية قائلاً:

نعم أرى الترجمة في عصرنا هذا تؤدي دورها في نقل علوم الغربيين الى الغرب ونحن نقيد من هذا في معاهدنا العلمية وجامعاتنا وبودي لو ازداد الالتفات الى تراثنا القديم وعني بنشره العناية التي يستحقها ولن يكون هذا الا بتشجيع سخي من الجامعات والمعاهد العلمية العربية لان اهل العلم – عامة يرون الاخذ عن الغرب اسهل عليهم من العودة الى التراث والى بحثه وبعثه واحيائه.

ندوة الشهر:

الترجمة

وأثرها في الفكر العربي والإسلامي

اما لماذا تسير الترجمة بطريق ذي اتجاه واحد اي من اللغات الاجنبية الى العربية؟ فلأن العرب الآن – وهذا ما نأسف له – احوج الى ثقافة الغربيين وعلومهم وعسى ان يأتي الدور الذي تبلغهم او تفوقهم فيه فينعكس طريق الترجمة على نحو ما كان في العصور الوسطى اذا كانوا هم الذين يترجمون وينقلون عنا.

الحاجة اساس الترجمة

* * * * * * * * * *

ومن المملكة العربية السعودية يدلي **الدكتور علي بكر احمد جاد الاستاذ المساعد بقسم اللغة الانجليزية بجامعة الرياض** برأيه قائلاً:

لاشك ان للترجمة أهمية بالغة ولابد أن الحاجة اليها نشأت منذ أول انتشار الكتابة في شعبين متجاورين يتكلمان لغتين مختلفتين ان لم تقل منذ التقى انسان بآخر لا يتكلم لغته **وهناك ترجمات لمؤلفات تعود الى الفي عام قبل الميلاد** .. فاجزاء من ملحمة «**جلجامش**» السومرية وجدت في عدة لغات آسيوية مجاورة.

أما عن الدور الذي تلعبه الترجمة الآن في الثقافة العربية والدور الذي يجب أن تلعبه الترجمة فيها في المستقبل فكلاهما يتوقف الى حد كبير على ظاهرة تبدو لي انها اساسية عامة تتحكم في نشوء وانتشار الترجمة بين اي ثقافتين. تلك الظاهرة هي ان الترجمة من ثقافة الى اخرى تعتمد على مدى شعور ابناء الثقافة الناقلة (لا المنقول عنها) بالحاجة الى جوانب من (ثقافة ما) ولا تقوم الترجمة على ايمان الشعوب الاخرى يجب ان تتعرف عليها وتستفيد منها.

وبلغة التجارة الطلب هنا أهم من العرض او يجب ان يسبقه ولا يتيسر رواج السلعة الا بعد احساس المشترين لفائدتها لهم وحاجتهم اليها.

وفي تاريخ الحضارة البشرية نرى باستمرار ان الترجمة تزدهر بفعل من مبادرة اصحاب الحاجة اليها: **فالاغريق** لم يعنوا بالترجمة عن الشعوب الاخرى. كما أن **الرومان** لم يترجموا من غير الثقافة الاغريقية الا قليلاً. ولا اخال المؤرخين الا مجمعين على **ان الترجمة لم تزدهر قبل عصرنا الحديث الا في عصرين اثنين كان العرب المسلمون طرفاً في كليهما** في العصر الاول منهما كانوا هم المهيمنون المبادرون الى الاستفادة من تجارب الغير وكان ذلك منذ فجر **الخلافة الاموية** حتى عصور الركود والتقهقر. نشطت الترجمة في ذلك العصر عندما شعر العرب بحاجتهم الى جوانب من الحضارة القديمة المجاورة لهم لاسيما الاغريقية.

اما في العصر الثاني فكانوا هم الروافد المقصودة التي هرعت اوروبا المسيحية اعترافاً منها بسمو الحضارة العربية الاسلامية وتقدمها وحاجة اوروبا الى جوانب منها لتغترف من معينها لتصل ما انقطع طويلاً بين الافرنج واصول حضارتهم الاغريقية الرومانية التي اخذ العرب عنها واضافوا اليها ما بهر عصر النهضة في اوروبا.

وكأية أمة تشعر بالفرق بين ماضٍ مزدهر وحاضر اقل ازدهاراً موقفنا من الترجمة (كما يوحي تساؤلكم) موقف مزدوج. نحن نؤمن بان لنا تراثاً فيه الكثير من الجوانب التي يحتاج اليها غيرنا وفي نفس الوقت نحس بالحاجة الى التعلم من الآخرين. ومن غير الممكن وغير المستحسن ان نتوقع من كل عربي طامح الى الثقافة لا أن يقرأ بلغة اوروبية حديثه وحسب بل وان يعتمد شديداً على ما يكتب بغير لغته اذا اراد ان يطلع على ما كتب ويكتب (في البلدان المتقدمة بالذات) في حقول المعرفة العامة والمتخصصة سواء في العلوم الطبيعية او الانسانية مما سيكون الغرب واليابان سباقين اليه بالضرورة لمدة جيل او جيلين على اكثر التقادير تواضعاً في حسباني وما لن يتأتى لنا ان نكون سباقين اليه في المرحلة الحاضرة من تاريخنا الحاضري لذلك لابد وان تقوم الترجمة (لا انتشار اللغات الاجنبية الحيوية بيننا) بالدور الاساسي في نقل المعارف والعلوم والتكنولوجيا الى ثقافتنا ولا يخفى على اي مطلع ان المكتبة العربية من هذه الناحية في حالة تدعو الى الاسى الشديد.

ولا أرى بعد ان الوقت حان للكلام عن حدود يجب التوقف عندها حتى لا يختل التوازن بين الترجمة واحياء التراث .. فبالنسبة للترجمة حالنا حال مريض يشكو فقر الدم ونقص التغذية فلنهتم الآن بالتخلص من اعراض مرضه الحالي (ضعف



التغذية وفقر الدم) قبل ان نبدأ في التخوف من احتمال اصابته بتخمة او بطنة فهذا في رأيي احتمال غير وارد كما تبدو الامور الآن.

لا خوف من اختلال توازن بين الترجمة واحياء التراث فمريضنا مفتقر الى مكونات الغذاء من بروتينات وفيتامينات ونشويات وسكريات واملاح ومعادن (أي مفتقر الى الترجمة والتأليف واحياء التراث والبحث والتطبيق .. الخ).

اما عن سير الترجمة في طريق ذي اتجاه واحد (كما عبرتم) اي من اللغات الاجنبية الى العربية بدون العكس فاعتقد ان السبيل الصحيح لاصلاح الوضع لن يكون عن طريق حث الآخرين على أن ينقلوا عن ثقافتنا ولا عن طريق ان نترجم نحن لهم من ثقافتنا ما لم يشعروا بعد كفاية لحاجتهم اليه (وهذا على اي نشاط لا اتوقع له نجاحاً كبيراً ان قيم به اذ ستواجهه عقبات كأداء من نواحي التمويل والتسويق والترويج واقناع المستهلكين باستعماله - اي قراءته - حتى لو اعطوه دون مقابل).

الطريق الصحيح لذلك في رأيي هو ان نثبت للعالم اولا عن طريق التطبيق والمعايشة وعن طريق بعث حضارتنا والتقدم ثقافياً وحضارياً وخلقياً وفي ميادين الروح والمادة معاً أن حضارتنا فيها ما يفيدهم ونشعرهم بذلك بحاجتهم اليها مما يدفعهم الى الرغبة في المبادرة (من جانبهم) الى النقل عنا والترجمة عن لغتنا.

ولعل مصداق قولي هذا ان الشعوب التي تشعر بالحاجة الى النقل عن تراثنا العربي الاسلامي (واقصد الشعوب الاسلامية الاشد تمسكاً بالاسلام) تترجم من العربية الى لغاتها (الاردية والملايوية مثلا) كما أنه (في حدود ضيقة) يقوم بعض الذين يريدون أن يثروا مكتباتهم القومية بشيء ما على الاقل من الانتاج الفكري والادبي للشعوب الاخرى ذات الجذور والمناخ الفكري والتجارب الانسانية التي تختلف عن ثقافتهم بترجمة الجيد من الاعمال الادبية العربية الحديثة الى لغاتهم. ولقد ترجم العديد من الاعمال لطه حسين ونجيب محفوظ ويحيى حقي ويوسف ادريس وغيرهم الى اللغات الاوروبية الغربية والشرقية وغيرها كما قام الاكاديميون بترجمة بعض أمهات التراث العربي الاسلامي الى لغاتهم لحاجتهم اليها في بحثهم العلمي فترجم القرآن وبعض كتب الحديث والسيرة والتاريخ وغيرها وتم ذلك لا في عصور النهضة الاوروبية بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر للميلاد بل في عصرنا الحديث.



اصبحت كلمة «**السيبرنيتيكا أو السيبرناطقيا**» كما اعتدنا ان نسميها بالعربية «موضة» منتشرة على صفحات المجلات المتخصصة والكتب العلمية المبسطة واصبح موضوعها شاغل السنوات الاخيرة والمسيطر على اهتماماتها العلمية والواقع ان الذهن ينصرف – لدى سماعه هذه الكلمة – الى آلاف المنجزات التي ابدعها العقل البشري متأملاً اياها بما يشبه الحيرة، ناظراً اليها باعجاب.

وعندما نتساءل عن سر هذا الانجاز؟ يأتي الرد مباشرة .. انها السيبرنيتيكا.

علوم السيبرنيتيكا

وحقيقة فان وضع تعريف مبسط لهذا العلم يبدو من الصعوبة بمكان حين تقفز الى عقولنا خمسة علوم هامة تشترك جميعها في تكوين علم العصر ذاك وهي علوم «**التحكم الآلي، الرياضيات، المنطق، البيولوجيا وعلم الاتصال**».

ورغم حداثة هذا العلم الوليد فانه قديم قدم الطبيعة نفسها، منذ أن مرت ملايين السنين على خلق هذا العالم الهائل في وحدته وانضباطه. الى ان لاحظ العقل البشري هذا النظام المتكامل فحاول محاكاته مخترعاً آلاف العقول الالكترونية وطرائق الضبط الذاتي. والتحكم التلقائي.

وقفة تاريخية

كلمة «**سيبرنتيس**» تعني في اليونانية القديمة «**ماسك الدفة**» او الربان حيث كان علم قيادة الفن يسمى «سيبرنيتيكا» هكذا التقط العالم الفيزيائي الرياضي الفرنسي «**اندريه ماري امبير**» هذه الكلمة منذ اكثر من مائة عام ووضعها في مؤلفه الضخم «**مقالات في فلسفة العلوم**» تحت باب «**السياسة**» وقد عد أمبير السياسة علماً من الدرجة الاولى بينما ادرج علم «الوجود» ضمن علوم الدرجة الثانية .. اما علم التحكم او السيبرنيتيكا فقد وضعه ضمن علوم الدرجة الثالثة .. ووضع امامه – معترفاً له – هذه الكلمات ذات المدلول الرمزي ET SECURA CIVES UT PACE FRUANTUR وترجمتها «ويهئ للمواطنين فرصة الاستمتاع بالعالم».

ومر وقت طويل بعد امبير والمصطلح منسي تماماً .. ثم ظهرت الاغريقية من جديد في مجال العلوم، عندما نشر العالم الرياضي الامريكي «**نوربرت فيز**» سنة ١٩٤٨ كتاباً بعنوان «**السيبرناتيكا أو التحكم والاتصال في الاجسام الحية والآلات**» وقد أثار هذا الكتاب اهتماماً كبيراً لدى العلماء في شتى التخصصات رغم أن القوانين التي وضعها مؤلفه كانت معروفة ومدروسة قبل ظهوره بوقت طويل.

غير ان عام ١٩٤٨ لم يكن – اذا تحرينا الدقة – عام ميلاد السيبرنيتيكا .. بل عام (تقعيد) هذا العلم الجديد .. لانه في ذلك الوقت بالذات كانت الحاجة قد اصبحت ملحة لتحسين نوعية التحكم في عالمنا الذي عقده التكنيك .. وفي هذا المضمار لن ينسى التاريخ العلمي جهود علماء الرياضة والطب والهندسة والفيزياء من مختلف بلاد العالم الذين أرسوا قواعد العلم وأسسه المبدئية وخاصة العالمان الامريكيان (**شينون ونيمان**) والعالم «**بافلوف**».

المحور العلمي

بالاضافة الى العلوم التي سبق ذكرها

والتي تشترك في تكوين السيبرنيتيكا فان الجهاز الرياضي لهذا العلم غاية في الاتساع بحيث يضم نظرية الاحتمالات ونظرية الدوال والمنطق الرياضي وغيره من اقسام الرياضيات الحديثة.

ولكن العامل الحاسم في نشوئه السريع وتطوره .. هو التطور النامي المتقدم والسريع في الاجهزة الاوتوماتيكية الالكترونية وبشكل خاص ظهور الحاسبات السريعة حيث اتاحت هذه المعدات امكانات هائلة في تحليل المعلومات ومحاكاة نظم التحكم.

وكما يسعى الموسيقيون الى ترجمة المشاعر والاحاسيس الانسانية يسعى العلماء في السيبرنيتيكا الى «ترجمة» جميع المواقف التي تحدث في الطبيعة وفي وعينا الى ارقام.

وهكذا اصبح الهدف النهائي لكل الجهود المشتركة في تحقيق هذا العلم هو الوصول الى اقصى قدر من أعتتة AUTOMATION عمليات التحكم في مختلف مجالات النشاط الانساني وزيادة انتاجية العمل. ومن اجل ذلك كانت الدراسة العميقة الشاملة لمجالات التحكم والتوصل للقوانين التي تخضع لها عمليات التحكم والكشف عن مبادئ تنظيم وتركيب نظم التحكم حيث اصبح الجسم الحي مادة لادق انواع الدراسة والبحث فيدرس الانسان نفسه بوصفه نظام تحكم من الدرجة العليا.

وتدرس «السيبرنيتيكا» الخصائص العامة المشتركة المميزة لمختلف نظم التحكم وخصائصها فمادة التحكم (سواء كانت آلة او خطاً اوتوماتيكياً او خلية حية أو مؤسسة او نصاً معداً للترجمة او مجموعة من الاشارات محولة الى عمل فني ..وجهاز التحكم (المخ والنسيج العصبي في الجسم الحي او جهاز التحكم الاوتوماتيكي) يتبادلان المعلومات فيما بينهما.

وفي كل مجال نجد ان تنفيذ عملية التحكم مرتبط بنقل وتجميع وحفظ ومعالجة المعلومات التي تحدد الشيء المتحكم فيه (مادة التحكم ومسار العملية والظروف الخارجية وبرنامج العمل .. الخ).

وبرغم اختلاف حاملات المعلومات من حيث طبيعتها «اشارات صوتية او ضوئية او كيمائية او وثائق وافلام .. الخ» .. الا ان عمليات نقل المعلومات نفسها تخضع لقوانين كمية عامة بصرف النظر عن الحامل المادي او المعنوي.

خاصية التغذية المرتدة
FEED BACK

التغذية المرتدة هي القاسم المشترك في كل نظم التحكم .. حيث تحمل لنا المعلومات عن فعالية «**الفعل التحكمي**» بمساعدة عناصر جهاز التحكم نفسه التي تؤدي وظائف متشابهة كاستقبال المعلومات وانتقائها وتذكرها.

أقسام السيبرنيتيكا

يمكن تقسيمها الى:

* **السيبرنيتيكا النظرية**» الاسس الرياضية والمنطقية والقضايا الفلسفية.

* **السيبرنيتيكا التكنيكية** (تصميم وتشغيل الوسائل التكنيكية المستخدمة في اجهزة التحكم والاجهزة الحاسبة).

* **السيبرنيتيكا التطبيقية** (تطبيق كل من السيبرنيتيكا النظرية والتكنيكية في حل المسائل المحددة للتحكم في مجال الصناعة والطاقة والنقل والمواصلات .. الخ).

مجال دراستها

وينبغي ان ندرك ان هذا العلم لا يوحد بين عمليات الجسم الحي او المجتمع وبين العمليات التي تجري في النظم الاوتوماتيكية حيث لا تهتم السيبرنيتيكا بالعمليات البيوفزيائية او البيوكيمائية المميزة للطبيعة الحية وحدها، وانما تقصر دراستها على «كيفية قيام الجسم الحي والآلة بمعالجة المعلومات المتصلة بعملية التحكم وهذا أيضاً ما تفعله بالنسبة للمجتمع».

كما انها كعلم تسعى الى «التقريب بين جهازين للتحكم هما الانسان والاجهزة الاوتوماتيكية حيث تدرس تفكير الانسان لتصنع **لوغاريتمات** بامكانها ان تصف بدقة اكثر وبصورة مقربة الى حد ما نشاط «**المخ**» جهاز التحكم الانساني الحي .. وفي الوقت نفسه تدرس «بناء الاجهزة الاتوماتيكية وتدرس امكانية ميكنة العمل الذهني للانسان بواسطة هذه الاجهزة» وبذلك تمد المهندسين صناع الاجهزة الاوتوماتيكية بخبرة الطبيعة الحية وخبرة الانسان اعقد اجهزة الدنيا .. كما تساعد علماء الفسيولوجيا وعلم النفس والاقتصاد والمجتمع على التوصل الى اكتشاف مختلف القوانين الكمية التي يعمل على اساسها نظام التحكم الحي.

أسامة أبو طالب

هوامش

عرض وتلخيص عن كتابي:

١ الموسوعة الصغيرة في علم السيبرنيتيكا تأليف: فكتور بيكيليس

٢ CYBERNETICS WITHIN US
BY: YELENA SAPARINA



مَدارس البرية

بناء الشخصية من خلال التدريبات الشاقة

كتبه للمجلة : كريستوفر شايله
ترجمة : محمد فكري أنور

يعتبر الدكتور «**كورت هان**» واحداً من أشهر الشخصيات التعليمية. ذلك أنه في كل أرجاء العالم، نصادف الآلاف من الرجال والنساء الذين يربطهم به الامتنان والتقدير نظراً لآرائه التعليمية الجريئة.

فهو يعتقد أنه يجب علينا تعليم الاطفال كيفية البحث عن المعرفة ومكانها، دون الاقتصار على مجرد تناول الحكمة من أفواه مدرسيهم. ليس هذا فحسب.. بل أن الدكتور «كورت هان» كان مسؤولا عن انشاء أول مدرسة «برية» OUTWARD BOUND SCHOOL وكانت من نتيجة انجازه هذا، أن آلافاً عديدة من الرجال والنساء من مختلف الاجناس والعقائد والالوان يشكرون حظهم في الأيام التي قضوها في منهاج «**المدرسة البرية**» لأنهم تعلموا الكثير عن ذواتهم، وعن القيود والامكانات التي تتحرك في نطاقها ملكاتهم وميولهم .. وقوتهم العضلية.

ان الكثيرين يعتقدون انهم لا يستطيعون تحقيق هدف ما.. وتكون نتيجة ذلك أنهم لا يحاولون السعي اليه من البداية.

وبالامكان تلخيص المنهاج التعليمي للمدرسة في كلمتين هما: انه «**حيث لا مغامرة فلا كسب**» وان كل فرد يمتلك رصيدا من الفضائل والمزايا الخفية التي يمكن ابرازها الى الواقع الملموس عند تعرضه للظروف الصعبة .. والمرعبة اذا لزم الأمر.

والدكتور «كورت هان» كان مديراً لاحدى المدارس الخاصة الشهيرة، في ألمانيا قبل الحرب. وعندما بدأ **النازيون** بالحط من قدر أي نهج تربوي يمجد قيمة الفرد لتعارض ذلك مع نزعات **هتلر** ودولته، قرر «هان» الانتقال الى جو الحرية في **اسكتلندا** لتأسيس مدرسته الجديدة.

والان اكتسبت هذه «المدرسة» شهرة عالمية نظرا لتأكيدها على اللياقة البدنية وتسخيرها في خدمة المجتمع.. وربما كان أشهر طلابها السابقين هو «**دوق ادنبرة**» زوج ملكة بريطانيا.

وبعد انشاء المدرسة بوقت قصير اندلعت **الحرب العالمية الثانية** وبدأت فيالق «هتلر» تغزو اوروبا كلها، وراح جنود بحريته يغرقون البواخر العزل من السلاح التي كانت تحمل الغذاء والعتاد لبريطانيا «المحاصرة» وذهب معها الكثير من الشهداء.

وكان لقاء بين الدكتور «كورت هان» وواحد من اصحاب السفن.. سرعان ما أسفر عن انشاء أول مدرسة «برية» في العالم OUTWARD BOUND

فقد كان صاحب السفينة وهو «**لورانس هولت**» على قناعة تامة بأن معظم الشباب العاملين على سفنه لن يتعرضوا للخطر اذا هم تعلموا «**كيف يحافظ الفرد على حياته**» واذا دربوا على استعمال ملكاتهم الخاصة واذا عرفوا المزيد عن قدراتهم العقلية والعضلية.

وعلى الفور اقام «هولت» و«هان» **أول مدرسة لهما على الساحل الغربي لمقاطعة «ويلز» في قرية صغيرة اسمها «ابير دوفي»**.. وبدأ وصول الطلائع الأولى من الطلاب.

ورغم أن المدرسة قد فتحت ابوابها للشباب من كافة دروب الحياة – الا أن عددا من الاماكن كان محجوزاً لدى اولئك العاملين على سفن «هولت».

وكان العمل الرائد لهذه المدرسة – وحتى وضعت الحرب أوزارها – هو **تعليم الشباب كيف يجابهون التعرض للبرد القارس والحرمان من كافة مباهج الحياة**.. وهي الظروف التي يواجهها البحارة خصوصاً عند تعرض بواخرهم للغرق.

وكانت الرغبة في مواجهة الأخطار والصعاب الناجمة عن الحرب هي التي شجعت مدرسة «ابيردوفي» على العمل في سبيل انقاذ حياة الكثيرين.

اما كيف تحقق لها ذلك فقد كان عن طريق تعريض «المتدربين» للاحداث الخطرة وهم على متن قوارب صغيرة على سطح البحر وفوق الجبال القابعة خلف المدرسة.

وتعلم رواد المدرسة الكثير خلال سني الحرب.. وعندما لاح السلام صمم عدد من الأشخاص على أن يحفظوا للمدرسة استمرارها.. بل واتساع مجالاتها. كذلك كان هؤلاء المتحمسون يأملون في فتح مدارس جديدة لو سنحت الظروف لذلك.

بيد أن الرياح لم تأت بما تشتهي السفن.. فقد تلا ذلك أربع سنوات عجاف، استطاعوا خلالها قهر الصعاب لكنهم لم يتمكنوا من كسب المبالغ اللازمة.

لقد كانت الصناعة، بعد الاثار التخريبية التي خلفتها قنابل هتلر – عاكفة على التعرف على نفسها، كما عكف الافراد على اعادة صياغة الحياة المدنية. اما خبراء التعليم فلم يكونوا على قناعة بجدوى مدرسة «البرية» في السلم الى جانب عدم وجود مؤسسة معنية بالدعاية لاهداف المدرسة. ثم كانت الانطلاقة..

ففي عام **١٩٤٩** عقد اجتماع في «**ايستبورن**» **بجنوب انجلترا**، حضره اكثر من اربعين من المعنيين بمدارس «البرية» واستمرت المناقشات يومين وليلتين.. دون جدوى.. ثم استبعدت الآراء غير المناسبة والفجة وتمت دراسة ما عدا ذلك، ثم التقى المتعارضون على أرض سواء.. وبزغت في الأفق شمس الاتفاق على نتائج عامة.

اتفق على ان يتركز الاهتمام – خلال السنوات الخمس التالية – على التدريس وفق مناهج مدرسة «ابيردوفي» وان يقتصر التدريب على استعمال البحر والجبال كأدوات يجب تحديها وقهرها.

المدرسة .. والأهداف

هذا ولكي يتسنى لمن يهمه الأمر ان يكوّن تصوراً عاماً للاهداف التي تنهض OUTWARD BOUND بتحقيقها فقد كان التعريف الذي اقره المجتمعون لاهداف المدرسة هو:

«ان مدارس تدريب الشخصية من خلال فصل دراسي قصير، تعني بأن يتكون لدى الشباب جزء متكامل من التعليم الشبابي. ينهض كوحدة لبناء الطاقات والامكانات بهدف خدمة المجتمع، بالتعاون مع الحركات الشبابية».. ويجب تأسيس المدارس على الأسس التالية:

«يجب أن تكون اختيارية، وألاّ تقل الفترة الدراسية عن أربعة اسابيع، كما يجب أن تفتح أبوابها للجميع وان تضم مختلف الاهتمامات والجنسيات بدون اية تفرقة سياسية أو اقليمية. كذلك فهي تعمل على أن تواجه كل شاب بمجموعة من الظروف، وأن تطرح امامه، وفي اول مناسبة، فرصة اكتشاف نفسه.. هذه الظروف هي: «الاعتداد بالنفس، العمل الجماعي، حب



المغامرة، وبعض المصاعب الجسمية والمخاطرات التي يندر أن يواجهها في حياته العادية.. ناهيك عن **الحروب**. كما يجب على المدارس أن تنهض بالعمل الجاد من أجل **تطوير الشخصية** من خلال التدريب سواء في الفضاء أو بالاهتمامات العملية.»

كانت هذه هي البداية.. ومنذ ذلك الاجتماع تم فتح المدارس المذكورة في خمس عشرة دولة.. وكانت حركة تحديد المناهج الدراسية والتدريبية تتفق دائماً مع احتياجات التغيير الاجتماعي.

المناهج الأولى

وضعت المناهج الأولى للأولاد الذين تتراوح اعمارهم بين ١٦ - ٢٠ عاماً. أما الان فثمة مناهج اخرى خاصة بالفتيات وغيرها للصبية الى جانب المناهج الخاصة بمتوسطي العمر الذين يمرون بالعقد الرابع أو الخامس من أعمارهم، كما أن هناك مناهج خاصة بالمدرسين ومناهج «**الضواحي**» لاولئك الذين لا تتوفر لهم فرصة مغادرة المدينة التي يعملون بها.. ومناهج «**جوالة**» للذين يريدون العودة للدراسة من جديد.

الى جانب كل هذه التطويرات والتجديدات التي كانت تدخل على المناهج الدراسية والتدريبية بمدارس «البرية» فقد شهدت السنوات التالية مزيداً من التطوير والتجديد.

وقبل أن نغوص في خضم تلك التجديدات.. دعونا نطرح هذا السؤال: -

*** * ماذا يدرس الطلاب فعلاً في مناهج هذه المدارس؟**

لقد اتيحت لي فرصة العمل باحدى هذه المدارس بانجلترا لمدة سنتين ثم عملت خلال فصول دراسية متفرقة بمدارس بشرق افريقيا وسوف أقدم.. في السطور التالية.. وصفاً ليوم نموذجي باحدى المدارس الجبلية بشمالي انجلترا.. على أن فقرات الدراسة باليوم الدراسي هي نفسها في كافة ارجاء العالم مع شيْ من التحوير حسب الظروف الجغرافية المحلية للبلاد المعنية.

البداية المبكرة

«**قيام.. انهضوا.. الاقدام على الأرض**».

تلك **صيحة المدرب** المناوب في كل صالة نوم تحوي حوالي عشرين من الأولاد الذين لازالوا يغطون في نوم عميق في اسرتهم «ذات الطابقين» والساعة الان هي السادسة صباحاً وهو توقيت — حسب الظروف الجوية بالمناطق الشمالية — يجيْ مع الظلام والبرد القارس.

ويتردد صدى صيحات الايقاظ هذه في الممرات الحجرية للمبنى.. بل هي تصعد الدرج حتى تصل الى آذان الموظفين لذين قد يكونوا نائمين، والذين ربما تساءلوا وهم يستيقظون في هذه الساعات الأولى من النهار — عما اذا كانوا قد احسنوا اختيار العمل الذي ينتسبون اليه أم لا.

الظلام مازال يغمر الأفق في الخارج، لكن المدرب المناوب يصيح «الشمس في الخارج تكوي العيون» ثم يضيف «**تذكروا أن آخر من ينزل من صالات النوم الى الفناء، ستقع عليه مهمة غسيل أواني طبخ الثريد**» ولا يفتأ المدرب يحفز طلابه مرغباً تارة — ومنذراً أخرى حتى يهبوا جميعاً.. طارحين النوم والكسل جانباً.. ومسرعين الى الفناء.. ولا يزال صوته يملأ الاذان.

هيا.. هيا.. ما بالك يا رفيقي الشاب؟ فيجيب الولد الذي كان يعرج بساقه قليلاً.

«بعض الخدوش يا سيدي.. مذ كنا نتدرب على تسلق الجبال أمس».

ويعنى به المدرب ويقول له: توجه — بعد الافطار — لزيارة الحكيمة كي تضع عليها بعض الضمادات.. وعلى كل حال، انت معفى من تدريب الركض، ولكن ليس من السباحة.

ويحس الولد أنه وجد حلاً لمشكلته، وأهم من ذلك أن اعتذاره مقبول لدى مدربه، فيقول له: «**شكراً يا سيدي**».. وهو الان يحس تجاهه بالامتنان والتقدير.. اما تدريب السباحة الذي سيكون عليه ممارسته بعد فترة الراحة، فقد صمم على أن يباشره بكل التصميم والقوة.. حتى الآن والظلام مازال مخيماً.. واربعمائة ولد أو يزيد يطأون بأقدامهم أرض فناء المدرسة.. فقد كانوا — منذ أربع دقائق — نائمين في أسرتهم.. وبعد دقيقة سيصل المدرب المناوب ليصاحبهم في طابور جري الصباح بين الغابات والادغال.. كما يشترك فيه مدير المدرسة، وهو جندي سابق يتمتع باللياقة البدنية.. وبقلب طيب أيضاً.

وربما سمعت بعض **الضحكات** الخفيفة التي تخرج لوصول المدير متأخراً عن موعده.. لكنه بمجرد أن تطأ قدماه **أرض الملعب** في مواجهتهم توأد الضحكات على الشفاه أحتراماً.

أما **طابور الجري** فلا يستغرق وقتاً طويلاً.. فهو لا يزيد عن خمس دقائق على الممرات المؤدية الى **البحيرة**.

السماء تبتسم الآن لخيوط الفجر.. وجحافل الظلام تؤذن بالرحيل.. واذا كان الوقت شتاء — فان المدرب يقوم — قبل وصول الطلاب — بتكسير الجليد الذي قد يكون على سطح البحيرة.. هناك — يتم التدريب — طبيعياً وسريعاً.. والأولاد جذلين بهذا التدريب المنشط الذي يباشرون فيه القفز الى الماء والسباحة حول مضمار قصير محدد بعلامات ارشادية ثم يرتقون درجات الدرج مغادرين الماء الى البر.

الأفطار

وهو عمل جماعي يشترك الأولاد خلاله، في ترتيب الموائد ثم في تنظيفها بعد الأكل وفي اليوم الأول للدورة، يلحق الوافد الجديد باحدى الزمر التي تحمل اسم مكتشف عظيم أو جندي باسل، أو متسلق جبال شهير.. مثل «**واتكنز**» و«**ثيزيجر**» و«**سكوت**» و«**هيلاري**» و«**هنت**».. الخ. ولكل زمرة معلمها الخاص الذي يكون تعرفه بالأولاد وثيقاً.. فهو يشاركهم افطارهم ويناقش معهم مهام اليوم التالي.. قد تكون مهام الغد هي: الارشاد بمخاطر تسلق الجبال، أو تسلق الصخور، أو الابحار فوق قوارب صغيرة، أو هي الدروس التدريبية الأولى، أو التجديف على مياه صافية، أو قراءة الخرائط، أو يكون الغد هو أول الأيام الثلاثة التي تقضيها وانت تحمل حاجياتك كلها على ظهرك.

ولقد تصدر عن ولد أو اثنين بعض الأسئلة العصبية حول مدى امكانهما تحقيق احدى المهام المنوطة بهما في يومها التدريبي هذا، ومن ثم تكون في إجابة المدرب عليهما شيْ من الراحة والتشجيع أن «بإمكانهم».. فعل ما يرونه مستحيلاً.

وقد لا يسلم الأمر من بعض الشباب - وتلك ظاهرة واضحة - الذين يحقرون الخبرة وينالون من قدر النصيحة.. وهؤلاء يحين دورهم - فيما بعد - عندما يدفعهم غرورهم الى التبلل في الماء - عند السباحة - والاصابة بالبرد، أو ربما اصطدموا بصخور أحد الجروف لدى تسلق الجبال.. عندئذيتذكر هذا المزهو نصيحة مدربه ويعد (ربما بينه وبين نفسه) ألا يدعي المعرفة وقت الإفطار مرة أخرى.

بعد الافطار

عندما يفرغ الشباب من تناول افطارهم يقوم منهم - من يرغب - الى **أداء صلاة دينه** الذي يعتنق، دون أي ممارسة طائفية لذلك.. **وبعد الصلاة.. يبدأ عمل اليوم.**

فمن الواضح أن برامج المدارس تختلف بشكل واضح على أساس ما اذا كانت منطقة التدريب (أو موقع المدرسة) بجوار البحر أو ملاصقة لأحد الجبال.

فالمدرسة المقامة في منطقة صحراوية، **باسترّاليا** مثلا، تختلف التحديات التي يواجهها طلابها عن تلك التي يواجهها طلاب مدرسة تقع عند منحدرات جبال «**كلما نجارو**» بشرق افريقيا كما تختلف المخاوف التي يصادفها الشباب الأمريكيون الذين يجدفون قواربهم فوق صفحة مياه «**كلورادوا**».. الصافية، عن تلك التي يواجهها الشباب الاسكتلنديون الذي يشقون طريقهم فوق سطح صخري شديد الانحدار.

رغم كل هذه الاختلافات التدريبية المعزاة الى اختلافات بيئية فان النتائج الأخيرة لكل هذه التدريبات تظل دائما ذات استمرارية لا تغيب عن العين.

تحدث دوق ادنبرة عن مدارس «البرية» العالمية الانتشار فقال:

«قد لا تكون مناهج هذه المدارس ثورية في حد ذاتها، الا أن الذي نتفق عليه جميعاً هو النتائج الايجابية لها.. في معظم الأحوال، يسقط من الشباب.. «**غرور الشباب وصلفه**» ويولد فيهم المعدن الحقيقي للرجال.»

وبعد.. فلنكمل تعقبنا لتفصيلات يوم دراسي باحدى **المدارس الجبلية في انجلترا**.. الان.. وقد اتم الشباب الطابور الصباحي للجري والسباحة.. وتناولوا افطارهم - وغسلوا صحونهم.. اما القدور التي طبخ بها الثريد فقد كان غسيلها من نصيب اولئك الذين وصلوا أرض الملعب متأخرين.

كذلك توجه الذين يشكون مرضاً أو توعكاً لزيارة الممرضة (حيث لا احتمال لأن يدعي أحد المرض أو يهوى ادعائه.. لأن الكبرياء الذاتي للأفراد يتنامى مع تعاقب أيام التمرين).

أما الان.. فكل زمرة تبدأ مغادرة أرض المدرسة بمصاحبة مدربها..

الزمرة الأولى تخرج في مصاحبة أحد خبراء تسلق الجبال ومعه أحد مدرسي المدرسة ممن أمضوا بها مدة لا تقل عن الثلاث سنوات.. ويسير افراد الزمرة ويلفون حول مبنى المدرسة متجهين الى مستودع الحبال.. حيث توجد عشرة **حبال نايلون** الى جانب عدد من المعدات ذات الأسماء الغريبة.. والتي لا يعرفها الا أولئك المهتمون بتسلق الجبال منها «**الرزة**» و«**المقلاع**» و«**الكلاب**».. الخ. وهي مصفوفة في حقائب تحمل على الظهر.. ويتحرك الأولاد الاربعة عشر ومعهم مدربهم مودعين أصدقاءهم من الزمر الأخرى الذين لايزالون منشغلين بتجميع معدات يومهم التدريبي.

هذه الزمرة الأولى يقع عليها السير لمدة ثلاث ساعات ونسمع صوت المدرب مخاطباً شاباً مزهوا يحاول سباق زملائه «**لا تسرع يا جون**».. اذا بدأت السير بهذه السرعة فسوف ترهق قبل أن تقطع نصف المسافة الى الجبل.. ومن ثم لن تستطيع النهوض بأعباء اليوم.. سر ببطء واستقم ثم يستطرد قائلا: «هذا اذا اردت ان تتم يومك».

وتمر الأميال وينخفض معدل السرعة عند بداية سيرهم فوق المنحدرات.. لكنهم لا يقطعون الشوط دفعة واحدة.. ان مدربهم يمنحهم خمس دقائق راحة كل خمس وأربعين دقيقة.

والجبال المحيطة اكتست قممها بالجليد.. وأشعة الشمس لم تصل بطن الوادي بعد، والغربان ساكنة الجبال لا تزال في أوكارها لم تبرحها.. وترسل نعيقها الغريب «**كاو.. كاو**».

أخيرا.. وقد نال منهم التعب وصدعهم طول المسير.. ينحو بهم مدربهم جانبا كي يخلدوا الى دقائق من الراحة.. لكنه يبادرهم قائلاً: «لنرتدي السترة الصوفية فوراً».. فيقاطعه احدهم قائلا: «لكن اجسادنا تغلي من الحرارة.. سيدي» انهم لا يدرون بأي سرعة تبرد اجسامنا بعد القيام بجهد مضن.. ومن ثم نتعرض للاخطار الناجمة عن تجفيف الأجسام «الحارة» في الجو البارد.

ربط الحبال

ويخلعون الحقائب عن ظهورهم ويضعونها على أرض

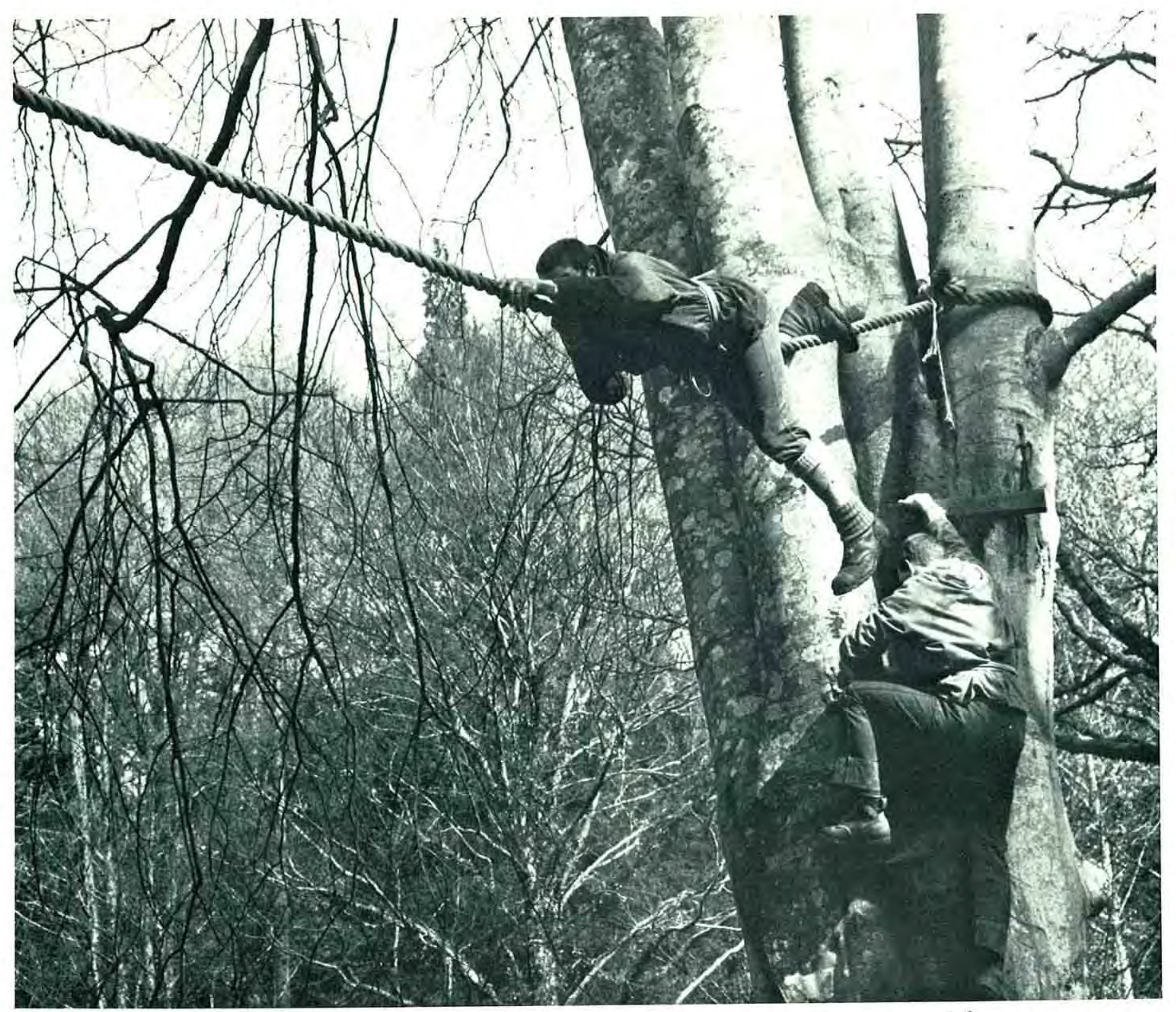


مستوية بجانبهم ويبدأ المدرب يفك الحبل الأول وهو واثق انه خال من العقد والتشابكات.. وبخبرته المعروفة يلف الحبل حول خصره رابطاً اياه بعقدة خاصة يعرفها متسلقو الجبال وهي.. «**العقدة غير المنزلقة**».. ثم يقول: «انظروني اعيدها مرة أخرى» تعالوا راقبوني بدقة.. فسيكون عليكم عقدها لانفسكم طوال اليوم.. فاذا اخطأتم فيها — وسقط أحدكم فسيكون واجبي.. هو أن اكتب لولي أمره أشكو عدم انتباهه قبل أن يسقط من ارتفاع خمسمائة قدم على أرض جرانيتية صلبة.»

وببطء ورقابة.. يعيد المدرب ربط العقدة وقد تأكد أن «الجميع» ينتبهون اليه ويتابعونه ويفهمونه جيداً.. ثم يعيد ربطها وفكها عدة مرات مقترحاً عدة طرق بسيطة تذكر الطالب اذا هو سها عنها قائلا «**تذكروا ان طرف الحبل هذا شجرة**».. وان هذا الطرف الآخر أرنباً.. وما علينا سوى أن نضع من الحبل دائرة نسميها.. «**حجر الأرنب**» والان.. وقد خرج الأرنب من جحره ودار حول الشجرة ثم عاد الى جحره مرة أخرى.. فعلينا أن نجذب الحبل بشدة.. ترى هل نكون قد اصطدناه؟ فيومئ الأولاد بانهم قد فهموا هذا الشرح المبسط لطريقة ربط العقدة.. وعلى الفور يبدأون التدرب عليها.

الخطوات الأولى

يبدأ المدرب خطواته الأولى متسلقاً وجه الجرف مستعملاً الأطراف السميكة لحذائه المطاطي.. كي تساعده على التوازن فوق حبات الصخور التي لا يزيد عرضها عن اصبع اليد.. ثم يلتفت صوب الأولاد وقد اخذهم واقع المواجهة ويقول: «هذه مقابض جيدة.. وسهلة جداً.. حافظوا على توازن اجسامكم بعيدا عن الصخر واجعلوا وزنكم كله على اقدامكم. وتبدأ حركته



الرقيقة المتوافقة متسلقاً أعلى الجرف.

الواقع انه يمارس الان جزءاً سهلاً فعلاً من تمرين التسلق مدعوماً بعوامل الأمن والسلامة بيد أن الأمر لا يبدوكذلك في نظر المبتدئين. ثم يربط المدرب نفسه الى قطعة كبيرة من الصخر عند قمة الجزء الأول من المتسلق وينظر الى الأولاد من دونه، هاتفاً:

«الأول.. تسلق».. ويبدأ أولهم تسلقه وركبتاه ترتعدان ويداه تتفصدان عرقاً.. لكنه لا يظهر احاسيسه الخائفة تلك، على الأقل أمام زملائه. أما المدرب فيعرف ما يجول بخاطر أولاده من أحاسيس وما يعانون من خوف ووجل.. الأمر الذي يعتبر شيئاً عادياً بالنسبة لاناس يخوضون **تجربة تسلق الجبال لأول مرة**.

ويهتف المدرب بالولد الوجل مشجعاً وقائلاً: «هيا.. اقفز.. حسناً.. الق بنفسك الى الخلف في الفضاء».

«مستحيل.. لكن اليس من ذلك بد سيدي؟ كلمات خائفة تخبئ من الخوف والهلع أكثر مما تبدي مدلولات الفاظها.. ومن حيث انه لا مناص من تنفيذ الأمر.. فانه يصدع لما يؤمر به.. ويلقي بنفسه في الفضاء.. لكن لا يصيبه أي ضرر لأنه مربوط الى الحبل النايلون بعقدة صحيحة والحبل موصول بمدربه.

هكذا البداية.. والبقية تالية!!

الان.. وقد تعلم الولد أن يثق بمعلمه.. وفي الحبل الذي يستعمل فانه ربما للمرة الأولى في حياته يقهر الخوف داخل اعماقه.

وبعد أن يؤدي اربعة أو خمسة اولاد حركات مشابهة فانهم يهبطون جميعاً مع المدرب بالطريقة السهلة، منزلقين على الحبال باستعمال عقد وطرق خاصة. ومن ثم يصبح الأولاد الذين قهروا المرحلة الأولى من التسلق في موقف يحسدهم عليه رفاقهم..

أجل.. فهم قد اجتازوا مرحلة، يكون على الرفاق ممارستها من بعد.

الغداء

مر الوقت.. وحان موعد الغداء.. وجلس الأولاد يفضون لفائف **السندويتشات** ويلتهمونها بينما يقوم المدرب بوضع علامات الطريق التي يستدلون بها في تسلقهم للجبل وشرح خبايا ومفاجآت تلك الرياضة والأخطار الناجمة عن ارتكاب أية اخطاء اثناء ممارستها. وربما قال لهم: اذا سلكتم هذا الدرب سمعتم انذاراً من مركز الانقاذ هنا.. وبالمناسبة **فلكل مدرسة مركز انقاذ خاص بها على المناطق الجبلية التي تجري تدريباتها فيها، يقوم باسداء الخدمات والمساعدات لمن يحتاج اليها.. كما تلجأ الشرطة والفنادق والشركات السياحية غالباً الى ادارة مدرستنا للاستعانة بها في البحث عن أشخاص مفقودين أو لحمل المصابين أثناء تسلق الجبال الى المستشفى ولذلك يلقن الدارسون انهم يعتبرون جزءاً من أفراد المجتمع ماداموا في فترة التدريب وأن يكونوا على أهبة الاستعداد متى تلقوا نداء للاسعاف نهاراً أو ليلاً كي يكونوا في خدمة اولئك الذين يتهددهم الخطر او يحتاجون للمساعدة.**

فترة بعد الظهر

وتكون حافلة بتدريب مكثف **لتسلق الصخور** يتخللها **محاضرة قصيرة** عن الاسعافات الأولية (كيف نضع جبيرة لذراع مكسور.. وكيف نصنع تلك الجبيرة من عصاتين وقطعة من حبال التسلق. وفي الساعة الثالثة عصرا يحين وقت العودة. عندئذ يكون الهبوط أكثر سهولة عن طريق التلال.. بيد أن الأخطار واردة أيضا.. وذلك اذا لم يراع وضع الأقدام بالشكل المناسب أو السرعة المناسبة في الهبوط والتي تؤدي غالبا الى حدوث كسر في كعب القدم.

في نفس الوقت تستعد الزمر الأخرى للعودة الى المدرسة فهؤلاء اعضاء احدى الزمر يعودون وملابسهم مبللة من أثر رياح اجتاحتهم وهم يتدربون على التجديف فوق سطح البحيرة.. واولئك آخرون يعودون ولدى البعض منهم مجموعات من ريش الطيور والأحجار المختلفة وغيرها من الأشياء التي قضوا يومهم يبحثون عنها فوق الجبال.. وزمرة ثالثة.. لايزال أعضاؤها سعداء بالفترة الصباحية التي قضوها في تعلم قراءة الخرائط، وهاهم يتأهبون لقضاء الجزء الباقي من النهار مع تدريبات شاقة على الجبال وتسلق الأسوار.

هذا.. والذي يتفق عليه الجميع انهم «كلهم» سعداء نفسياً ومرهقون جسدياً.. والكل مسرور لنجاحه في أداء المهمة الموكلة اليه.

والآن.. الكل يستمتع **بالحمامات الساخنة**.. ثم يأتي دور وجبة دسمة حارة يجتمع حولها الشباب يلتهمونها برضا وشهية وافرين..

وبعد ذلك يأتي دور **المناظرات**.. حيث **تدور المناقشات حول بعض المواضيع الاجتماعية** ويتعاقب الأولاد وراء **الميكروفون** كي يعلن كل عن رأيه.. بينما يجلس المدربون حول أطراف الغرفة يراقبون وينصتون. ويسجلون ملاحظاتهم.. وفي العاشرة مساء يحين موعد النوم.

هذه المدارس.. لماذا؟

قد يثور لدى البعض سؤال مؤداه:—

«ما الهدف وراء تسلق الجبال أصلا.. ياسيدي» وربما يكون السؤال الأولى بالطرح هو «لماذا نناقش هذه القضية برمتها؟»

وللسائل عذره.. ذلك أن الدارسين قد لا يدركون حجم المتعة الحقيقية التي يحصلون عليها من هذه النتائج اثناء فترة التدريب، ولكنهم بالتأكيد يدركونها فيما بعد.

وقد لاحظ اخرون ان احد الأفراد قد ازدادت ثقته بنفسه وان هذه الثقة تضطرد في ازدياد مع تعاقب أيام الدراسة، وقد يتعلم البعض — وهم في منتصف تدريب تسلق الجبال لأول مرة — **فن القيادة** ومن ثم تنمو عندهم هذه الموهبة وتزداد وهكذا.

وفي **المناظرات المسائية** يسجل المدربون ملاحظاتهم عن الشباب طوال شهر التدريب لأن مدرب كل زمرة يجب أن يقدم تقريراً وافياً عن كل طالب تحت اشرافه الى جانب ملاحظات موجزة عن أعضاء الزمر الأخرى الذين قد يشرفون عليهم في بعض التمارين خلال أيام الدراسة.

وعندما يحين الوقت الذي يستقل فيه الشباب عائدين الى ذويهم بعد تمام اليوم الثلاثين من التدريب تكون هناك علاقة وثيقة جداً أو حميمة جداً قد توطدت بين أعضاء هذه الدورة التدريبية.

وعلى أساس التقارير الواردة من المدربين يقوم مدير المدرسة بمناقشة كافة المعلومات الواردة عن شخصية الدارس ثم يقدمها، وفي تقرير رسمي عن المدرسة، الى ولي أمر الطالب.

الهدف المنشود

أما الهدف الذي من أجله تلجأ المؤسسات الى ارسال منسوبيها من الشباب الى هذه المدارس فهو هدف مزدوج.

فهم **أولا** يأملون أن يدرك الفرد بنفسه فائدة الاختلاط بمجموعة كبيرة من بني جنسه يشاركها المعايشة والعمل معاً. وفي ظروف قاحلة. وأما الشطر **الثاني** من الهدف فهو أن هذه المؤسسات تقدر تقارير هذه المدارس حق قدرها.. فهي تضع أمام ادارة المؤسسات صورة متكاملة لسلوك هذا الولد بعينه على امتداد شهر كامل كما انها تناقش وتحدد قدرة الفرد على التجديد والابتكار.. ومدى قدرته على التصرف مع اناس مختلفي المشارب والميول.. وما اذا كان يستمتع بكفاءات قيادية أم لا.. وما هي قدرته على احتمال الحرمان من شيء ما.. هذه النقاط تساعد اولي الأمر – بلا شك – على تحديد المهام المستقبلة التي يمكن اناطتها الى الأفراد.

العودة

ويعود الأولاد الى بيوتهم ومدارسهم أو مصانعهم أو مواقع عملهم وهم مسلحون بنظرة جديدة تماماً الى الحياة.. أجل.. لقد اتسعت افاقهم وتوطدت ثقتهم بانفسهم وفيما يلي نعرض أمثلة لبعض الأقوال العفوية التي تفوه بها الأولاد بعد اتمام التدريب بهذه المدرسة:–

** ان الجوهر العام لهذه المناهج هو «**النظام**» ولست أقصد بالنظام ذلك الذي يفرضه المدربون وحسب بل ذلك النوع من النظام الذي يفرضه الفرد على نفسه والذي اود أن اسميه «**النظام الشخصي**».

** كانت البحرية – بلا شك – هي الجزء الأساسي بالدورة (كان ذلك باحدى المدارس البحرية) فعندما خرجنا في «**المركب الشراعي**» كان أسلوب عملنا جماعياً وكان لذلك أثره في **تنمية روح الجماعة بيننا**.. وعندما امسكت بدفة المركب شعرت بالزهو والفخار.. وهو الشعور الذي نما عندي عندما عصفت الريح بالمركب وغمرتها الأمطار.

** لقد كانت خبرتي بلقاء الناس والاختلاط بهم جد قاصرة.. لكني تحققت في الوقت المناسب من أهمية القدرة على مشاركة الاخرين اراءهم واهتماماتهم.

** كان التدريب في رأيي تجربة عظيمة هيأت لكل الذين مارسوها فرصة سانحة لعمل شيء ما قد يكون في حد ذاته مغامرة فعلية ودرساً لا ينسى في **روح الزمالة والادارة الشخصية**.

** أما النقد النموذجي فقد جاء من احدى الشركات يقول:

لقد كان المعيار في اختيار الأولاد الذين ارسلناهم الى مدارسكم هو مكافأة المجتهدين من العمال ومساعدتهم على تطوير انفسهم.. لكننا ادركنا انها تجربة يجدر بجميع عمالنا أن يخوضوها.. ولهذا اتخذنا هذا القرار من أجل مصلحة الأولاد ومصلحتنا نحن ومصلحة المجتمع على وجه العموم. فلا شك أن ثمة تغييراً حدث في شخصية الأولاد وسلوكهم.

اخدم .. كافح .. لا تستسلم

ان شعار مدارس «البرية» هو اخدم – كافح – لا تستسلم وحيث ان هذه المدارس «تخدم» و«تكافح» فان الأمل معقود على الا «تستسلم» للضغوط الاقتصادية.

فقد اغلقت احدى المدارس بالمملكة المتحدة ابوابها عام ١٩٧٧ وسبب ذلك أن اولياء الأمور منصرفون الى انفاق اموالهم على بناء المصانع الجديدة دون ما تفكر في أثر ذلك على تقليل اهتمامهم بالمثل والقيم التي يجسدها ارسال منسوبيهم الى هذه المدارس. والواقع ان الامال والمثل المعقودة بمدارس «البرية» OUTWARD BOUND تزدهر بكافة ارجاء العالم على هيئة مدارس جديدة تفتتح كل عام.

هذه **بلجيكا** – وكذلك **اليابان**.– تضعان الخطط اللازمة بانشاء مدارس بحرية على اراضيها كذلك ابدت **دولة الامارات العربية المتحدة** اهتماما متزايدا بانشاء مدرسة جبلية على سفوح جبال «**رأس الخامر**» الى جانب الطلاب الذين ينتظمون بالمدارس الموجودة في **بريطانيا** والذين يمثلون عدة جنسيات من **ايران وزامبيا والمملكة العربية السعودية والفلبين**.. الأمر الذي نستطيع معه القول بأن معظم اجزاء العالم – تقريباً – ممثلة في هذه المدارس.

ويبقى سؤال

لماذا تجتذب هذه المدارس حماس طلابها اليها؟

ربما استطاع اثنان من عظماء الرجال وضع الاجابة الصحيحة لهذا السؤال افضل مني.. أولهما رئيس وزراء بريطانيا في الحرب العالمية الثانية «**سير ونستون تشرشل**» يقول ان «**الفرص المتاحة تولد الشعور بالمسؤولية**».

وثانيهما «كورت هان» مؤسس هذه المدارس.. ويقول: «**ان الشعور بالمسؤولية يؤدي بالشخصية الى النضج والكمال**..»



زهر الآداب لأبي اسحق الحصري (٣٦٣ - ٤١٣هـ)

بقلم: د. محمد الشويعر

في العدد العاشر نشرت المجلة موضوعاً بعنوان «بين الحصري .. وابن حزم» بقلم د. محمد بن سعد الرويشد .. والاسم الصحيح هو د. محمد بن سعد الشويعر .. كاتب هذا الموضوع .. نأسف لما حدث .. ونعتذر للدكتور الشويعر لهذا الخطأ.

«المجلة»

يقال: ان من لا ماضي له لا حاضر له، والأمة العربية بتراثها الضخم وانتاج أبنائها المتدفق وسجل حياتها الحافل، كل ذلك برهان على الماضي العريق والمكانة الراسخة التي تبوأتها أيام شموخ **مجد الاسلام**، وازدهار **الحضارة العربية**.

وقد فتح ابناء العرب بجهودهم تلك آفاقاً جديدة أمام **الحضارة الغربية** وعلومها، واختصروا بذلك خطوات كبيرة من مسيرتهم في طريق العلم والمعرفة.

والموجود من التراث العربي مع كثرته لا يبلغ معشار ما انتجته العقول واحتوته بطون الكتب.

ذلك ان الكوارث التي مرت بالحواضر العربية بهدف زعزعة مكانة الاسلام وتقويض دعائمه والقضاء على دولته، افقدت المكتبة العربية كنوزا ثمينة وثروة لا نظير لها. وكتب التراث العربي متنوعة الهدف والفكرة والمقصد.

وان كان اغلبها يدور حول الدين الاسلامي اصوله وفروعه، واللغة العربية وآدابها وهذا الأخير مع وفرة نوعياته وكثرة ما يوجد منه بين يدي القارئ فانه يبرز شخصية المؤلف ويظهر الحياة الاجتماعية لمن يعاصرهم ويصور مستواهم العقلي والخلقي.

ومما يزيد كتب التراث اهمية ورغبة في الدراسة والتحليل، ان تقترن بالبحث العلمي والعمق في استخراج المعلومات ذلك ان الباحث المستقصي في هذا النوع من التراث لن يعدم وجود ثروة لم تنشر وكتب لم تر النور بعد، خاصة في تجميع القضايا المتناثرة هنا وهناك من منقولات المؤلف او ابتكاراته والتي يهم الباحث لم شتاتها وتجميع ما تفرق منها.




وقد عرفت كتب الادب العربي بانها تجمع بين **الاشباه والنظائر** ولم تكن خالصة لنوع معين من انواع المعرفة.

زهر الاداب

وزهر الاداب وثمر الالباب **لابي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري** (٣٦٣ – ٤١٣هـ) واحد من هذه الكتب التي سار مؤلفوها على مفهوم الادب عند العرب: بانه «**الاخذ من كل فن بطرف**» وقد بان تأثير العقيدة والتشيع بثقافة الدين على أسلوبه في كتابه وما بثه فيه من معلومات نقلها اوكان له دور فيها فكان ذا منهج متميز.

وفي التعريف بهذا الكتاب هنا سنقصر الحديث على بيان منهج الحصري فيه كما رسمه هو لنفسه او كما استنتجناه من ثنايا الكتاب وعلى ايضاح بواعث تأليفه والعام الذي ألفه فيه.

ولعله يتاح لنا مستقبلاً في لقاء مع القارئ التعريف بجوانب اخرى عن هذا السفر النفيس الذي لم يتوفر له في الدراسة مثلما توفر لغيره من حيث المادة العلمية والتأثير فيمن بعده.

فاسم هذا الكتاب: لم يختلف فيه احد من الباحثين قديماً وحديثاً مع انه طويل ومركب في جزئين ولعل من أسباب عدم الخلاف مكانة الكتاب أولاً ثم ما نص عليه الحصري نفسه في المقدمة عندما قال: فمها تره من ذلك في هذا الاختيار فلا تعرض عنه بطرف الانكار وما اقل ذلك في جميع المسالك الجارية في هذا الكتاب المرسوم: «بزهر الاداب وثمر الالباب» (زهر الاداب ١: ٥ب).

وقد ابان عن منهجه في تأليفه لهذا الكتاب نصاً واستنتاجاً.

منهج الحصري نصاً

أما **النص** فمن قوله في مقدمته: «**وقد نزعت فيما جمعت عن ترتيب البيوت وعن ابعاد الشكل عن شكله، وافراد الشيء عن مثله فجعلت بعضه مسلسلاً وتركت بعضه مرسلاً، وقد يعز المعنى فألحق الشكل بنظائره واعلق الأول بآخره. وتبقى منه بقية افرقها في سائره**» زهرة الاداب ١: ٢ب مقدمة الحصري.

ويبدو أن هذا المنهج جديد بالنسبة لجيل الحصري لأن التجديد في سمة الادباء ولهذا امتدح تأليفاته بهذين البيتين:

فرقت في التأليف معتمدا ... ما كان لو قد شئت يأتلف
والعقد ما اختلفت جواهره ... الا ليشرق حين يختلف

(جمع الجواهر ٧)

ومن هذا نرى أن زهر الاداب في منهجه يأتي مرتب الموضوعات منظمها وتارة يرد بخلاف ذلك. وكل هذا معتمد مقصود وفق منهج حدده الحصري لنفسه.

* * فقد كان يهدف الى **ابعاد الشكل عن شكله** وهذا يعني عدم الترتيب والتنظيم استهدافاً للتنويع الذي يجذب القارئ وقد عبر عن هذا بقوله وفي التفريق لذاذة الامتاع اذكان الخروج من جد الى هزل ومن حزم الى سهل انفى للكلل وابعد عن الملل (زهر الاداب١: ٢ب مقدمة الحصري).

* * وكان يهدف الى **التنظيم والترتيب** الذي يعني **الحاق الشكل بنظائره** ولكن هذا في حالة واحدة نادرة وهي حينما يعز المعنى ويعبر عن هذا بقوله: وتظهر في التجميع افادة الاجتماع (نفس المصدر).

* * والحصري يضيف الى رغبته في التنويع رغبته في النادر الذي تتشوق اليه الاذهان ويعبر عن هذا بقوله: «وقد رغبت في التجافي عن المشهور في جميع المذكور لأن اول ما يقرع الآذان أدعى الى الاستحسان مما مجته النفوس بطول تكراره ولفظته العقول لكثرة استمراره فلم اعرض الا عما اهانه الاستعمال واذاله الابتذال (نفس المصدر ١: ٣).

وهذا هو المنهج الذي اتبعه في كتابه الاخر «**المصون في سر الهوى المكنون**» (لا يزال مخطوطاً) عندما قال «ولو ذهبت الى الاغراق في كل معنى يعترض ويجول لكان ذلك مما يتسع ويطول

لكني تعرضت للمع تسنح وملح تلمح (المصون ورقة ٨٣).

** ويضيف الحصري الى منهجه في الاختيار اعتذارا عما يخرج من شرطه في حسن الاختيار فيقول: «ولعل في كثير مما تركت ما هو اجود من قليل مما أدركت اذ كان اقتصارا من كل على بعض ومن فيض على برض ولكني اجتهدت في اختيار ما وجدت وقد تدخل اللفظ في شفاعة اللفظات ويمر البيت في خلال الابيات وتعرض الحكاية في عرض الحكايات يتم بها المعنى المراد - وليست مما يستجاد ويبعث اليها فرط الضرورة اليها (زهر الاداب ١: ٤ب)

** ويختتم الحصري مقدمته لزهر الاداب التي أبان فيها منهجه فيه برغبته في افتتاح الكتاب **بغرر التحاميد واوصافها** (زهرة الاداب ١: ٩٧ب) وهو انما فعل ذلك تيمنا وتبركا كما أنه بذلك يعطينا فكرة عن استطراداته الطويلة اذ عاد للمقدمة لايضاح بقية منهجه.

** وفي خاتمة الكتاب يبدي اعتزازه بحصيلته الادبية بان ما تركه افضل مما أورده رغم انه امتدح في المقدمة ما اورده بحسن الاختيار.

وقد عبر عن هذا الاعتزاز بقوله: «وذلك أني ما ادعيت فيما اتيت الا ما يكون ما تركت افضل مما ادركته ثم ذكر معتذرا انه لم يسلك مذهبا مخترعا لم يسبق اليه ولا قصد غرضا مبتدعا لم يغلب عليه ومن ركب مطية الاعتذار واجتنب خطبة الاصرار فقد خرج في تبعة التقصير وبرئ من عهدة المعاذير «زهر الاداب ٢: ٩٢.اب».

ولا ريب ان الحصري يشعر في قراره نفسه عندما قال هذا عن نفسه بانه امتطى اسلوباً جديداً وسار في درب فاق فيه من سبقه بالتجديد والتنويع.

منهج الحصري استنتاجا

نتبين الملامح المنهجية التي اراد بها الحصري ان يبرز شخصيته الادبية بواقع متميز استنباطا من ثنايا زهر الاداب في الامور التالية:

** ان الحصري لا يجمع في كتابه هنا الاشباه والنظائر الا اذا كانت نادرة فاذا كانت مبتذلة فصل بينها بالمعاني المعترضة بغية التنويع.

** لديه حاسة دينية تتحكم في منهجه فيتجانف عن **العلمانية والمجون والاسفاف** وربما غير النص تحاشياً لذلك اما ما يقع فيه من ذلك فنرى ان الحصري لم يقصد ذلك أو يثره خاصة وانه يستهل كتابه ويختتمه باقوال **الرسول الكريم** ﷺ والصحابة وآل البيت.

** عدم الالتزام بقاعدة في تفسير النصوص والتعريف بالاعلام ويتضح هذا عندما نقارن زهر الاداب بكتابي **الكامل للمبرد** (٢١٠ - ٢٨٦هـ) **والامالي لابي علي القالي** (٢٨٨ - ٣٥٦هـ) وهما سابقان للحصري.

** عدم العناية بتوثيق النصوص او تحريفها لأن غرضه دلالة النص فقط وما فيه من متعة فتراه يورد الاحاديث الموضوعة على الرسول ﷺ كقوله: اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقوله: لا تجعلوني في اعجاز كتبكم كقدح الراكب. «زهر الاداب ١: ٢٤ب).

وعدم توثيقه تاريخياً نصوصاً يستبعد صدورها عن اشخاص كهذا النص الذي نسبه **لمعاوية بن ابي سفيان** (٢٠ ق هـ ٦٠هـ) ونستبعده عنه لما فيه من علمانية لا نتصور صدورها عن الرعيل الأول من هذه الأمة وهو قوله: نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع (زهر الاداب ١: ٢١ب).

** يختلط كلامه كثيرا بكلام غيره لأنه لا يميز احدهما عن الاخر بالاقواس أو علامة انتهى او بنسبة الكلام لنفسه بالاسم او الكنية.

** يغلب عليه **الاستطراد** ولكنه لا ينبه القارئ اذا عاد في استطراده الا نادرا وفي استطراداته يغلب عليه تحري المناسبات او

البستي	**ابن بسام**
* هو ابن الفتح علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي. * من شعراء «اليتيمة». توفي ببخارى * له ديوان مطبوع في (بيرمت) ١٢٩٤هـ.	* هو ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني. * من أدباء الاندلس المشاهير. * توفي سنة ٥٤٢هـ (١١٤٧م). * عرف بكتابه (الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة) الذي اصبح مرجعاً للباحثين في القطر الاندلسي.

زهر الآداب

كشاجم

* اسمه الحقيقي: ابو الفتح محمود بن الحسين الكاتب الشامي المعروف بكشاجم.

* شاعر وأديب، كما كان منجماً ذا المام واسع بالتنجيم.

* يعد من الشعراء المجيدين والفضلاء البارزين في النصف الاول من القرن الرابع الهجري.

* اتصل بالامير سيف الدولة الذي حكم حلب من سنة ٣٣٣هـ الى ٣٦١هـ وكان من رجال حاشيته التي ضمت المتنبي وابا فراس الحمداني، وابن نباتة.

* كان كشاجم بين الرؤساء في الكتابة في عصره وكان مقدماً في الفصاحة والخطابة وشاعراً مفلقا.

* لقب بكشاجم: ذلك انهم زعموا ان (كشاجم) منحوتة من عدة علوم كان يتقنها فالكاف من الكتابة والشين من الشعر والالف من الانشاء والجيم من الجدل والميم من المنجم.

* يقول الثعالبي ان الالف من الادب والجيم من الجود. اما الفيرزبادي فيقول: ان الجيم من الجمال.

* له ادب النديم، ديوان كشاجم.

الهمذاني

* هو: بديع الزمان (ابو الفضل احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني).

* صاحب الرسائل والمقامات المعروفة، وعلى منواله نسج الحريري مقاماته.

* سكن هراه من بلاد خراسان، كما قال بن خلكان.

* فارق همذان سنة ٣٣٠هـ وقد اخذ العلم عن ابي الحسين بن فارس ثم قصد نيسابور، فنشر فيها علمه.

* يروون انه ناظر ابا بكر الخوارزمي وغلبه.

* حين اربى على الاربعين توفاه الله.

* مؤلفاته: (ديوان بديع الزمان الهمذاني، رسائل بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني).

الجري وراء تداعي الخواطر.

** قد تكون مختاراته قسرا لا قصدا احيانا وذلك بسبب بعض المناسبات التي تجر الى الاستطراد.

** أراد في كتابه أن يكون **تذكرة للادباء** يحفظونه فاختار الفقرات والفصول القصار.

** وفي المجال النقدي يحتفل بالسرقات الادبية ويكثر منها.

** يختار لمن يشاركونه التذوق لمنهج البديع ومع هذا فهو لا يلتزم البديع في اسلوبه التزاماً دائماً.

فهو يكثر في ايراد نثر **بديع الزمان الهمذاني** (٣٥٨ – ٣٩٨هـ) واشعار **مسلم بن الوليد** (٠٠٠ – ٢٠٨هـ) **وابي تمام** (١٨٨ – ٢٣١هـ) وغيرهما ممن جارى مدرستهما في فن البديع **كابن المعتز** (٢٤٧ – ٢٩٦هـ) **وابي الفتح البستي** (٠٠٠ – ٤٠٠هـ) فقد اورد لبديع الزمان الهمذاني من الشعر «٢١٩» بيتاً وفي النثر خمسين رسالة تحوي «٧٥١» سطراً وتسع عشرة مقامة بها «٥١٤» سطرا واورد لابي تمام «٣٨٨» بيتا ولابي الفتح «١٠٥» ابيات وهذا من باب التمثيل فقط لا الحصر.

** يعنى بأوصاف الاشياء ويبرز ذلك في سر احتفائه باشعار **ابن الرومي** (٢٢١ – ٢٨٣هـ) وابن المعتز (٢٤٧ – ٢٩٦هـ) **وكشاجم** (٠٠٠ – ٣٦٠هـ) وغيرهم علاوة على الاوصاف النثرية المتعددة.

وفي باب المقارنة فقد أورد لهؤلاء الثلاثة ما يقرب من الف ومائتي بيت من مجموع ما أورده من ابيات شعرية في زهر الاداب وعددها «٧٦٦٤» بيتاً في اغراض شتى. فقد أورد لابن الرومي «٦٠٠» بيت ولابن المعتز «٣٠٦» ابيات ولكشاجم «٢٩٢» بيتاً.

** يتحاشى حوشي الاشعار وغريبها ولعل ذلك سبب قلة ايراده الشعر الجاهلي المليء بالغريب فجميع ما اورده من اشعار الجاهليين لا يتجاوز العشرات فهو لم يـرد لفحول الشعر الجاهلي المشهورين شيئاً يذكر **فالأعشى** (٠٠٠ – ٧ ق.هـ) أورد له بيتين **ولعنترة بن شداد** (٠٠٠ – ٢٢٠ ق.هـ) بيتاً واحداً ومثله **الحارث ابن حلزة** (٠٠٠ – نحو ٥٠ ق.هـ) **ولطرفة** (نحو ٨٦ – ٦٠ ق.هـ) عشرة ابيات.

** يتصيد **الفكاهة** ويحتفي **بالأقوال الحكيمة** والامثال السيارة ويحتفي **بالنوادر** غير المشهورة رغبة في المتعة واجتذاب القارئ كقوله: لا يعلم خليفة ابواه هاشميان غير علي وابنه الحسن والامين بن الرشيد (زهر الاداب ٢: ٩٢٢ب) (٨٩ – ٧٤٠ – ١٠٦٥) كنماذج لنوادره.

والحصري يهتم **بالاوليات** وقد اورد منها حوالي «٢٠» اولية لم

ترد في **كتاب الاوائل لابي هلال العسكري** (٠٠٠ – ٣٩٥هـ) (انظر على سبيل المثال لا الحصر زهر الاداب ١ : ١٠ – ٥٤ – ١٨٥ – ٢٢٩ – ٢٣٤ب، ٢ : ١٠١٥ – ١٠٢٤ – ١٠٦٤ب).

* * قد يورد في اختياراته ما ليس جيدا لضرورة السياق.

* * يختار احيانا اتباعا لغيره من المشهورين بالادب او ما يوافق ذوق عصره.

* * يكثر من الاستشهاد بالنصوص ريثما يجلي الموضوع الذي يريده ولا يستقصي.

هذه أبرز ما يحفل به زهر الاداب من ملامح منهجية على ان هناك ملامح اخرى تتضح للقارئ المتفحص لم نرد ايرادها لانها لا تنبئ عن منهج رسمه الحصري لنفسه كدرب يسير عليه او يستحوذ على طابعه في التأليف.

بواعث تأليفه

وكما أبان الحصري عن منهجه العام في التأليف ابان ايضا عن **السبب الذي دعاه الى تأليف هذا الكتاب** عندما قال: وكان السبب الذي دعاني الى تأليفه وندبني الى تصنيفه ما رأيته من رغبة **ابي الفضل العباسي بن سليمان** – اطال الله مدته وادام نعمته في الادب وانفاق عمره في الطلب وما له في الكتب، وان اجتهاده في ذلك حمله على أن يرتحل الى **المشرق** بسببها واغمض في طلبها باذلاً في ذلك ماله، مستعذباً فيه تعبه الى أن أورد من كلام بلغاء عصره او فصحاء دهره طرائف طريفة وغرائب غريبة وسألني ان اجمع له من مختارها كتاباً يكتفي به عن جملتها واضيف الى ذلك من كلام المتقدمين ما قاربه وقارنه او شابهه وماثله فسارعت الى مراده واعنته على اجتهاده والفت له هذا الكتاب. ثم قال وليس لي في تأليفه في الافتخار اكثر من حسن الاختيار (زهر الاداب ١ : ٢ – ٣ب).

ويقول **اديب تونس حسن حسني عبد الوهاب** رحمه الله عن زهر الاداب «ان الحصري جمعه في احد رؤساء الكتاب **بالقيروان** يسمى **ابا الفضل العباس بن سليمان** وكان من كبار الادباء ولم نعثر له على ترجمة (مجلة الثرياء التونسية عدد «٩» ص٥).

تاريخ التأليف

هذه قصة تأليف الكتاب كما حكاها الحصري نفسه اما تاريخ التأليف فقد وجدت نصاً للحصري (٣٦٣ – ٤١٣هـ) ينص في احدى المخطوطات لهذا الكتاب الى تاريخ التأليف صراحة حسبما اثبته **البجاوي** فاكتفيت بذلك عن الترجيح وهو قوله عن **ابي الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي** (٠٠ – ٤٣٦هـ) كان امير **نيسابور** قبل انشائي لهذا التأليف، واحكامي لهذا التصنيف الا ان يكون قد اخترمه المقدار ولم تأتنا بموته الاخبار ولبعد المحلة ونأي الدار وكان ابتداء اخراجي لهذا الكتاب من القوة الى الفعل واظهاره من العدم الى الوجود في شهر الله المعظم سنة خمس واربعمائة «٤٠٥هـ» (زهر الاداب ١ : ١٢٦ب الحاشية نقلا عن النسخة الخطية التي تحمل الرقم ٤١٦ أدب تيمور).

بيد أن **ابن بسام** (٠٠٠ – ٥٤٢هـ) في الذخيرة **وابن خلكان** (٦٠٨ – ٦٧٤هـ) في وفيات الاعيان نقلا عن **الرشيد بن الزبير** ان الحصري الف كتابه زهر الاداب سنة ٤٥٠هـ.

وارجح ان اربعمائة وخمسين مصحفةعواربعمائة وخمسة. ولكن ربما قيل العكس فلعل التصحيف في نسخة الاداب المار ذكرها وان الموجود في النسخة سنة خمسين واربعمائة وانها حرفت الى خمس واربعمائة.

وهذا الاحتمال وارد الا انني اجزم بأن نسخة زهر الاداب غير مصحفة ولا محرفة في هذا الموضع وان صحة التاريخ سنة خمس واربعمائة «٤٠٥» للادلة النصية التي منها:

١ – ان الحصري قال في شتى النسخ التي رجع اليها البجاوي في تحقيقه ما عدا النسخة الخطية السالفة الذكر وابو الفضل رئيس نيسابور واعمالها في وقتنا هذا (زهر الاداب ١ : ١٢٦ب) أما هذه النسخة فقد قال فيها عن أبي الفضل: كان امير نيسابور قبل انشائي لهذا التأليف (زهر الاداب ١ : ١٢٦ب الحاشية).

وهو يريد ابا الفضل الميكالي المتوفي سنة ٤٣٦هـ أي قبل عام ٤٥٠هـ.

٢ – قال الحصري عن **الثعالبي** (٣٥٠ – ٤٢٩هـ) **وابو منصور** هذا يعيش الى وقتنا هذا على طريق التخمين لا حقيقة اليقين (زهر الاداب ١ : ١٢٧ب).
والثعالبي توفى سنة ٤٢٩هـ أي قبل عام ٤٥٠هـ.

اما الدكتور زكي مبارك (١٣٠٨هـ – ١٣٧١هـ) في مقدمته لتحقيق هذا الكتاب فيرى ان الحصري الف زهر الاداب قبل وفاته بأكثر من عشرين عاماً (زهر الاداب ١ : ١٠ز) ووفاته صحت عنده عام ٤٥٣هـ أي أنه الفه في حدود عام ٤٣٠هـ وهذا رأي تقريبي لا ندري ما مصدره ولا ينسجم مع نص الحصري عن تاريخ تأليفه.



ولعل السر في هذا ان النسخة الخطية التي عثر عليها البجاوي في تحقيقه لم يرجع اليها الدكتور زكي مبارك في تحقيقه بدليل ان جميع زياداتها مفقودة في طبعته.

وبعـد

فان الحصري بهذا المنهج قد رسم طريقاً جديداً في ادبنا العربي وهو المتبع في العصر الحاضر في الرسائل العلمية «ماجستير ودكتوراه» وما يفرضه البحث العلمي فيهما من الزام للباحث بايضاح منهجه ورسم الطريق الذي يختطه لنفسه فيما يريد ان يبحثه ووضع المعاذير والمبررات لما سلكه او تركه وتوضيح المسببات التي دفعته لاختيار موضوع بذاته دون غيره من الموضوعات.

وتوضيح السنة التي ألف كتابه فيها ليسهل على القارئ ربط المعلومات بزمن التأليف **هذا الاسلوب الذي استقته الجامعات العربية من جامعات الغرب كشيء جديد يضاف الى اسلوب البحث الادبي والنتائج العلمية.**

فهذا النمط الذي نراه ليس مستفاداً من الغرب او هو من ابتكارات جامعاته وانما هو في أساليب الادباء العرب وفي طليعتهم الحصري رسموه لمن بعدهم منهجاً واختطوه لبني عصرهم درباً يسار عليه استفاده الغربيون منهم قبلنا وساروا عليه في ابحاثهم.

ثم اخذه عنهم بعض ابناء العرب الدارسين في جامعات الغرب والمتأثرين بمسلك الادباء الغربيين ومناهجهم — فاوفدوه الى امتهم كنوع تجديدي مستحدث لم تعرفه امتهم والزموا به شباب الجامعات في كل بحث يقدم وناقشوهم عليه اكثر من مناقشتهم على المستوى العام للمادة والمحتوى.

وما عرفوا ان هذه بضاعة العرب ردت اليهم وان لأدباء العرب فضل الاسبقية والابتكار اما اللاحق فله ميزة التجديد والاظهار اذا نسبها لمصدرها واعترف بالفضل لاهله.

اما عندما يتجاهل المصدر وينسب الاولوية لنفسه ويجحد فضل الابتكار فانه يقع تحت طائلة السرقة والاختلاس.. كما ابانها الادباء قديماً وحديثاً.

أهم المصادر

١ — الامالي لابي علي القالي طباعة مصر عام ١٣٤٤هـ.

٢ — الاوائل لابي هلال العسكري تحقيق محمد السيد الوكيل مطبعة دار امل طنجة المغرب الاقصى ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

٣ — الاعلام: خير الدين الزركلي الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ — ١٩٥٤م مطبعة لوستاتسوماس وشركاه.

٤ — جمع الجواهر لأبي اسحاق الحصري تحقيق البجاوي الطبعة الاولى مطبعة الحلبي عام ١٣٧٣هـ — ١٩٥٣م.

٥ — الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لعلي بن بسام (مخطوط) بدار الكتب المصرية والقسم الاول منه مطبوع نشرته جامعة فؤاد الاول عام ١٣٥٨هـ — ١٩٣٩م.

٦ — زهر الاداب وثمر الالباب للحصري تحقيق الدكتور زكي مبارك المطبعة الرحمانية بمصر طبعة ثانية.

٧ — زهر الاداب وثمر الالباب للحصري تحقيق علي محمد البجاوي الطبعة الاولى عيسى الحلبي وشركاه عام ١٣٧٢هـ — ١٩٥٣م.

٨ـ زهر الاداب وثمر الالباب للحصري وزيادة محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الثانية مطبعة السعادة بمصر.

٩ — مجلة الثريا — دورية تونسية العدد ٩ السنة الاولى عام ١٩٦٣م — ١٩٤٤م.

١٠ — المصون في سر الهوى المكنون للحصري (مخطوط بمكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة).

١١ — معجم المؤلفين — عمر رضا كحالة مطبعة الترقي دمشق عام ١٣٧٦هـ — ١٩٥٧م.

١٢ — المنار المنيف في الصحيح والضعيف تأليف ابن قيم الجوزية تحقيق محمود مهدي استانبولي.

١٣ — الكامل للمبرد طباعة مصر عام ١٣٥٥هـ.

١٤ — الوافي بالوفيات — صلاح الدين الصغرى مطابع دار صادر بيروت عام ١٣٩٣هـ — ١٩٧٢م.

١٥ — وفيات الاعيان — ابن خلكان الطبعة الاولى مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٦٧هـ — ١٩٤٨م.

Sigrid Hunke

Kamele auf dem Kaisermantel

Deutsch-arabische Begegnungen
seit Karl dem Großen

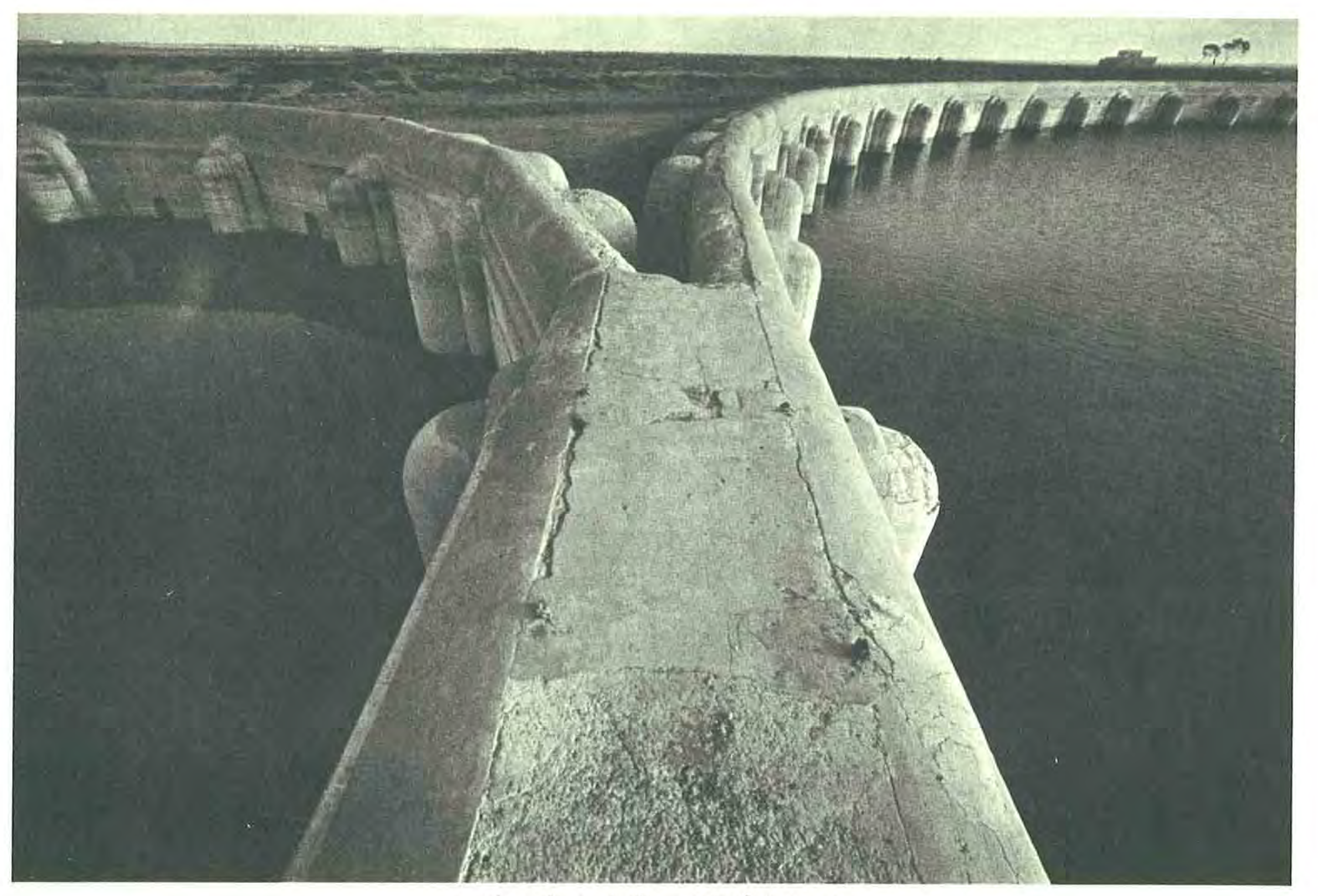
Deutsche Verlags-Anstalt
Stuttgart



تأليف : زيجريد هونكة

عرض : د. مصطفى ماهر

بدأ اسم الكاتبة الألمانية **زيجريد هونكة** يتردد في عالم الكتاب منذ عام **١٩٥٥** حيث نشرت كتابا بعنوان «**في البدء كان رجل وامرأة**»، ولكن الكتاب الذي صنع شهرتها حقيقة هو «**شمس الله على الغرب**» الذي اخرجته في عام ١٩٦٠، بعد اعوام مثمرة قضتها في المغرب العربي، وجمعت فيه خلاصة دراسات لها، ولباحثين كثيرين في العلاقات الثقافية بين العالم العربي واوروبا، مؤكدة على الدور المعطاء الذي لعبه الشرق. ثم نشرت بعد ذلك كتبا اخرى منها «**الرايخ واوروبا المتطورة**» (١٩٦٥) ثم «**اوروبا وديها الآخر**» (١٩٦٩) و «**نهاية الخلاف**» (١٩٧١) و «**المنشور بعد الشيوعي**» (١٩٧٤)، وشاركت معنا في كتاب «**ألمانيا والعالم**



شاهد على التقدّم الاسلامي المبكر في بناء الجسور والسدود.

العربي» بمقال كبير أسمته «**أنهار من الشرق تسقي حقول الثقافة الألمانية**» (١٩٧٤)، وأخيرا صدر كتابها «**جمال على معطف القيصر**» (١٩٧٦) حلقة في سلسلة اعمالها المحبة للشرق العربي الاسلامي، الساعية الى التعريف به، واحقاقه حقه.

شمس الله على الغرب

والحق أن كتابها «**شمس الله على الغرب**» الذي يحمل كعنوان اضافي عبارة «**تراثنا العربي**»، قد راج في الغرب والشرق رواجا كبيرا، فقد تكررت طبعاته في ألمانيا، وخرج علاوة على طبعاته الأصلية، في طبعات خاصة لأعضاء بعض نوادي الكتاب، ثم ترجم الى الفرنسية والايطالية والتركية والاندونيسية وغيرها، ثم ترجم الى اللغة العربية في مصر في عام ١٩٦٤ بقلم (المرحوم) **الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين علي** بعنوان «**فضل العرب على اوروبا**»، وأعادت دار المعارف في عام ١٩٦٩ طباعة الترجمة (**شمس الله على الغرب .. فضل العرب على اوروبا**) —

وكان **د. فؤاد حسنين علي** قد نشر في عام ١٩٤٦ ترجمة (بتصرف) لكتاب المستشرق الألماني **جيورج ياكوب** (**أو جورج يعقوب** كما يسميه) «**أثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى**». كذلك ظهرت ترجمة عربية أخرى للكتاب في بيروت بقلم **فاروق بيضون** وآخر تحت عنوان «**شمس العرب تسطع على الغرب**» (١٩٦٤) أعيد طبعها مؤخرا (١٩٧٦).

تبين **زيجريد هونكة** في هذا الكتاب **أبعاد التأثير العربي الاسلامي على الثقافة الاوروبية، بل على الحياة الاوروبية عامة**. تبدأ مثلا باللغة الألمانية فتقدم للقارئ الكلمات ذات الأصل العربي، او التي دخلت اللغة الالمانية عن طريق العرب، وهي كلمات تطلق على الانواع المختلفة من **البهار والعطارة** (القرتمن، جوز الطيب، الفلفل، المستقة، القرفة، الزعفراني، الزنجبيل، كمون، الكافور، الخلنجان، المر، الكبر، العنبر) أو **المنتوجات والملابس** (الشكة ومنها كلمة الجاكتة، الجل، البركان ومنها البروكار، القطن، الموصلي ومنها الموسلين، الشف ومنها الشيفون، الزيتوني ومنها الساتان، التفت، الأطلس، الدمشقي، القز،



دراسة علمية دقيقة لنبات الحمّاض وضعها أحد العلماء المسلمين.

الجبة، البلوزة)، أو **الزهور والفاكهة والخضر** (أسليح، فورسيسيا، ياسمين، ورد، خيري، البر، السبانخ، الأرضي شوكي، الارز، الدراق الدمشقي، البرقوق، الليمون، النارنج) أو **أدوات الحياة اليومية كالأثاث والمواعين واللعب** (قفة، عثماني، صفة، ديوان، طاس، غرافة، مطرح، قهوة، سكر، شربات، عرق، مخا، شطرنج) **وكلمات متصلة بالبحر** (أمير البحر، فلوكه، حبل، داوة، دنجية، قافاط، عوارية) **وكلمات علمية** (أسماء النجوم والأفلاك، مصطلحات الرياضة والكيمياء والطب) وغير ذلك.

وتنتقل من اللغة الى الأرقام التي ما تزال الى يومنا هذا تحمل اسم الأرقام العربية تمييزا لها عن الارقام الرومانية. وما الأرقام الا بداية الحديث عن انتقال العلوم العربية وبخاصة الرياضيات الى اوروبا. فقد عرفت اوروبا كتب **الخوارزمي** وبخاصة كتاب «**الجبر والمقابلة**» الذي نقله مترجمه اللاتيني باسمه فبقيت كلمة الجبر الى يومنا هذا في اللغات الاوروبية، كما بقي اسم **الخوارزمي** محرفا في كلمة «**اللوغاريتمات**». بل لقد عثر الباحثون على مخطوطة من القرن الثاني عشر كان بعض الاعداد فيها تحمل اسماءها العربية مثل أربعة وخمسة وثمانية. **وتؤكد المؤلفة أن طلاب العلم حتى من رجال الدين كانوا في العصور الوسطى يذهبون الى الجامعات الاسلامية في أسبانيا، على الرغم من الظروف العسكرية والسياسية والدينية التي لم تكن لتشجع هذا التقارب.**

أما الفلك فقد جمع العرب فيه علوم الاولين ثم زادوا عليها وابدعوا ابداعا آخر وعنهم اخذتها اوروبا. ولا زالت **أسماء النجوم والكواكب** مثل «الدبران» و «الجنوب» و«الغول» و«الكرب» و«الطائر» و«الواقع» و«بيت الجوزاء» و«ذنب» و«فم الحوت» و«رجل» **والمصطلحات الفلكية** مثل «النظير» و«السمت» و«القنطرة» مستخدمة في اللغة الالمانية واللغات الاوروبية عامة. أما آلات القياس والاسطرلاب بصفة خاصة وكذلك الساعات الشمسية وغيرها مثل الساعات التي تتحرك بالماء أو الزئبق أو الشموع أو الأثقال، فقد برع فيها العرب. وقد تلقى الامبراطور كارل الأكبر – **شارلمان** – في عام ٨٠٧ ساعة موسيقية هدية من هارون الرشيد أدهشته غاية الدهشة.

ويتسع حديث الباحثة فيشمل العلوم المختلفة التي برز فيها العرب، والمذاهب الفلسفية التي أضافوها الى التراث الانساني، موضحين أفكار اليونان تارة، ومكملين لها تارة أخرى، ومصححين في أحيان كثيرة، ومبتكرين في أغلب الأحيان. والخلاصة في رأيها:–

«ان العرب لم ينقذوا التراث الفكري اليوناني من الضياع والنسيان فقط، بل لقد تناولوه بالتنظيم والتبويب والترتيب، ثم نقلوه الى اوروبا. العرب هم الذين اسسوا علم الكيمياء التجريبي، وعلم الفيزياء القائم على التجريب والفحص والاختيار، والعلوم الرياضية الحديثة – الحساب والجبر وحساب المثلثات الكروي، وعلم الاجتماع وعلم طبقات الارض.

ومن الطبيعي أن تتعرض المؤلفة للطب بأفرعه المختلفة، وأن تسهب في الحديث عن الفنون العربية وأثرها على الفنون في اوروبا، فهي أشياء اكدتها البحوث العلمية، ولم يعد يشك فيها أحد. كذلك نقرأ في الكتاب عن أثر الطباع العربية الحضارية في ترقيق الطباع في أوروبا، ونقرأ خاصة عن الشهامة العربية التي تسمت في اوروبا باسم الفرسانية أو الاخلاق الفرسانية.

والخلاصة أنه كتاب جامع في هذا المجال من مجال الدراسات، وهو حريص على الطابع العلمي على الرغم من أسلوبه «**الخفيف**» الذي تتوسل فيه الكاتبة الى التقرب الى عقلية القارئ غير المختص.

هذا الكتاب الجديد

أما كتاب «**جمال على معطف القيصر**» الذي نخصه في هذا المقال بحديثنا فهو تكملة للكتاب الأول، أو إضافات عليه، يمكن أن نقول ان المؤلفة جمعتها طوال السنوات التي مرت على نشره. والكتاب الجديد شيق في أسلوبه كالكتاب «**القديم**»، يكفينا أن نستشهد ذلك بعنوانه «**جمال على معطف القيصر**»، فهو عنوان يجذب القارئ، ويعده بأن مادة الكتاب ستكون خفيفة، أو مخففة. فاذا تساءل عن الجمال – **حيوانات الصحراء البعيدة** – وكيف جاءت الى معطف القيصر القريب، ساعده العنوان الثاني للكتاب على شيء من الفهم: «**لقاءات عربية ألمانية منذ عصر شارلمان**». ويضم الكتاب الذي يقع في ١٩٢ صفحة من القطع المتوسط – ثمانية أبواب ومقدمة وخاتمة وملحقا بالمراجع والبيانات المبوبة، وبيانا بالصور. وتقسم الأبواب الى فصول متفاوتة في الطول. ولنلق نظرة الى محتويات الكتاب في مجموعها أولا ثم ننظر بشيء من التفصيل الى بعضها.

الباب الأول

* لقاءات عربية ألمانية.
* عربي يفر الى ألمانيا.
* حركات الرقص الألمانية كحركات القفز العربية.
* أحلاف الصداقة العربية التي عقدها كارل الأكبر (**شارلمان**).
* صداقة مؤجلة بين خليفة قرطبة والقيصر أوتو الأول.

الباب الثاني

* الفرسانية العربية والفرسانية الألمانية.
* حدود العداوة تصبح ساحات الالتقاء.
* الفرسانية العربية.
* من هو الفارس الألماني ؟
* الكنيسة تدخل مدرسة الاسلام.
* الطوائف الدينية الفرسانية: صورة منقولة عن فرسان الجهاد عند العرب.



تشريح العين .. وعلاقتها الفسيولوجية بالدماغ .. لأحد العلماء المسلمين.

الباب الثالث

* الحروب الصليبية: صراع بين الغرب والشرق.
* اختلف الناس في مناهضة الاسلام.
* وصمة على الترس الاوروبي.
* تباعد الألمان عن الحمى الصليبية.
* سيد عظيم يزحف الى الارض المقدسة.
* الحروب الصليبية الأشتوفية المزعومة.
* صديق العرب.

الباب الرابع

* الشهامة العربية والشهامة الألمانية.
* الشهامة العربية تخجل الفظاعة المسيحية.
* القيصر فريدريك الثاني يقيم السلام.
* جذور الشهامة العربية والألمانية.
* التسامح العربي والألماني.
* رجل كريم يدين بدين آخر – قدوة الفرسان.

الباب الخامس

* المؤثرات العربية تصنع حياة من نوع جديد.
* **لقد أصبحنا الآن شرقيين».**
* الثياب العربية تؤثر على لابسيها.
* ايد عربية توشي معطف القيصر الألماني.
* قديس الرايخ من أصل عربي.
* هبات عربية للكنيسة والمطبخ والحديقة.
* حرف عربية وصناعة ألمانية.
* الدينار الذهبي العربي كان دولار صدر العصر الوسيط.

الباب السادس

* المؤثرات العربية تصنع أسلوب حياة جديد.
* ايقاظ الفكر.
* «**قلاع منيعة منيفة...**»
* في الجيش والسلاح، في الصدرية والسترة.
* الشارات والأعلام وإشارات العمليات الحربية.
* ألعاب على ظهر الحصان.
* «**أصبحت في الحب أسيرا**».
* فن الحب العربي يصبح موضة.
* «**الكلمات الحلوة**».
* «**العنصر النسائي الخالد يشدنا**».

الباب السابع

* حوافز فنية عربية.
* القافية العربية: لقاء الحبيب والحبيب.
* ترجمان أسرار الدنيا.
* «**الجرال**» رمز عربي على شيء ألماني.
* وحدة الفؤاد بالألمانية والعربية.
* آثار عربية في الأدب الألماني.
* على الأنغام العربية.
* «العود» العربي ورفاقه.
* قضاء وقت الفراغ عند العرب.

الباب الثامن

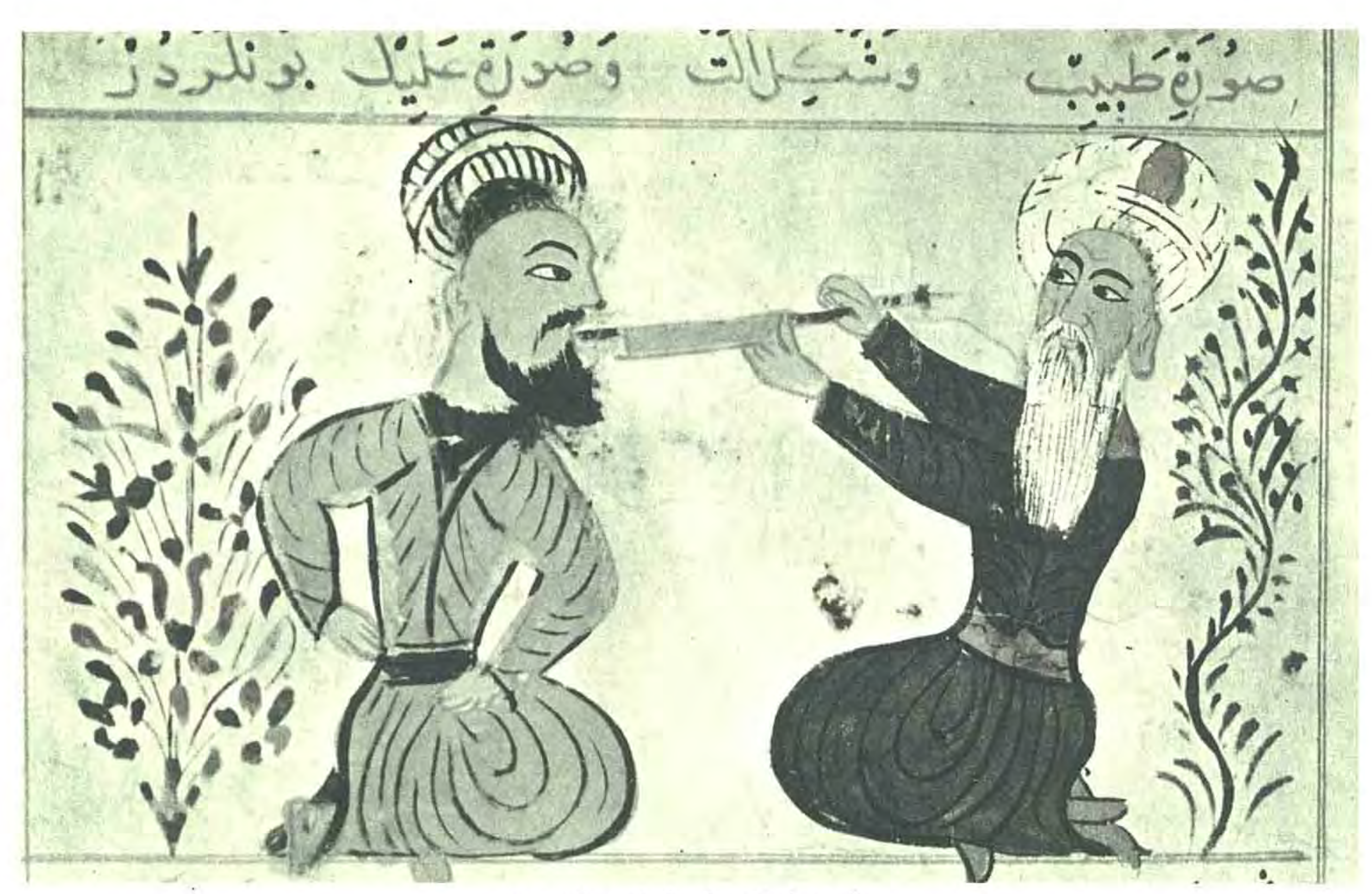
* الحكمة العربية والألمانية.
* العلم الألماني يتبع أفضل مدرسة عربية.
* الفكر الشمولي العربي والألماني.
* التعاون الأخوي بين ما لدينا من ألوان الفضول والشغف بالجديد.
* مياه عربية على طواحين ألمانية.

الأثر العربي في التراث الألماني

تهتم المؤلفة في الباب الأول ببعض الرسوم التي عثر عليها بعض الباحثين منسوبة الى القرن الخامس عشر، والقرن السادس عشر، وذهبوا الى أنها تمثل لونا من الرقص العربي الوارد الى ألمانيا من الأندلس، أطلقوا عليه اسم الرقص «**الموريسكي**» دلالة على مصدره **المغربي الأندلسي. هذه الرسوم صنعها الرسام إسراحيل فان ميكينيم** (١٤٤٠ – ١٥٠٣) وكذلك تنوه برسوم بالقلم من أعمال **هانس زوس فون كولمباخ** (١٤٨٠ – ١٥٢٢) وتماثيل محفورة في الخشب من أعمال الفنان **هانس لاينبرجر** من فناني القرن السادس عشر المعروفين. كل هذه الأعمال وغيرها تعرض مجموعة من الراقصين الرجال يأتون بحركات عجيبة لم يألفها الناس في الرقصات الألمانية في ذلك العصر، فهي حركات تمتد فيها الأذرع الى بعيد، وتقوم على قفزات، وحركات نشيطة وسريعة وضرب بالأقدام على الارض، ويؤدي الراقصون هذه الحركات أمام امرأة، ووسط الموسيقيين. **ولم تكن هذه الرقصات العربية مقصورة على بيئة بعينها من البيئات الألمانية، بل كانت عامة شائعة، تظهر في الحفلات الشعبية، وفي الموالد، كما تظهر في احتفالات الأمراء والملوك.** ولم تكن هي الفن الوحيد الذي انتقل من الاندلس، فقد انتقل قبلها فن الغناء، وألعاب المهارة والبراعة في ركوب الخيل.

واذا كانت مدرسة الفروسية في النمسا قد تسمت بأسم مدرسة الفروسية الاسبانية، فالمقصود بذلك بطبيعة الحال، **مدرسة الفروسية العربية.**

تعلم الألمان من العرب في العصر الوسيط البرجاس، والكرج، والرمي بالرماح، والتسابق على بلوغ هدف، وتمتعوا بها



طبيب مسلم يقوم بعملية خلع الضرس لاحد مرضاه.

وسائل لتمضية وقت الفراغ. وتحدثوا عنها في يومياتهم وفي أدبهم. كما تعلموا لعبة الشطرنج وغيرها، ونقلوا أساليب الاحتفالات الباهرة.

«ومن أروع الاحتفالات التي شهدها ذلك العصر الاحتفال الذي جرى في مدينة اوجسبورج في ١٥ يونية من عام ١٥٣٠ بمناسبة انعقاد مجلس الرايخ. **وكانت الأبهة التي سار بها موكب الامبراطور الألماني استعراضا عجيبا للفنون الخلابة التي غرسها العرب في اسبانيا فجعلوها فتنة للناظرين**: فقد تقدم موكب الامبراطور ولدان الأشراف يلبسون حللاً من المخمل الأحمر والأصفر، وتبعهم رجال الحاشية الأمبراطورية على ظهور خمسمائة من الخيول العربية التي تكسوها أجلال موشاة بالذهب، ومن ورائهم السفراء ورجال الدين والأمراء والملوك، ثم الموسيقيون يعزفون الطبول والدفوف العربية، والمنادون ينفخون في الابواق، ثم أهلّ الامبراطور على جواد عربي أشهب، يرتدي بزة عسكرية أسبانية مذهبة، وعلى رأسه قلنسوة أسبانية، ومن فوقه مظلة من الحرير الدمشقيّ الأحمر زينت بتوشية تمثل شعار الأمبراطورية وهو النسر. وما المظلة **(التي عرفت في الألمانية باسم البغدادية)**، والحرير الدمشقيّ، والشعار الذي اتخذ هيئة النسر، الا نفحات من تراث الشرق».

المعطف العربي الذي لبسه الامبراطور

وتغوص المؤلفة الى أعماق أبعد في التاريخ فتجد أن المعطف الذي لبسه الامبراطور **فريدريك الثاني الأشتوفي** في روما يوم تتويجه (٢٢ نوفمبر من عام ١٢٢٠) كان من صناعة العرب. هذا المعطف الذي لا يزال موجودا الى اليوم محفوظا في «**دار الكنوز**» بفيينا، صنع في عام ١١٣٣/ ١١٣٤م بتكليف من روجر النورماني جد الامبراطور فريدريك الثاني، وكتبت في كناره بالخيوط الذهبية عبارة باللغة العربية نصها: «**مما عمل للخزانة الملكية المعمورة بالسعد والإجلال والمجد والكمال والطول والافضال والقبول والاقبال والسماحة والفخر والجمال وبلوغ الاماني والآمال وطيب الايام والليالي بلا زوال ولا انتقال بالعز والحفظ والحماية والسعد والسلامة والنصر والكفاية بمدينة صقلية سنة ثمان وعشرين وخمسمائة**» (سنة ٥٢٨ هجرية = سنة ١١٣٣/ ١١٣٤م).

هذا المعطف الذي صنع على هيئة الغفارة أو الحرملة منسوج بخيوط ذهبية غنية وموشى باللآلئ، ولونه أحمر قرمزي، أما زخارفه فعبارة عن نخلة في الوسط على يمينها رسم جمل ينقض عليه أسد وعلى يسارها نفس الرسم معكوسا كأنه صورة في المرآة.

الفرسانية العربية والفرسانية الألمانية

وتدرس الكاتبة في الباب الثاني موضوع الفرسانية الألمانية وكيف نشأت متأثرة بالفرسانية العربية. وتدقق الكاتبة خاصة في انتقال المفاهيم الاسلامية العربية السامية التي آمن بها الفارس العربي المسلم – **التسامح والشرف والشهامة والشجاعة والايمان** – الى طوائف الفرسان الاوروبية عن طريق الحروب الصليبية، ومن قبلها عن طريق الاحتكاك بالاندلس. وتركز بصفة خاصة على الفتوة والمرابطين المسلمين «**الذين كانوا يقيمون في الربط على الحدود، يحمون الامة، أمة الاسلام الكبيرة، أو دار الاسلام، أي المناطق التي يقوم عليها سلطان الإسلام**». وتنتهي الى النتيجة التالية: «واتخذت طبقة الفرسان التي تكونت تدريجيا في اوروبا من عدوها – الذي كانت كتائب الفتوة لديه تتخذ لنفسها تقاليد ثابتة كريمة رفيعة في امور الشرف والكفاح، تقيم في حصون على الحدود، هي الربط، تتعبد وتخرج للجهاد – قدوةً، وتعلم الفرسان في مدرسته، فتحولوا من محاربين يركبون الخيول الى طبقة فرسانية أرستقراطية من السادة تقيم في حصون منيعة وتتبع في واجباتها ومهامها دستورا أرستقراطيا».

وتشير زيجريد هونكة الى شكل الحصن الفرساني الألماني الذي يعتبر صورة منقولة عن شكل حصن المرابطين. ومن السهل على الانسان أن يتصور هذا التأثير في المجال المعماري اذا علم أن هناك دراسات واسعة جادة أبدى فيها أصحابها ملاحظاتهم على دخول الأنماط المعمارية التي تطورت في أسبانيا وشمال أفريقيا خاصة على يد العرب المسلمين الى العالم الغربي، ومن بينه ألمانيا. وقد يرجع هذا الأثر الى عصر شارلمان أو بعده بقليل.

الأدب والشعر خاصة

ثم تنتقل الى دراسات في مجال آخر من مجالات الثقافة، **هو الأدب، والشعر خاصة** حيث ظهرت القافية في القرن العاشر فجأة، ولم يكن ما قبلها من أدب يعرف هذا اللون من الإيقاع الموسيقي في ختام السطور. كان الأدب الألماني يعرف قبلها ايقاعات موسيقية من نوع آخر تفرضها طبيعة اللغة التي تبرز النبرة على صدر الكلمات، وتفضل التجنيس. وإذ بالقافية العربية تفرض نفسها وتصبح جزءا لا يتجزأ من كيان الشعر الألماني الى يومنا هذا.

ولا تقتصر نتائج هذه الدراسات على الشعر من ناحيته الشكلية فحسب، بل تتناول ايضا الشعر من حيث موضوعاته، وتقف طويلا عند **شعر الغزل**، مؤكدة أن العرب هم الذين غيروا موقف الألمان من المرأة، وغيروا تصورهم للحب. وإذا كان الأدب الجرماني قبل الأثر العربي الاسلامي قد حفل بشخصيات نسائية فقد كانت من نوع مختلف كل الاختلاف عما يدور حوله شعر الغزل، هناك شخصية **برونهيلده** مثلاً في ملحمة **النيبيلونجنليد**، انها امرأة شديدة الاعتداد بنفسها، وبقوتها الجسمانية، امرأة شيطانة لا ترضى بالزواج الا من رجل يفوقها قوة، ويظهر عليها في المنعة والصلابة. هكذا كانت المرأة في الأدب الألماني السابق الى عصر المسيحية، أما بعد المسيحية فكانت المرأة تظهر على هيئة الكائن المعذب المنضوي تحت ارادة الرجل، المرأة التي يحمل جسدها كدمات زرقاء من أثر الضرب والقهر والتأديب. أما صورة المرأة المحبوبة، المعبودة، الآمرة الناهية، المطاعة، المحبوبة رغم تقبلها، المرغوبة رغم تعززها، فقد تعلمها الألمان من العرب، وامتلأ بها ذلك النوع من الشعر الغزلي المسمى باسم «المينيزانج». كما ظهرت صورة المحب الذي يعتبر نفسه أسيراً لمحبوبته، ويجد في ذلك كل الرضا.

وتعتمد المؤلفة على نصوص متعددة من الشعر العربي الاندلسي، وبخاصة **لابن زيدون** (١٠٠٣ – ١٠٧٠م) لتبين تفصيلات هذه الصورة الجديدة. فالمحب يعتبر المرأة المحبوبة مولاته، وسيدته، ينحني أمامها، ويخضع لها. ثم تذكر **ابن حزم**، صاحب «**طوق الحمامة**»، (٩٩٤ – ١٠٦٤م)، وتحليله للحب من وجهة النظر العربي:

«ومن عجيب ما يقع في الحب طاعة المحب لمحبوبه، وصرفه طباعه قسراً الى طباع من يحبه، وربما يكون المرء شرس الخلق، صعب الشكيمة، جموح القياد، ماضي العزيمة، حمى الأنف، أبيّ الخسف، فما هو الا ان يتنسم نسيم الحب، ويتورط غمره، ويعوم في بحره، فتعود الشراسة لياناً، والصعوبة سهلة، والمضاء كلالة، والحمية استسلاما... وربما كان المحبوب كارهاً لإظهار الشكوى، متبرماً بسماع الوجد، فترى العجب، حينئذ يكتم حزنه، ويكظم أسفه، وينطوي على علته، وان الحبيب متجن، فعندما يقع الاعتذار عند كل ذنب، والاقرار بالجريمة، والمرء منها بريء، تسليما لقوله وتركا لمخالفته... ولا يقولن قائل إن صبر المحب على دلة المحبوب دناءة في النفس، فقد أخطأ، وقد علمنا أن المحبوب ليس له كفوا ونظيرا....».

التصور العربي الأندلسي

ثم تورد زيجريد هونكه أولاً نماذج من الشعر الفرنسي القديم التي يظهر فيها أثر هذا التصور العربي الاندلسي، الذي ترى فيه

رفعا لشأن المرأة، وترقيقا لطباع الرجل. هذه أبيات **لبيرنارت دي فنتادورن** يقول فيها:

أيتها المرأة الكريمة لست أطلب أكثر
من أن ترضي بخدمتي
ومهما كان الجزاء الذي أناله منك
فسوف أخدمك خدمة التابع للمتبوع
انظري كيف أخضع لسلطانك
راضيا مسروراً.

ثم هذه أبيات **لبيير فيدال** يقول فيها:

فلما رضيت
بأن أخضع لسلطانها كل الخضوع
كفّت هي الأخرى عن أن تقول لي لا.
انني في ارتباطي بها بلا حول ولا قوة
فلها أن تبيعني ولها أن تقدمني لمن تشاء هدية.
والمختل العقل هو وحده الذي قد يقول
أن عطف غيرها يمكن أن يسعدني
إن تعنيفها لي يسعد قلبي
أكثر مما يسعده تلطف غيرها معي
ولقد كفرت عن ذنبي صادقا
ورجوت أن تصفح وتعفو
والتواضع لها يجعل
العزة تنحني أمامها.

وتنتقل الى الشعر الألماني في العصر الوسيط وتقدم نماذج منه يتضح فيها المفهوم الجديد:

إنني ألقى كل يوم من العنت ما ألقى:
فهم يقولون عن انني ابالغ في الحديث عنها
وأن الحب الذي أحكي عنه كذب كلّه
ويقولون إنني اذا حدثت امرأة عن الحب
لم أصدقها الحديث
وهأنذا أقول وأعيد ما استطعت:
«تعطّفي عليّ يا سيدتي»
ولكنها لا تستجيب لرجائي المتواضع
أما أنا فسأظل مطيعا لها
ومخلصا، وانني لفاعل ما أقول.

ومن قصائد الشاعر نفسه - **رايمار فون هاجيناو** (١١٦٠/١١٧٠ - ١٢١٠م) - قصيدة أخرى تقول:

«من يعرض الخضوع في الحب لمن لا يفهمه
يضيع جهده في غير طائل.
إلامَ يطول هذا التسويف يا مولاتي
لقد أدخلوا في روعك أن البخل بالحب
خير، ولكن الصواب جانبهم، فأخطأوا.
إن دارك مليئة برجال يرومون الوصال
ولكنك لا ترحمين أياً من أولئك الذين يقدمون أنفسهم فداء لك.
انت بلا قلب يرق للبشر
وما في صدرك غير الحجر.
...ولقد تعلمت القسوة من الحجر الذي في صدرك.

وتعرض الباحثة بعض الرسوم القديمة التي تبين مفهوم الحب الجديد وآداب السلوك التي ارتبطت به، وتبرز بصفة خاصة الصور التي ينحني فيها الحبيب أمام الحبيبة راضيا سعيداً.

علاقة عظيمة مثمرة

حتى اذا وصلنا الى خاتمة الكتاب وجدنا الكاتبة تعيب على المؤلفين والباحثين الألمان قلة الجهد الذي بذلوه في توضيح أبعاد العلاقة العظيمة المثمرة التي يرجع تاريخها الى أكثر من ألف عام، وتشير الى المودة «**العجيبة**» القائمة بين الألمان والعرب في العصر الحاضر، والتي قد يظنها البعض ظاهرة لا سبب لها ولا مبرر، والحق أنها الأثر الباقي من التفاهم الذي سعدت بها الأمتان منذ زمن بعيد، والذي لم تكدره **معركة صليبية** أو **مؤامرة استعمارية**. وقد اشتركت الأمتان في حب البطولة وتمجيد الأبطال الذين يتفانون من أجل الآخرين ويضحون من أجل القضية التي يؤمنون بصوابها. واشتركت الأمتان فوق ذلك في التمسك بالشهامة بأوسع معانيها، فلم تكن الشهامة في عرف العرب أو الألمان مقصورة على أبناء الأمة وحدهم، بل كانت تتسع حتى للعدو. واشتركت الأمتان في قيم كثيرة غير هذه وتلك ليس آخرها السماحة والتسامح مع أبناء الأديان والمذاهب الأخرى، والإيمان بالحرية للآخرين. ولقد ظهر هذا الانسجام بين طبع الأمتين عبر التاريخ في فترات الأخذ والعطاء الفكري. وغني عن البيان أن الأمة لا تأخذ من الأخرى الا ما يرضي طبعها، ويتفق مع روحها. **وتختم حديثها بالإشارة الى ما تقوم عليه الثقافة العربية الاسلامية من مفهوم الوجدانية الذي يبلغ منتهاه في التصوف، وترى أن الاصول الوجدانية لفكر الجرمان جعلت الألمان أقرب الى تقبل هذه الوجدانية الفكرية من الأمم الغربية الاخرى، ولقد كان عباقرة الفكر الألماني من نيكولاس فون كوس الى جوته من المؤمنين بالوجدانية في كل صورها.**

موضوع خاص :

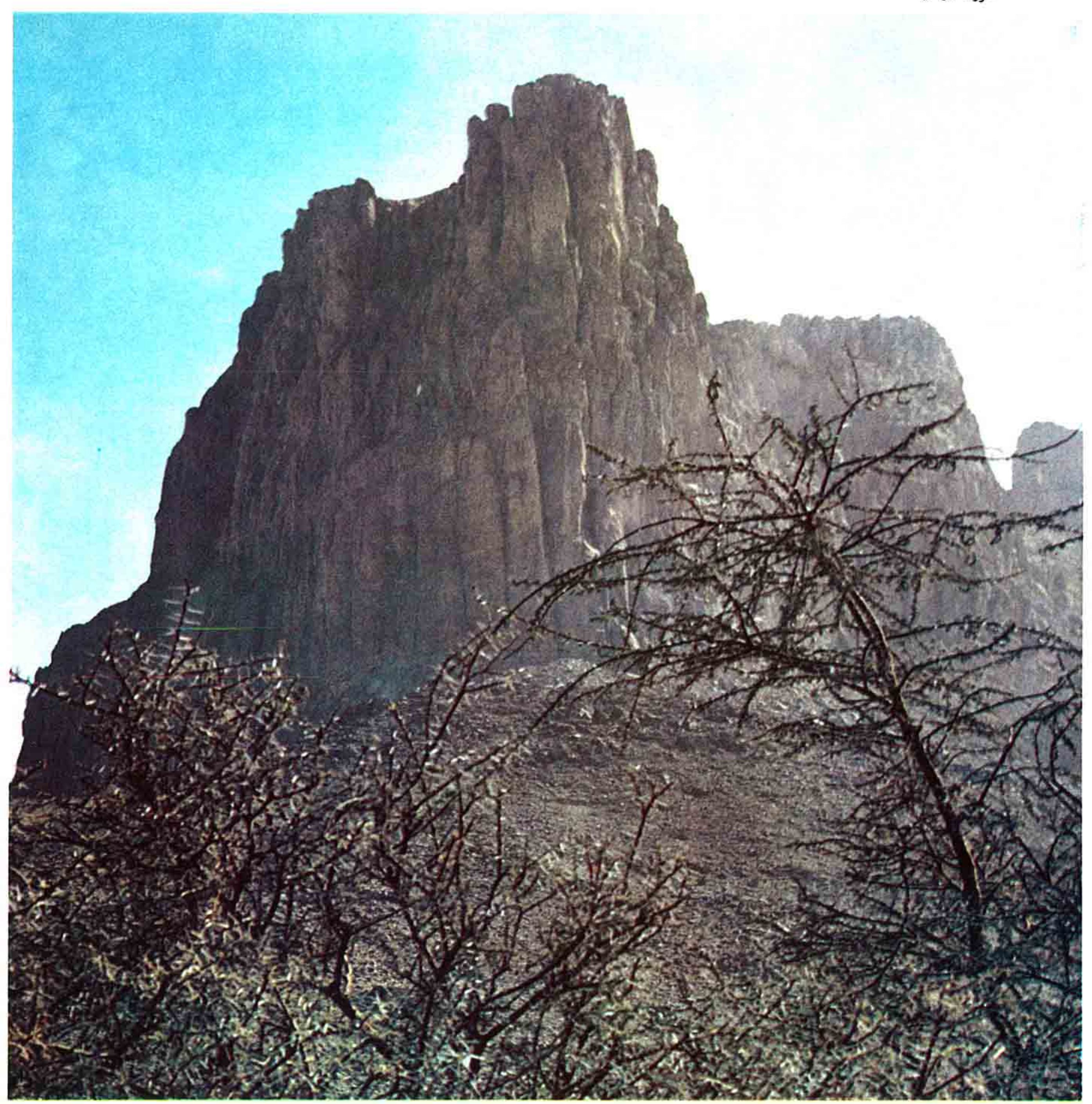


البراكين.. والزلازل

* الزمان.. الساعة العاشرة مساء.. واليوم الواحد والعشرون من شهر يناير عام ١٩٧٣..

* **المكان**.. مدينتا «**هستفجال**» و«**هافورسي**» بجنوبي **أيسلندا**.. وموقف حرج.. أجهزة **السيزموجراف**، ترتعش مؤشراتها على صحيفة تسجيل ذبذبات القشرة الأرضية، منذرة باحتمال وقوع زلزال...

مخروط بركاني



كان السؤال.. ما هي بؤرة تلك الزلازل المحتملة؟ وبمعنى آخر.. أين يكون مركز الزلازل المرتقبة؟..

وأمام علماء طبيعة الارض احتمالان:-

- أن تكون البؤرة المتوقعة في شرقي بركان «**هيكلا**» الذي كان اخر انفجار له عام ١٩٧٠..

- أو أن تكون جزيرة «**هايماي**» بجنوب أيسلندا. هي المرشحة للزلزال المنتظر.

إلا أنهم استبعدوا احتمال وقوع زلازل فوق جزيرة «هايماي».. لانها لم تتعرض لأي زلزال منذ خمسة آلاف سنة..

مهما يكن الامر.. فان هناك إنذارات سجلتها أجهزة السيزموجراف.. وبالتحديد على عمق ١٨ كيلو مترا من سطح الأرض.. رغم ذلك مر اليوم دون أن يحفل أحد بالأمر.

لكن.. بعد أربع وعشرين ساعة أخرى.. كانت الانذارات القادمة من أعماق الأرض قد وصلت الى عمق كيلو مترين فقط من سطحها.

ما هذا الذي يحدث؟



لم يمض وقت طويل في انتظار الإجابة..

في الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والثلاثين من صباح يوم ٢٣ يناير.. اهتزت الأرض ثلاث مرات فوق جزيرة «هايماي».. نفس الموقع الذي استبعد علماء طبيعة الأرض أن يضربه الزلزال.

كان سكان المدينة جميعاً قد خلدوا الى النوم. ومن ثم لم يشعر أحدهم بتلك الهزات الثلاث. لكن إثنين من صيادي السمك، كانا يقطعان أحد شوارع الجزء الشرقي من مدينة «**وستمانجر**» عائدين الى منزليهما..

وفي الساعة الثانية إلا خمس دقائق.. شاهدا خطا من النيران يضطرم من خلف منازل المدينة.. ويتسع مداه - من جنوب المدينة الى شمالها - دون أية ضوضاء.

لم يصدقا عيونهما أول الأمر.. بل ظنا أنهما يخرفان.. فاقتربا من تلك الظاهرة الغريبة، في محاولة لاستبانة الحقيقة من الظن.. وهناك، استيقنا أن خط النيران ذاك، ينتشر من حفرة تقذف بالحمم المنصهرة الى ارتفاع يجاوز المائة متر.

* يا إلهي.. هو إذن ميلاد بركان جديد..

غاب عن الرجلين أن يخطرا السلطات المختصة. بل ركضا

الى بيتيهما، وأيقظا زوجتيهما وأطفالها، وهرعا بهم في اتجاه الميناء.

ثوان أخرى.. ودق جرس الهاتف في مركز الشرطة بالمدينة.. ثم انتشر الخبر.

وعلى الفور.. استنفرت **سلطات البلدية**، واخترقت سيارات النجدة، شوارع المدينة، وهي ترفع نفيرها المزعج.. فاستيقظ الناس هلعين، وقفزوا من مراقدهم، وتطلعوا مندهشين الى السماء..

في الثانية وخمس دقائق، اخطر مكتب الدفاع في مدينة «**ريكجافيك**»، التي تبعد مائة وعشرين كيلو مترا عن المدينة، وتلقى تقريرا بمولد انفجار البركان ومداه.. وعلى الفور أخطر مطار «**كيفلافيك**» كما أخطرت المستشفيات، ومراكز الشرطة.. ووضعت كلها على أهبة الاستعداد.. فكان قرارهم جميعا: «الإخلاء الجماعي للجزيرة.. وفوراً».

وعلى الفور بدأت سيارات الشرطة في «هايماي»، تطوف المدينة، آمرة السكان عن طريق مكبرات الصوت بالتوجه فورا الى الميناء... لا يحملون معهم من متاع غير ما يقيهم شر البرد وحسب.

لكن من حسن الحظ أن الجو - ليلتها - كان لطيفا، والبحر هادئا.. ومن يمن الطالع، أيضا أن سبعاً وسبعين سفينة صيد كانت هناك راسية عند رصيف الميناء، مزودة بالوقود وجاهزة للابحار.. فقد كان الوقت في أوائل موسم الصيد. واستدعى الدفاع المدني، جميع حافلات النقل، للحضور الى المدينة لنقل السكان من شوارعها الى مينائها.. حيث يتم نقلهم على السفن التي جهزها القدر وحده لانتشالهم من الجزيرة..

وبعد ساعة واحدة من وقوع الانفجار، هبطت أول طائرة هناك.. ثم تتابعت بعدها طائرات الهليوكوبتر التابعة للجيش الأمريكي في محاولة للإسهام في إخلاء الجزيرة..

وبالفعل.. لم تمض ساعات ثلاث، إلا وكان سكان الجزيرة البالغ عددهم **٥٣٠٠** نسمة قد أخلوا تماما عنها.



* * *

تلك قصة الناس مع الساعات الاولى لبعض الزلازل، ولانفجار بركاني، وقعت في إحدى جزر أيسلندا.. قصة المفاجأة المفزعة.. والأخطار المحدقة.. والخوف الرعديد.. والهروب الكبير.. وهي أيضا قصة حضارة الانسان وتقدمه.. وعلى رأسها تقدم وسائل المواصلات وسرعة الاتصال وفورية الاستجابة..

لكن الزلازل والبراكين.. ظاهرتان قديمتان قدم الكون.. وهما تصاحبان الانسان منذ نشأته الاولى.. ولنا أن نتصور كم كانت مفزعة ومدمرة وفاتكة بالناس، وهي كذلك للآن. لكن لنتصور ذلك في أوقات وأزمنة كانت وسائل المواصلات والاتصال خلالها أقل استجابة وأضعف إمكانية..

والظاهرتان - **الزلازل والبراكين** - مرتبطتان ببعضها في اغلب الأحوال.. الا أن كل بركان يصاحبه زلزال.. لكن كل



انفجارات بركانية شديدة الانفجار .. سحب كثيفة من الرماد والكتل الصخرية مرتفعة كما في بركان سيميرو (جاوا - اندونيسيا)

زلزال ليس بالضرورة أن يصاحب بركانا.

فما هي الزلازل؟

وما هي البراكين؟

أولاً: الزلازل

الزلزال هو «**هزة أو رجفة تنتاب سطح الأرض.. وتحث الزلازل عادة نتيجة توتر بعض أجزاء القشرة الأرضية الى درجة الانفصام، ثم انزلاق الصخور بعضها فوق بعض**».

تاريخ دراسة الزلازل

اتسمت الاراء التي تصدت لتفسير أسباب وقوع الزلازل بالغموض واللاعقلانية. فقد كانت تميل الى التسليم بأن سببها

هو أن بعض **المردة والجن** المحبوسين تحت سطح الأرض.. يغضبون أحيانا وينتفضون غضبا، فترتجف لذلك القشرة الأرضية.. وهو ما نسميه زلزالا.

ثم اصطبغت الاراء بصبغة تكاد تكون عقلانية، أو على الأقل خرجت بالأمر بعيدا عن حيز الأساطير والغيبيات - فقالت: «ان سبب وقوع الزلازل أن هناك حيزا من الهواء محبوس تحت سطح القشرة الأرضية، وهو يحاول دائما أن يتخلص من «سجنه هذا.. ومن ثم فهو يهز الأرض مسببا الزلزال».

وفي عام ١٧٦٠م قال الجيولوجي الانجليزي «**جون ميتشل**»: «إن الزلزال عبارة عن موجات تنتج عن تحرك الكتل الصخرية التي تقع على بعد عدة أميال تحت سطح الأرض».

وفي عام ١٨٥٥م. ابتكر الفيزيائي الإيطالي «**لويجي بالميري**». أول جهاز «سيزموجراف» وهو جهاز يستطيع قياس ورصد أقل رجفة في القشرة الأرضية. وبواسطته أمكن توقع حدوث الزلازل، وتحديد البقعة التي سيضربها ومدى عنف هذه الضربة.

أسباب وقوعها

يميل البعض الى الاعتقاد بأن الكرة الأرضية تسعى دائما الى إعادة تشكيل شكلها الخارجي.. أي القشرة الأرضية وتضاريسها.. وتلك عملية تستغرق آلاف السنين ويصعب على الانسان ملاحظة تفصيلاتها الجزئية.. كما ان تلك العملية مرتبطة بعوامل وعمليات تتم في باطن الأرض، لا نعرفها ولا نحس بها الا عندما يصدر عنها ما نسميه «الزلزال».

الا أن العلماء وضعوا ثلاثة مسببات للزلازل هي:-

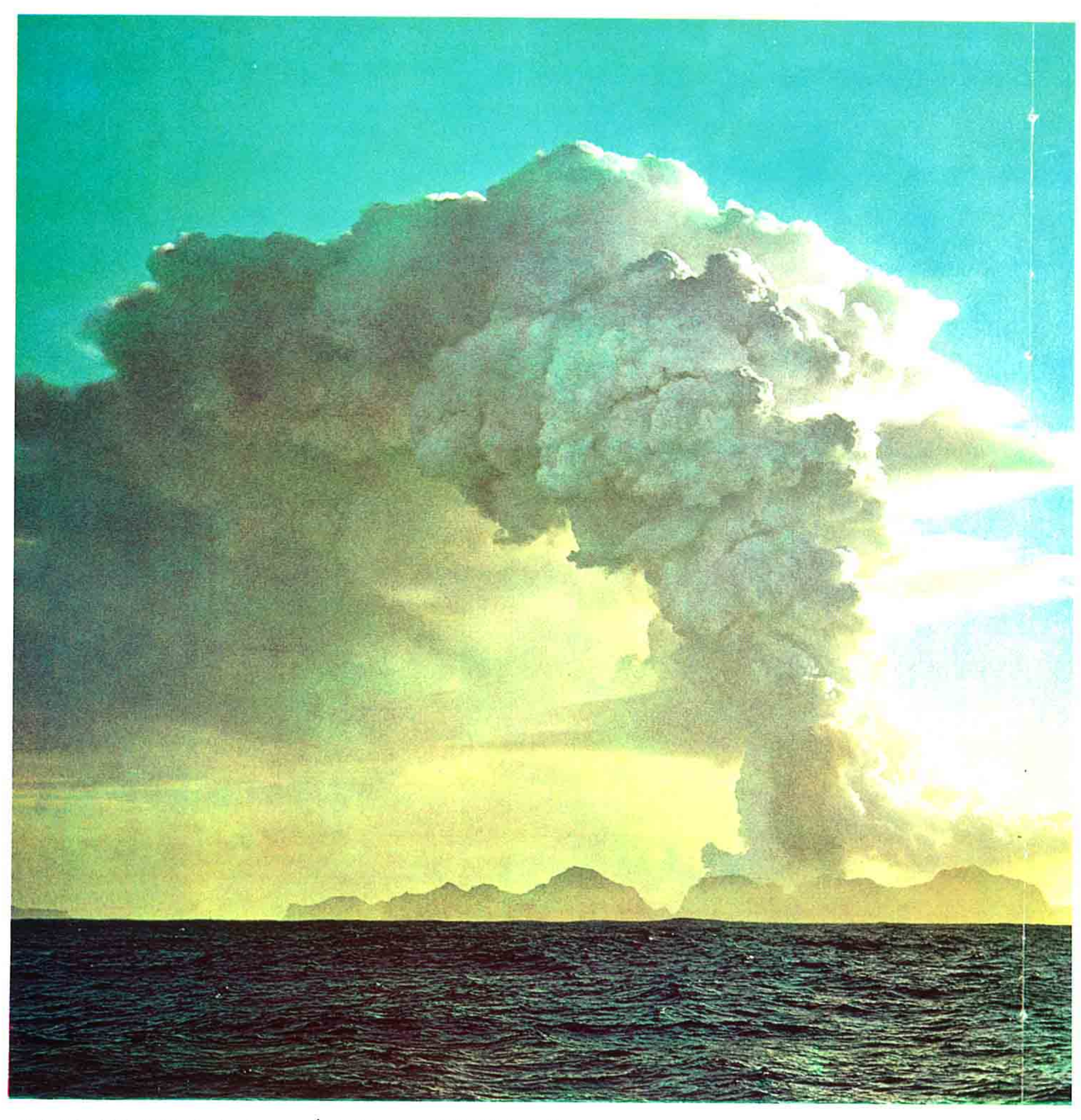
١ - انهيار الكهوف الجوفية: عندما يستطيع تيار المياه الجوفية - بفعل التآكل - أن يحفر كهوفا هائلة في جسم الأرض، فان اسقف هذه الكهوف قد تتساقط فيؤدي ذلك الى ابتلاع بلاد بأكملها تهوى في الحفرة الناتجة عن ذلك السقوط.. كما حدث في مدينة «أفيزانو» الايطالية عام ١٩١٥.. ويعتبر هذا النوع من الزلازل بالغ الخطورة.. وهو نادر الحدوث.

٢ - الأسباب القشرية: وهي الزلازل التي تصاحب التصدعات الكبرى في القشرة الأرضية. فقد ينزلق من القشرة الأرضية فجأة، ويهبط الى أسفل، أو ينزاح جانبا.. وربما تزحزحت كتل صخرية ضخمة.. ومن ثم تؤدي هذه التحركات الجوفية الى اهتزاز سطح الأرض ذاته.



ومن أمثلة هذه الزلازل المخيفة ذلك الذي ضرب **سان فرانسسكو** عام ١٩٠٦ وأدى الى حدوث تشققات في القشرة الأرضية زاد اتساعها عن ستة أمتار.

٣ - البراكين: توجد في أعماق الأرض، منطقة صخرية قوامها بين السيولة والصلابة.. وهي غير مستقرة بالمرة، وفيها تنشأ ضغوط عالية جدا.. هذه الضغوط تتلمس - دائما - ثغرات أو



بلغت كمية المواد البركانية ٢٥٠ مليون متر مكعب من يناير الى يوليو ١٩٧٣م كما في بركان الدفيل.

فتحات في القشرة الأرضية، تستطيع من خلالها التقليل من تلك الضغوط.. ومن ثم تؤثر هذه الضغوط على القشرة اليابسة فيتولد عنها تحركات جوفية عنيفة، هي التي تسبب حدوث الزلازل.

هذا. وتوجد ثلاثة أنواع من الموجات التي تصدر عن الزلازل (**طولية، ومستعرضة، وسطحية**). واخر هذه الانواع — وهو الموجات السطحية — هي التي تحدث أشد أنواع التخريب.

وكما قلنا.. فقد يكون الزلزال مصاحبا لثوران بركاني.. وفي عام ١٩١٤م، بلغ عدد الزلازل التي حدثت قبل انفجار أحد البراكين — في جزر اليابان — أربعمائة زلزال.

على أن المناطق البعيدة عن الجبال، تكون عادة في مأمن من التعرض للزلازل، في حين تتعرض المناطق الجبلية للزلازل.

جدول (١) يوضح أشهر الزلازل التي وقعت خلال الفترة من عام ١٧٥٥ الى عام ١٩٧٣م

التاريخ	الموقع والدولة	وصف الزلزال
١٧٥٥	لشبونة، البرتغال	ثلاث هزات ضربت جزءا كبيرا من المدينة.. دمرت دماراً شديداً، زاد عليه هياج البحر واندلاع النيران. توفي بسببها عشرون ألف نسمة.
١٧٨٣	كالابريا، ايطاليا	حدثت ست هزات أساسية في المدة من فبراير الى مارس. دمرت عدة مدن. بلغ عدد ضحاياها ٦٠ ألف نسمة.. ثم حدثت مئات الهزات بعد ذلك.
١٨١١ ١٨١٢	نيومدريد، ميوري	سلسلة من الزلازل العنيفة، ادت الى الاحاطة ببعض المناطق. كما لوحظت آثارها على مسافات بعيدة شرقا تصل الى بوسطون.
١٨٨٦	تشارلتون، ساوث كارولينا	أسوأ الزلازل التي ضربت الساحل الاطلنطي. بلغت مساحة المناطق المتأثرة به ثلاثة ملايين ميل مربع. عانت تشارلتون من أضرار بالغة الا أن ما اصاب المناطق المجاورة من اضرار يعتبر بسيطا.
١٨٨٧	سونورا، المكسيك	ادت الى ارتفاع الجزء الشمالي من سييرا تيراس. دمرت مدناً وقرى كثيرة في الاودية.
١٨٩٧	أسام، الهند	ارتفعت تلال أسام من خمسة الى عشرين قدما. تهدمت معظم المباني بالمنطقة، ودمرت الغابات كما غمر الفيضان مناطق الادغال والمزارع.
١٩٠٥	كانجارا، الهند	امتدت آثاره الى سفوح الهمالايا ومنطقة البنجاب. وظهرت اثارها على مناطق تبلغ مساحتها ½ ١ مليون ميل مربع. وتوفي بأثارها عشرون ألف نسمة.
١٩٠٦	فورموزا، –	توفي بآثارها ١٣٠٠ نسمة، وتهدم سبعة الاف مبنى.
١٩٠٦	كاليفورنيا، الولايات المتحدة	اهتزت القشرة الارضية لمسافة تزيد على ٢٥٠ ميلاً. وفي سان فرانسيسكو سببت الحرائق اضرارا اكثر مما سببه الزلزال. بلغ عدد ضحاياه ألف نسمة.
١٩٠٨	ميناوريجيو، ايطاليا	هدمت المدينتان جزئيا. وكانت الأضرار راجعة أساسا الى قدم المباني وضيق الشوارع. كما اضافت الامواج الهائجة الى الاضرار. تراوح عدد الضحايا بين مائة ومائة وخمسة وعشرين ألف نسمة.
١٩٢٠	كانسو، الصين	دمرت مئات المدن والقرى. يقدر عدد الوفيات بمائتي الف نسمة.
١٩٢٣	جزيرة هونشو، اليابان	ضرب الزلزال مدينتي: طوكيو ويوكوهاما ومدناً اخرى. بلغ عدد القتلى اكثر من ١٤٠ ألفاً، وعدد المباني المهدمة اكثر من نصف مليون مبنى.
١٩٣٤	بيهار، الهند ومملكة نيبال	دمرت عدة مدن. بلغت مساحة المنطقة التي أحست بالزلزال اكثر من مليوني ميل مربع.
١٩٣٩	كونسبشن، شيلي	دمرت مدينة كونسبشن جزئيا.. كما لحق الدمار عشرين مدينة اخرى وبلغ عدد القتلى حوالي ثلاثين ألفا.
١٩٣٩	وسط تركيا، تركيا	سلسلة من الهزات شملت الأناضول كلها تقريبا.. لحق الدمار عددا من المدن والبلدان والقرى وبلغ عدد القتلى خمسين ألفا.
١٩٤٦	جمهورية الدومينكان	تعتبر واحدة من اكبر الزلازل المائية المصحوبة بالامواج. شمل الدمار المناطق الساحلية كما الحق اضرارا بالغة في بورتوريكو.
١٩٤٩	إكوادور	لحق الدمار جزءا من مدينة أمباتا وغيرها، وبلغ عدد القتلى ستة الاف.
١٩٥٠	التبت، الصين، بورما، الهند	أدى الزلزال الى ارتفاع جبال التبت في الطرف الشرقي من الهمالايا، احست بها منطقة التبت كلها والصين والهند وبورما. عموما تغيرت جغرافية المنطقة بشكل ملحوظ.

الزلازل .. أين؟

تحدث الزلازل الشديدة في حزامين محدودين تقريبا:–

** أحد هذين الحزامين يمتد من جبال أطلس، بشمال أفريقيا، وعلى امتداد البحر الأبيض المتوسط، الى آسيا الصغرى الى ايران الى الهمالايا.. الى جزر الهند الشرقية.

التاريخ	الموقع والدولة	وصف الزلزال
١٩٥١	امريكا الوسطى	دمرت مدينتين في سلفادور. أما في نيكاراجوا فقد أدى الفيضان الناتج عن الزلزال الى تدمير ميناء بوتسوي.
١٩٥٣	جزر أيونيان، اليونان	ضرب الزلزال مدن: سيفالونيا وزانتي وإيتاكا. عدد القتلى ستمائة.
١٩٥٣	شمال غربي تركيا	لحق الدمار مقاطعتي كاناكال وباليكيسير.. الضحايا ١٢٠٠ قتلى وخمسين ألفا بدون مأوى.
١٩٥٤	شمال الجزائر	في وادي نهر شيليف. عدد القتلى ١٢٠٠.
١٩٥٥	جزر الفلبين	في وسط جنوبي الفلبين، الضحايا: ٤٣٢.
١٩٥٦	شمالي أفغانستان	دمرت عدة قرى. وتوفى اكثر من ألفين.
١٩٥٧	إيران	لحق الدمار شمال وغرب ايران وبلغ عدد القتلى ٢٩٠٠.
١٩٦٠	شيلي	سببت الزلازل والبراكين في تدمير وسط وجنوبي شيلي ودمرت عدة قرى. عدد المنكوبين خمسة الاف بين قتيل ومفقود. امتد اثر الزلازل والبراكين عبر المحيط الهادي فوصل الى جزر هاواي ،السواحل اليابانية والحق بها أضرارا.
١٩٦٠	مراكش	زلزالانأديا الى اندلاع الحرائق .. بلغ عدد القتلى عشرة الاف.. دمرت مدينة أغادير، بالاضافة الى خمسة واربعين ألف نسمة بدون مأوى.
١٩٦٢	شمال غربي إيران	دمرت مائتي بلدة وقتلت عشرة الاف.
١٩٦٣	سكوبلجي، يوغوسلافيا	دمرت معظم المدينة وقتلت ألفا وشردت ١٨٥٠٠.
١٩٦٣	شمال شرقي ليبيا	ضربت مدينة برقة وقتل ثلاثمائة وشرد ١٥٠٠.
١٩٦٤	هونشو، اليابان	اكثر زلازل اليابان تدميرا منذ زلزال ١٩٢٣. ضرب جزيرة هونشو ودمر مدينة نيجاتا وقتل ٣٢.
١٩٦٤	جنوبي ألاسكا	دمرت عدة مدن.. عدد القتلى والمشردين حوالي مائة. امتد أثر الامواج الناتجة عن الزلزال الى امريكا الشمالية وسيبيريا واليابان.
١٩٦٥	وسط شيلي	دمرت عدة مدن وقتل ٤٢٠.
١٩٦٥	شمال غربي المحيط الهادي.	اهتزت منطقة شاسعة ممتدة بين شمال غرب الولايات المتحدة وجنوب غرب كندا.
١٩٦٦	شرقي تركيا	دمرت ستين قرية وتوفى ٢٤٧٧ وشرد مائة ألف.
١٩٦٧	فنزويلا وكولومبيا	سلسلة من الزلازل قتلت ٣٨٧ كما اضيرت كاراكاس.
١٩٦٨	جزر الفلبين	قتل ٣٠٧ في مدينة لوزون.. كما قتل الكثيرون في مدينة مانيلا.
١٩٦٨	اندونيسيا	قتل عدة مئات واختفت جزيرة توجواة.
١٩٧٠	غربي تركيا	دمرت مدينة جيديز الى حد كبير وكذلك عدداً من القرى المجاورة. قتل ألف وشرد تسعون ألفا.
١٩٧٠	شمالي بيرو	واحدة من أسوأ الزلازل في العصر الحاضر. بلغ عدد الضحايا حوالي سبعين ألفا بين قتيل وشريد. دمرت عدة مدن جبلية وقرى تدميرا كاملا.
١٩٧١	وسط ايطاليا	دمرت مدينة توسكافيلا الى حد كبير. كما دمرت عدة ثروات فنية وقتل اثنان وعشرون وشرد أربعة الاف.
١٩٧١	جنوبي كاليفورنيا	دمرت منطقة لوس انجلس وقتل اثنان وستون.
١٩٧١	جنوبي شيلي	حدث دمار شامل وقتل تسعون وشرد عدة الاف.
١٩٧٢	جنوبي ايران	قتل خمسة الاف ودمرت ٤٥ قرية.
١٩٧٢	نيكاراجوا	دمرت مدينة ماناجوا الى حد كبير، زاد عدد القتلى عن عشرة الاف.
١٩٧٣	جنوبي المكسيك	دمرت مكسيكو سيتي وعدة مدن اخرى. وقتل عدة مئات.

** ويمتد ثاني الحزامين بطول الشواطئ الغربية والشمالية الشرقية للمحيط الهادي. هذا.. وفي الجدول رقم (١) تجدون قائمة بأشهر الزلازل التي عرفها الانسان...

ثانياً: البراكين

البركان.. ماهو؟

كلمة البركان.. «**مصطلح يطلق على فتحة في قشرة الأرض**،

قبة من الحمم اللزجة مغطاة بكتل صخرية .. اما الغازات



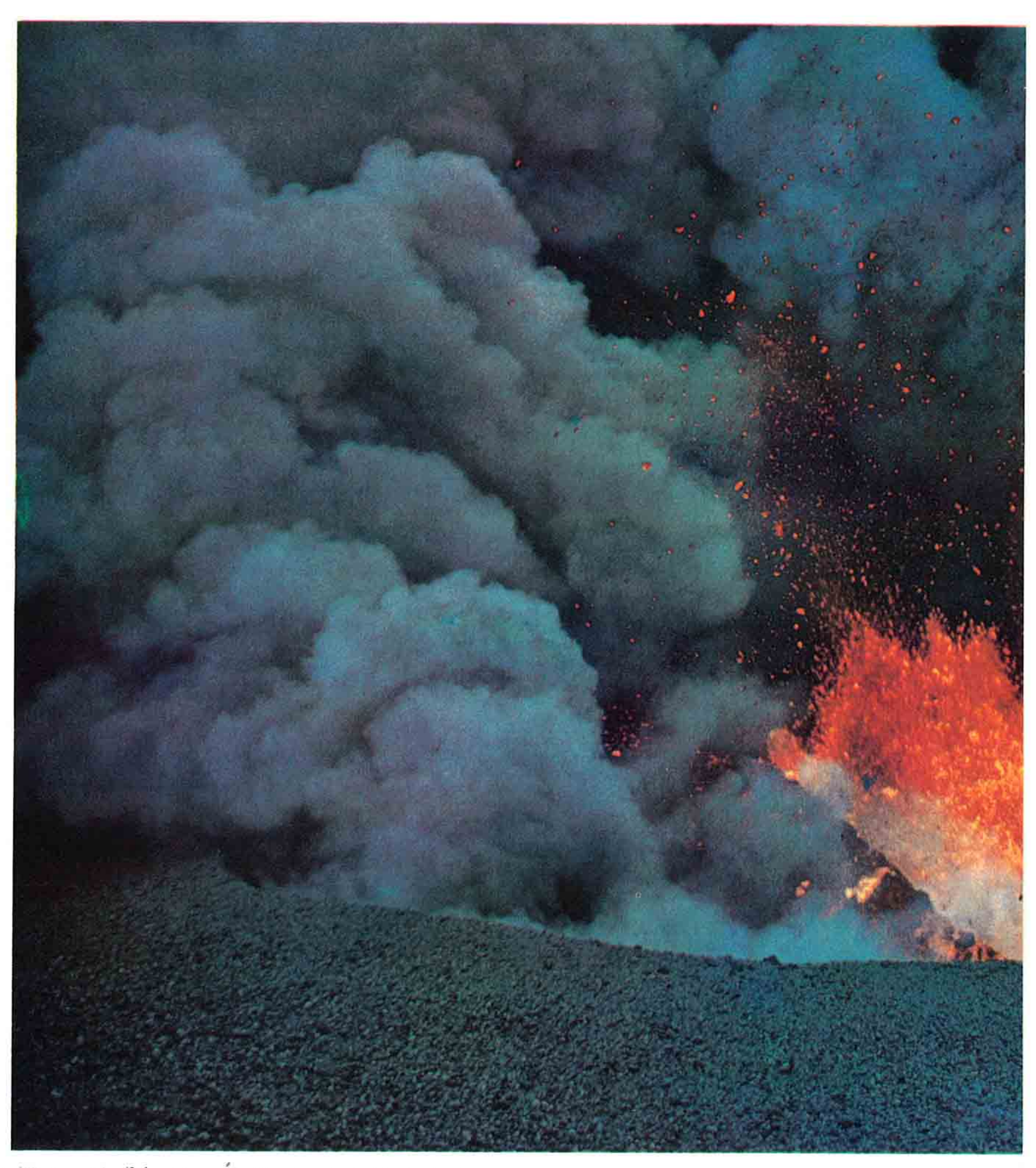
تتصاعد منها الغازات وتقذف الصخور (مصهورة وصلبة)».

فما هو أصل كلمة «بركان»؟.

هناك رأي يقول ان أصل الكلمة الانجليزية VOLCANO هو كلمة VULCANO ، وهي جزيرة تقع شمالي **جزيرة صقلية بالبحر المتوسط**.. **وكان الرومان** هم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم لأنهم كانوا يشاهدون بها بخارا يشبه الدخان. وكانوا يعتقدون أن مصدر الدخان هو بيت **«فالكان»**.

إلا أن هناك رأيا آخر يقول ان هذه الكلمة لم يبدأ استخدامها إلا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وأن المنشأ الأصح للكلمة – عندهم – هي كلمة **«بلكان» أو «بولكان»** بمعنى **«ضوضاء» و«فرقعة»** باللغة الأسبانية.

بيد أن أول اشارة لكلمة VULCANO ، كانت عام ١٣٧٥م عندما وردت في قصة للرحالة الانجليزي **جون دي ماندفيل**.



شق بامتداد ٨ر١ كم على بعد **٢٥٠** متراً من مدينة «فستمانيجار» .. يوم **٢٣** يناير **١٩٧٣**م.

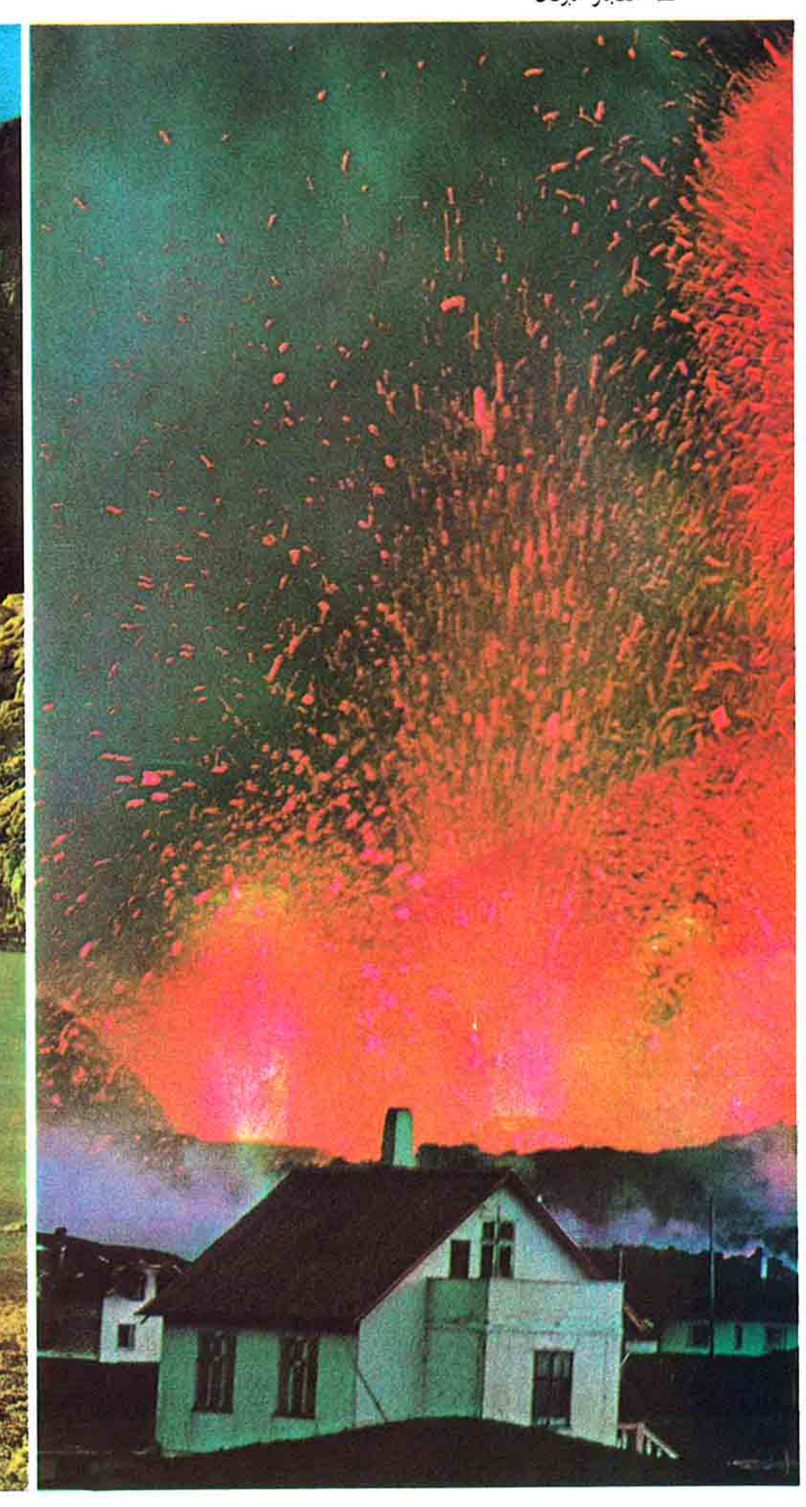
البركان .. في سطور

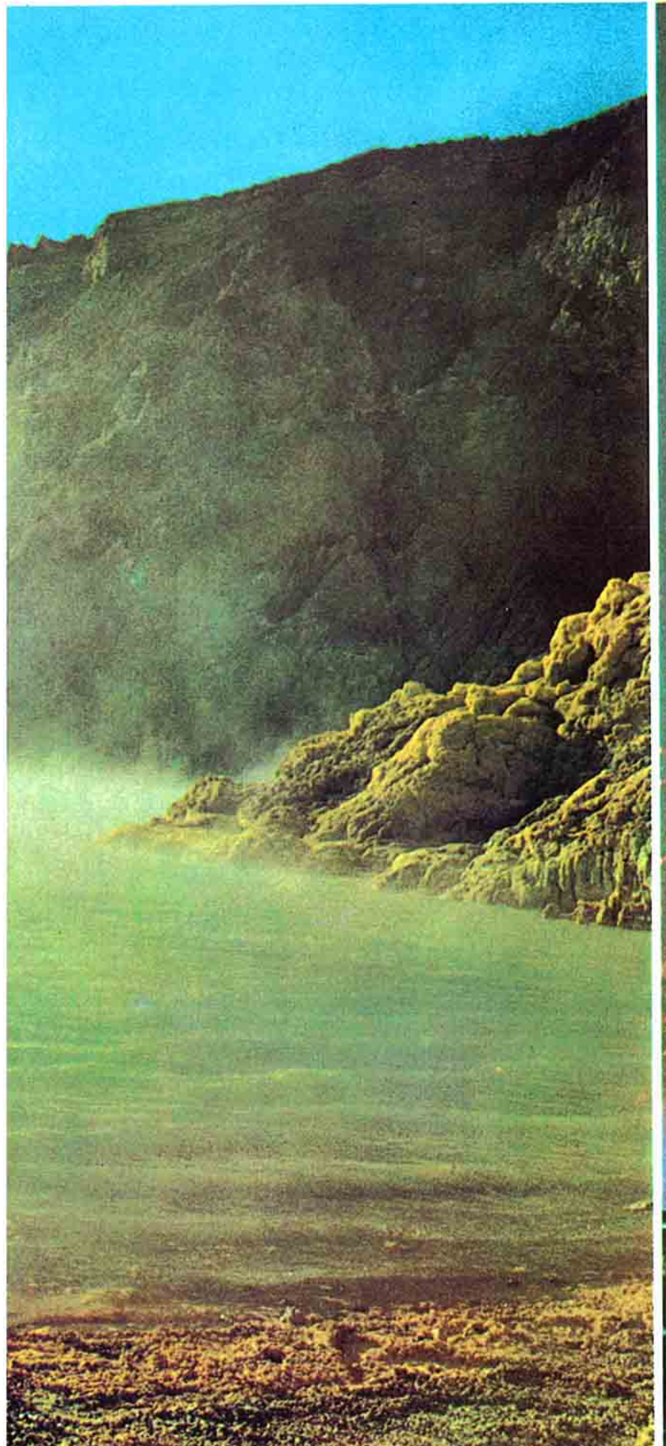
** كلمة «بركان» يقصد بها المخروط الذي يتكون من **الحمم الطافحة من فوهة البركان**، اكثر من نسبتها الى فتحة البركان.

** يقدر اجمالي **كتلة المواد التي يقذفها البركان** بحوالي ٢،٤ مليون طن.. أي ما يعادل ١٣ مليار متر مكعب.

** تقدر **القوة الصوتية للبركان** بما يعادل $\frac{٦}{١٠}$ أو $\frac{٧}{١٠}$ جول. ولايضاح ذلك، فان الطاقة الحرارية للقنبلة الذرية حوالي $\frac{٤}{١٠}$ جول.. أي انها أضعف من طاقة البركان بحوالي مائة الى ألف مرة.

** **عدد البراكين** النشيطة الموجودة في العالم – حوالي الخمسمائة.



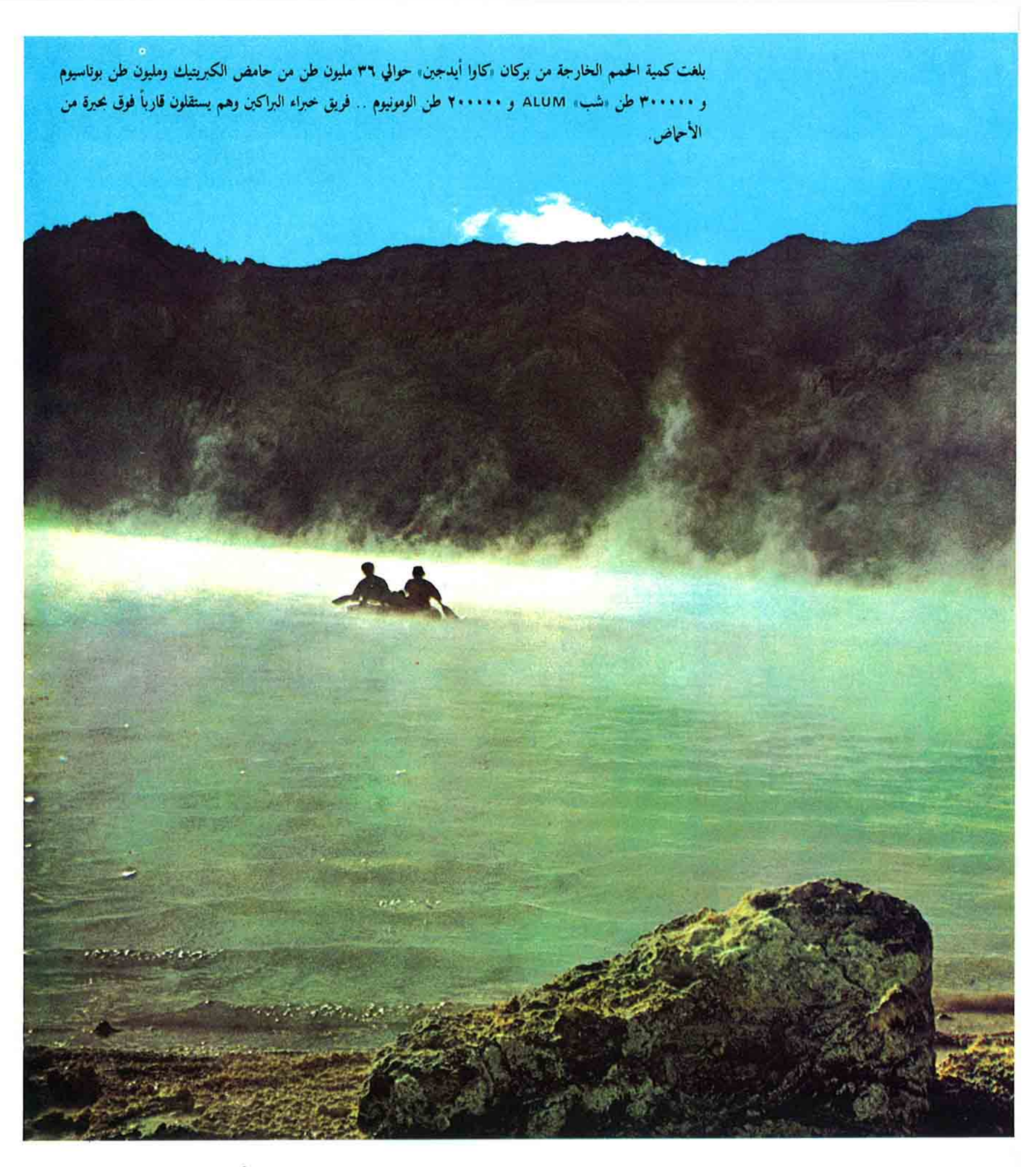


علم البراكين (VOLCANOLOGY)

هو الذي يناقش البراكين وتركيبها وعلم الصخور وأصولها، كما يهتم بالعلاقة بين البراكين وتركيب الصخور في القشرة الأرضية، ودورهما كعاملين لهما تأثيرهما في درجة الحرارة على سطح الأرض وفي الغلاف المائي.. الى جانب دراسة توازن العناصر الكيمائية في القشرة الأرضية.

كذلك يعني هذا العلم بدراسة البراكين المتشابهة، ونوعية لمعان الخام الناتجة عنها، بالاضافة الى دراستها في صلتها الوثيقة بكافة جوانب القشرة الأرضية ومختلف ظواهرها التي تشمل الزلازل وتكون الجبال.

على أن أغلب المشاكل التي تواجه علم البراكين هي تلك التي تتعلق بأصل الجبال والقارات.. الا أن السؤال الهام هو ذلك الذي يناقش أصل الحمم المنصهرة.



بلغت كمية الحمم الخارجة من بركان «كاوا أيدجين» حوالي ٣٦ مليون طن من حامض الكبريتيك ومليون طن بوتاسيوم و ٣٠٠٠٠٠ طن «شب» ALUM و ٢٠٠٠٠٠ طن الومونيوم .. فريق خبراء البراكين وهم يستقلون قارباً فوق بحيرة من الأحماض.

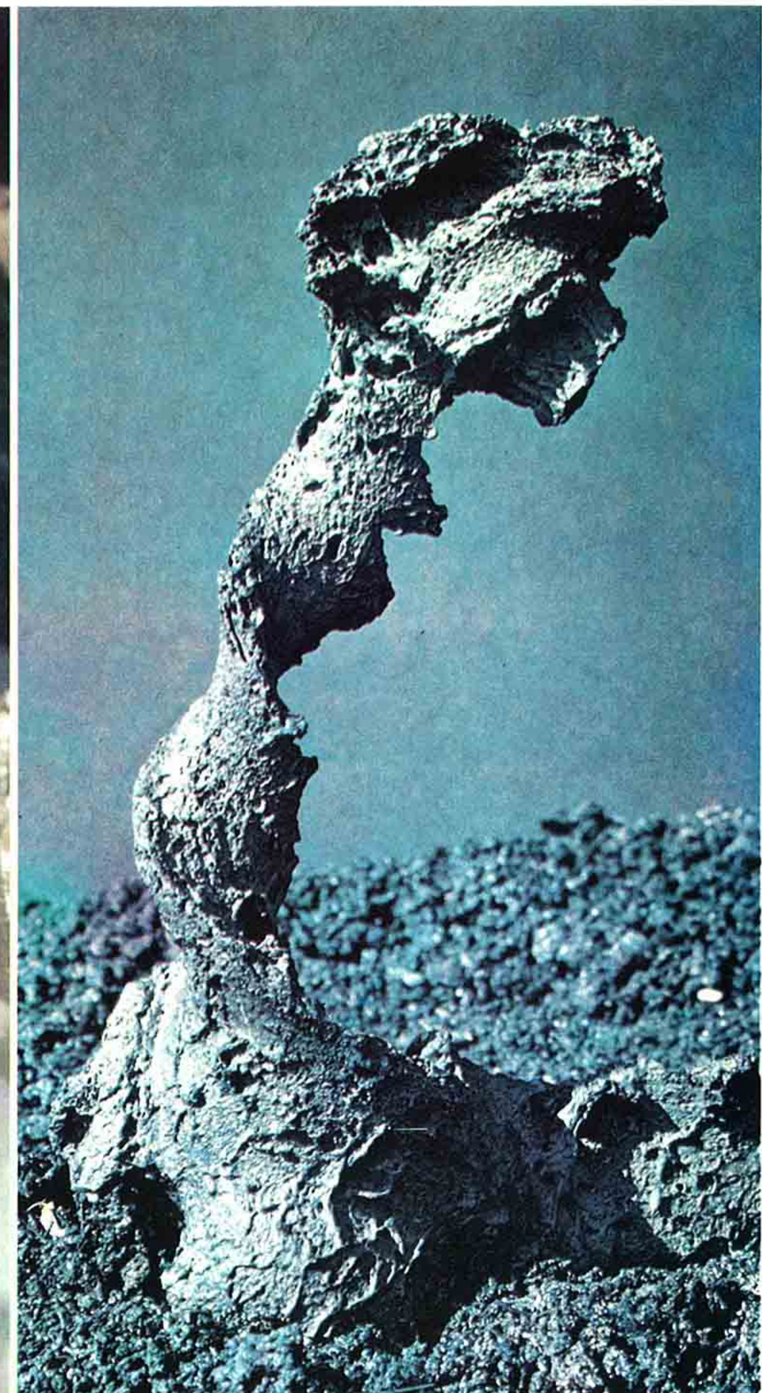
ذلك أن الدلائل الجيوفيزيائية تشير الى أن القشرة الارضية تعتبر قشرة جافة ورغم ذلك تخرج من باطنها الى سطحها حمم منصهرة.. بها وسائله ايضا.

الا انه أمكن مناقشة الأمر على أساس أن ظاهرة سيولة الحمم إنما ترتبط بنقص الضغط الناتج عن حمل الحمم من باطن الأرض الى سطحها عند انفجار البركان.

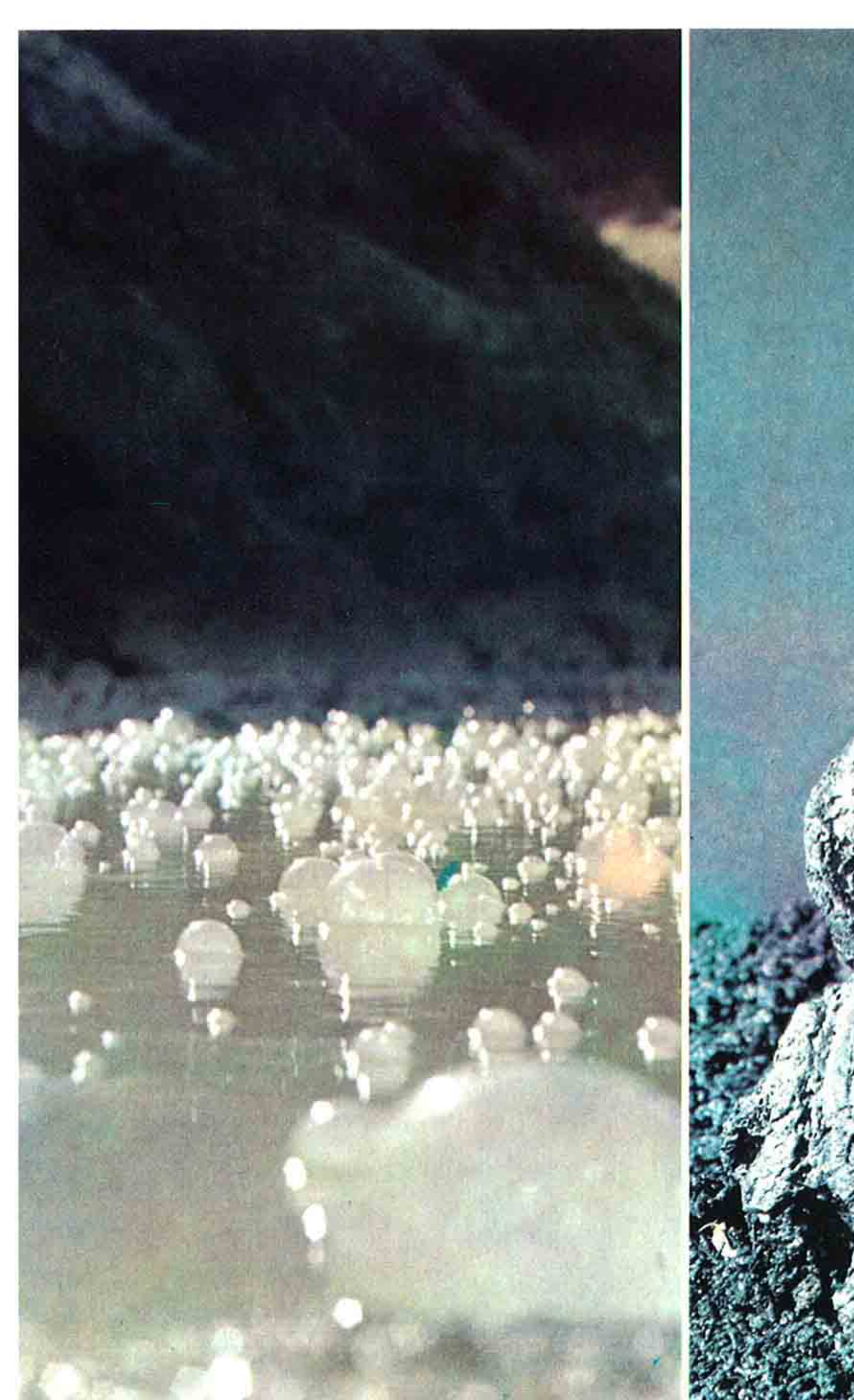
أنواع البراكين

١ – البركان الهواييني

نسبة الى جزر هاواي بالمحيط الهادي، ويتميز بالحمم الشديدة السيولة التي يصاحبها غازات قليلة. ومن أشهرها بركان «مونالوما» الذي يقع على ارتفاع ٤١٠٠ وبركاني «موديا كيا» و«كيلويا».



حمم متحجرة .. بركان نيراجونجو – زائير



٢ – البركان الامترومبوبي

وينتسب الى بركان «امترومبوبي».. وحممه متوسطة السيولة وضغط غازاته متوسط ايضاً.

٣ – الفيولكاني

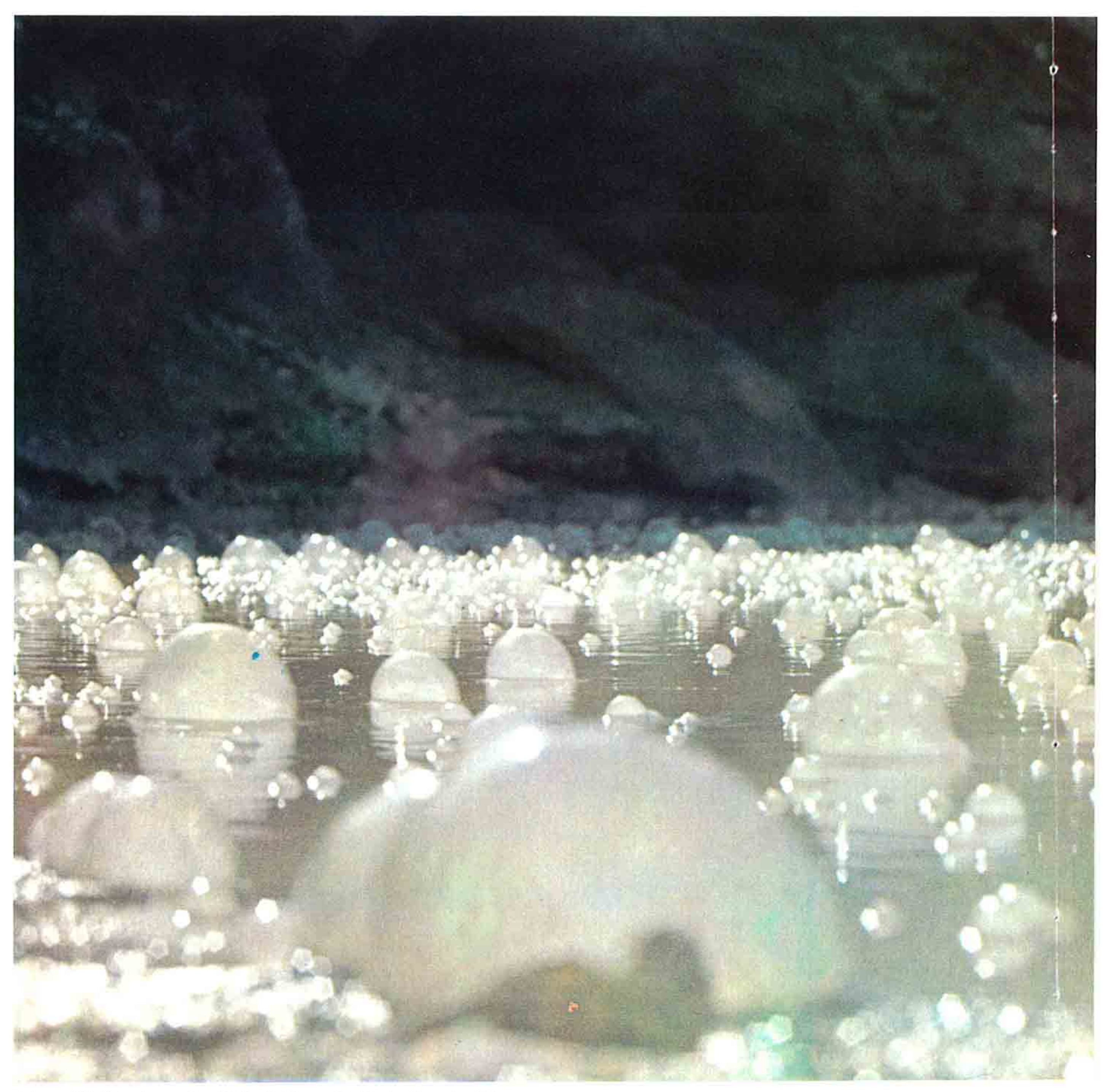
نسبة الى بركان «فيولكانو» القريب من «استروميديي» ويتميز بالحمم الشديدة الغروية والضغط الغازي الهائل.

٤ – البليني

ومن أمثلته بركان جبل «بيلييه» في «المارتينيك» ويتميز بالأدخنة الحارة.

٥ – الفيزوفي

ومنه بركان «فيزوف» في خليج نابولي، ويتميز بالتفجيرات المدمرة.



برکان خامد منذ عام ۱۸۸۸م .. الغازات لا تزال تتسرب على هيئة فقاقيع صغيرة.

إنفجار البركان

تتكون القشرة الأرضية من صخور خفيفة جامدة، طافية فوق طبقة اخرى أثقل منها، لكنها اكثر سيولة.. وهي «الماجما» أو «الصهارة». ويتراوح سمك الطبقة العليا بين ما يزيد على أربعين كيلو مترا – تحت السلاسل الجبلية – وسمك لا يكاد يذكر في أحواض المحيطات.. وكلما تعمقنا تحت السطح الخارجي للأرض، إزداد الضغط.

وعندما يتزايد الضغط في الماجما، تندفع المادة الى أعلى، مخترقة احدى المناطق الضعيفة في القشرة الأرضية حتى تصل الى خارجها.. وعندئذ يقع الانفجار البركاني.

وحين تشرع الماجما في الخروج، يخف الضغط الواقع عليها لدرجة تجعلها تنصهر.. ومن ثم فهي – أثناء خروجها – قد تؤدي الى انصهار الصخور المجاورة لها. كذلك فهي تنفث أبخرة وغازات تستطيع أن تندفع بها الى اعلى بقوة انفجارية هائلة.

البراكين.. اين توجد؟

قبل ان نحدد اماكن تواجد البراكين، نود ان نورد تصنيفا لانواع البراكين من حيث مدى نشاطها. ذلك أن هناك:

** **البراكين الخامدة**.

** **البراكين الساكنة**.

** **البراكين النشطة**.

أ – البراكين الخامدة

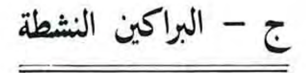
وتطلق صفة «الخمود» هذه على البركان اذا ظل بلا انفجار أو ظهور أية حمم أو غازات من فوهته لفترة تقدر بمائة عام أو أكثر.

ومن أمثلة هذا النوع براكين: «بالما» في **جزر كناريا** «مونت شاستا» **في كاليفورنيا** «مونت هود» **في أريجون** و«مونت رينيير» **في واشنطون**.

على أي حال فان صفة «الخمود» التي خلعها بعض علماء طبيعة الارض على بعض البراكين، لا يمكن اعتبارها صفة ملازمة دائمة، على أي حال.

ب – البراكين الساكنة

وهي التي لم تثر – فترة طويلة من الزمن – بل اقتصر


نشاطها على خروج أعمدة دخانية هادئة منها.

ج – البراكين النشطة

وهي تلك التي انفجرت منذ وقت قريب، أو تلك التي تكون عرضة للانفجار في أي وقت. وهذا النوع من البركان هو الذي سندرس توزيعه على خريطة العالم خلال الفقرة التالية:

توزيع البراكين في العالم

وهي موزعة على عدة أحزمة منها:–



اللحظات الأولى لانفجار بركاني

** الحزام الكبير للمحيط الأطلنطي، ويشمل عدداً كبيراً من الجزر البركانية من بينها «وست سبتسبيرجن» – جزيرة «جان ماين» – أيسلندا «آزور» – «ماديرا» – جزر كناريا – وجزر «كيب فيردي».

** حزام يمتد جنوباً من الجزيرة العربية، مارا بالبحر الأحمر واثيوبيا وجزيرة مدغشقر، المتاخمة للساحل الشرقي لقارة افريقيا.

** يمكن القول بأن هناك خطاً من البراكين يمكن اقتفاء أثره على الجانب الشرقي من المحيط الهادي في المنطقة الممتدة من جزر «الوشيان» الى خليج «هورن». وفي هذه المنطقة توجد عدة براكين نشيطة، وكذلك على حدود سواحل ألاسكا.

** خط «كاسكيد» بالولايات المتحدة، وبه عدة براكين..

الا أن عدد البراكين النشطة من بينها ضئيل. ومنها بركان «لاسن بيك» في شمالي كاليفورنيا الذي انفجر بعنف عام ١٩١٤/١٩١٥ أما بركاني «مونت رينيير» بواشنطون و«مونت هود» بالاوريجون فلا يزالان ينفثان الدخان.

** أما البراكين النشطة، فتمتد عبر المكسيك من «كوليما» الى «توكستلا».

** في أمريكا الجنوبية سلسلة تبدأ من «نيفادو ديل توليما» في كولومبيا، وتمتد جنوباً الى بركان «كوركوفادو» بجنوب شيلي. اما بركان «كوتوباكسي» في إكوادور، فيعتبر أعلى البراكين النشطة بالعالم، اذ يبلغ ارتفاعه ١٩٤٤ قدماً.

** هناك خط يبدأ من «بيرنج ستريت» الى الجانب الغربي من المحيط الهادي، ثم تمتد الى المحيط الهندي. ويوجد في شبه جزيرة كامتشاتكا حوالي ١٤ بركاناً نشطاً.

أما جزر اليابان فتعتبر سلسلة من الجبال البركانية، التي ترتفع فوق سطح المحيط. وتمر هذه السلسلة من خلال الفلبين ومولوكاس وجزر ساندا الى غينيا الجديدة.

أجزاء البركان

١ – الجبل البركاني

يتكون من تراكم الحمم – الخارجة من البركان عند انفجاره – وقد يتخذ شكلاً مخروطياً أو منبسطاً عندما تنتشر الحمم في امتداد افقي.

٢ – الفوهة

وهي الجزء الأخير من القناة التي شقتها الماجما وهي في طريقها الى سطح الأرض. وهي فجوة تتراكم على حوافها الحمم بعد تجمدها، كما أنها تتخذ غالباً شكل فوهة الكأس.

٣ – المدخنة

وهي الطريق الذي تسلكه الماجما، في طريقها الى سطح الأرض. وقد يكون للبركان الواحد مدخنة واحدة أو اكثر.

٤ – خزان الماجما

ويكون – عادة – على عمق حوالي ٣٢ كيلو مترا تحت سطح الأرض. كما تكون في درجة حرارة بالغة الارتفاع. تصل الى اكثر من ١٣٠٠ درجة مئوية.

* * *

وقبل ان تستغرقنا البراكين، وسط مقذوفاتها من المعلومات والحمم معا – نود هنا أن نقف لحظة نضع خلالها مقارنة فاصلة بين البراكين والزلازل.

فاذا كان بالإمكان توقع حدوث الزلازل، عن طريق أجهزة السيزموجراف، فانها تبقى – عند غياب هذا الجهاز – هي الظاهرة الطبيعية الوحيدة تقريباً، التي تفاجئ الانسان بوقوعها في مباغتة لا يشبهها الا الموت.

اما البركان.. فاننا نستطيع القول بأنه اكثر ودا في تعامله مع الانسان. اذ هو يصر دائماً – وفي أغلب الأحوال – على أن يقدم انذارا أو اكثر قبل انفجاره.. بوقت يسمح للمحيطين به ان يغادروا المكان سالمين.

يقول «فردريك. هـ. بوى في كتابه» «البراكين والزلازل»..

(نحن نعلم أن الزلازل والبراكين تجئ معا.. فمن الحكمة عندما تهتز الأرض أن نتطلع الى البركان لكي نرى ماذا به. فإذا انبعثت منه سحابة بيضاء، فقد حان وقت الرحيل. ومن الأفضل أن يحتاط الإنسان قبل فوات الأوان، حيث لا ينفع الندم. فمن الخير أن يرحل الإنسان ثم يتبين له بعد ذلك ان رحيله لم يكن ضروريا، على أن ينتظر أكثر مما ينبغي.. لأنه اذا انبعثت من مخروط البركان سحابة من الغازات ورماد أسود.. فقد فات حينئذ وقت الفرار).

ونحن لا نود ان نصحب قراءنا الأعزاء الى صفحات وصفحات نبين فيها هولات الثورات البركانية.. بل سنضع الأرقام وندعها تتكلم..

في الجدول رقم (٢) نوضح عدد الانفجارات البركانية التي وقعت فوق سطح البحر عبر التاريخ المعروف للانسان.

جدول رقم (٢)
الانفجارات البركانية عبر التاريخ

النطاق البركاني	عدد البراكين	الموقع
١- الباسفيكي	٤٢٢ منها:	
	٣١	اليابان
	٥	التبت
	٧	بحر الصين
	١٥	الفيليبين
	٧٥	اندونيسيا
	٥	نيوزيلندا
	١٠	أنتاركتيكا
	٤٧	أمريكا الجنوبية
	٤٢	أمريكا الوسطى
	٤	هاواي
	٧	أمريكا الشمالية
	٣٩	ألاسكا
٢- الأطلنطي	٤٩ منها:	
	٢١	أيسلندا
	٤	جزر كاناريا
٣- البحر المتوسط	١٣ منها:	
	١٠	إيطاليا
	٣	اليونان
٤- أفريقيا وآسيا	٢٣ منها:	
	٨	آسيا الصغرى
	٤	أثيوبيا
	٧	كينيا - تنزانيا
	٣	زائير
	١	الكاميرون
٥- المحيط الهندي	٤	

أما ضحايا البراكين من بني الانسان، فبيانها في الجدول رقم (٣).

جدول رقم (٣)
عدد الوفيات الناتجة عن بعض البراكين

اسم البركان	الموقع	سنة الانفجار	عدد الوفيات
تامبورا	اندونيسيا	١٨١٥م	٥٠٠٠٠
راكاتا	اندونيسيا	١٨٨٣م	٣٥٠٠٠
مونت بيليبه	الأنتيل	١٩٠٢	٢٨٠٠٠
لاكي	أيسلندا	١٧٨٣	١٠٠٠٠
كيلود	اندونيسيا	١٩١٩	٥٥٠٠
مونت لامنجتون	غينيا الجديدة	١٩٥١	٤٠٠٠
فيزوف	إيطاليا	٧٩ م	٢٠٠٠
تال	الفيليبين	١٩١١	١٣٠٠
ميرابي	اندونيسيا	١٩٣١	١٣٠٠
آجونج	اندونيسيا	١٩٦٣	١٣٠٠

براكين مشهورة

بركان فيزوف

في القرن الأول الميلادي، كان المكان الذي تقع فيه فوهة البركان، عبارة عن سهل منبسط لا يتجاوز عرضه ثلاثة أميال. وفي هذا السهل كان الجيش الروماني يحاصر المصارع سبارتاكوس وأتباعه.

وفي عام ٧٩ ميلادية، وقع انفجاره الهائل الذي دمر مدينتي «بومبي» و«هيركولانيوم» وكوّنت فوهته مخروطاً جديداً. ثم كونت فوهة اخرى صغيرة.

وظل البركان ساكنا حتى عام ١٨٢٢م عندما انفجر للمرة التالية. فانخفض ارتفاعه بحوالي ٤٠٠ قدم، وتكونت فوهة هائلة يبلغ محيطها ميلاً واحداً وعمقها حوالي ١٠٠٠ قدم.

وفي عام ١٨٤٣ تكونت من الفوهة الكبيرة، ثلاثة مخروطات صغيرة.

ومع انفجاري عامي ١٨٧٢ و١٩٠٦م تغير شكل البركان.

وفي عام ١٩٢٢ تكون مخروط جديد، ارتفاعه ٢٣٠ قدماً، من الفوهة القديمة.

على أن جميع البراكين النشطة تخضع أشكالها لمثل هذه

التغييرات... وعموماً، فكلما ازداد نشاط البركان وتكرر ثوراته، ازداد جسمه ارتفاعاً. وهذه هي الظاهرة التي نسميها «المخروطات البركانية» والتي يوجد آلاف منها في جزر هاواي.

ولقد قالت بعض الآراء بوجود علاقة توافق بين ارتفاع جسم البركان واتساع فوهته. الا اننا نستطيع ان ننفي صحة هذه الآراء تماماً..

دليل ذلك أن ارتفاع بركان «اوريزابا» (الخامد) بالمكسيك كان حوالي ١٨٢٥٠ قدماً، ومحيط فوهته ١٠٠٠ قدم، في حين يبلغ ارتفاع بركان «بوبوكاتبتل» حوالي ١٧٨٨٧ قدماً بينما يبلغ اتساع فوهته ضعف اتساع فوهة بركان «اوريزابا» أما بركان «هاليكالا» بجزر هاواي، فلا يزيد ارتفاعه عن عشرة آلاف قدم، في حين يبلغ اتساع محيط فوهته حوالي عشرين ميلاً.

أيضاً.. يبدو أنه لا توجد علاقة بين اتساع فوهة البركان، وبين الاحتمالات الانفجارية له.

بركان باريكوتين

إنفجر يوم ١٩٤٣/٢/٢٠، بعد زلزال رهيب، في مقاطعة ميتشوكان **بالمكسيك**، التي تبعد ١٨٠ ميلاً غربي مكسيكو سيتي. وعقب الزلزال ظهرت فوهة في حقل للقمح.. وعلى الفور بدأت تقذف الصخور والرمال وسيولاً من الحمم.. تلك الحمم التي تراكمت حول فوهة البركان وكان ارتفاعها يزداد بسرعة خيالية.

ذلك انه، في حدود سنة واحدة، كان ارتفاعه اكثر من ثلث ارتفاع بركان فيزوف، الذي يبلغ عمره عدة آلاف من السنين.

بركان كراكاتوا

ومن أهم مظاهره ذلك الغبار الذي انطلق منه عند انفجاره عام ١٨٨٣م.. فقد أظلمت السماء تماماً لمسافة تبعد ١٥٠ ميلاً عن موقعه، وتساقط بكميات هائلة على بعد ١٠٠٠ ميل منه.

أما في الأماكن القريبة من موقع الانفجار، فقد سبب الغبار نوعاً من الظلام لم تكن تخترقه إلا الأشعة الناتجة عن توهج الحمم المنصهرة..

ومع ارتفاع الغبار الى طبقات الجو العليا، كان يشكل عدة دوائر وحلقات تسبح في الفضاء.. مكونة أشكالاً بالغة السحر والجمال.. فمع تعرض تلك الحلقات الدخانية لأشعة الشمس - عند شروقها وغروبها - كانت تنعكس عنها عدة ألوان متداخلة وبأشكال بالغة الروعة والجمال وتظهر في كافة أرجاء العالم.

ومع انفجار بركان «تامبورا»، عام ١٨١٥، تساقط الغبار - بكميات هائلة - على جزيرة بورينو، التي تبعد عن مكان الانفجار بمسافة ٨٧٠ ميلاً.

كذلك قدر حجم الغبار الذى تساقط من بركان «كونسيجونيا» في نيكاراجوا بحوالي ٦٥٠٠ مليون ياردة مكعبة، كما تساقط على مسافة ثمانمائة ميل من مكان الانفجار.

أما الآثار الاخرى لبركان «**كراكاتوا**».. فقد سمع انفجاره على بعد ثلاثمائة ميل، كما اندفعت الامواج الهائجة بارتفاع **٥٠** قدما صوب الجزيرة، فخربت **٣٠٠** قرية، وقتلت **٣٥٠٠٠** نسمة.

البراكين المائية

هي تلك التي تنفجر تحت سطح البحر، وتعتبر من اكثر المشاهد الطبيعية سحرا وجمالا. ومن امثلتها براكين: «اتنا» و«سترومبولي» وقمة «تنيريف» وغيرها. ولذلك فلم يتسن حتى الان معرفة عددها أو أية معلومات تفصيلية عنها.

وهي تقذف بالحمم، غالبا، والغبار، وتهيج ماء البحر.. وقد تتراكم الحمم الناتجة عن هذه البراكين في طبقات بعضها فوق بعض فيتكون منها - آخر الامر - جزيرة تظهر فوق سطح المحيط. **وبهذه الطريقة تكونت السلسلة البركانية التي تتكون منها جزر هاداي.**

واحيانا تعبر البراكين المائية عن وجودها بطريقة اخرى. فقد يحدث - خلال انفجار احدها - ان تطير جزيرة في الهواء او تفرق اخرى في مياه المحيط.

ومن أمثلة هذه الجزر البركانية:-

(١) جزيرة جراهام

بعد انفجار بركاني، عام ١٨٣١، تحت مياه **البحر الأبيض المتوسط**، ظهرت جزيرة جديدة اسمها جزيرة «**جراهام**». وكان ظهورها مفاجئا في المنطقة بين **جزيرة صقلية وساحل افرقيا**.

وقد بلغ ارتفاعها مائتي قدم فوق سطح البحر، كما قدر اتساعها بحوالي ثلاثة كيلومترات. وحيث انها تكونت اصلا من مواد متفككة، فانها لم تستطع الصمود طويلا امام عنفوان البحر وجبروت أمواجه، فلم تمض عدة شهور قليلة، حتى تآكلت بفعل

الامواج، بحيث لم يبق منها غير ساحل ضحل يسمى «ساحل جراهام البحري».

والجدير بالذكر ان معظم الجزر الناتجة عن انفجار بركاني تحت الماء – بهذه المنطقة – سرعان ما تختفي بنفس السرعة التي تظهر بها.

(٢) الجزر الثلاث

في عام ١٧٩٦، وبعد انفجار بركاني تحت سطح بحر «بيرنج»، ظهر جسم أرضي جديد يبعد حوالي ٤٠ ميلاً غربي جزيرة «يونالاسكا» وسمي بجزيرة «**بوجوسلوف**».

وفي عام ١٨٨٣ وقع – بنفس المنطقة – انفجار بركاني آخر، فقذف الى السطح بمخروط بركاني من الرمال السوداء والرماد، عرف باسم جزيرة «**نيوبوجوسلوف**» أو «جزيرة النار».

وفي عام ١٩٠٦ ظهرت **جزيرة ثالثة** بجوار الاثنتين السابقتين، لكنها كانت اكبر منهما.

البحيرات البركانية

يحدث أن تمتلئ فوهة أحد البراكين الخامدة بالماء، وتصبح بحيرات تعتبر بمثابة مواقع سياحية بالدرجة الاولى، ومائية، وموارد لصيد الأسماك.

وأشهر البحيرات البركانية بحيرة «**كريتر**» التي أصبحت منتزهاً قومياً في جنوب غرب اوريجون، وهي تقع على ارتفاع ٦٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، كما أنها دائرية الشكل ومحاطة بجدران صخرية يتراوح ارتفاعها بين ٩٠٠ و٢٢٠٠ قدم، ويبلغ محيطها حوالي خمسة أميال.. كما أن عمقها يبلغ – في بعض الأماكن – ٢٠٠٠ قدماً.

الماء البركاني

إن الكميات الهائلة من البخار، الذي يتسرب من البراكين الصغيرة النشطة، يؤدي الى إضافة كميات كبيرة من المياه الى «المستودعات المائية الأرضية».

وتقول التقديرات ان كمية المياه الصادرة على هيئة بخار من انفجار واحد لبركان «مونت إتنا» قد بلغت حوالي ٦٠٠ مليون جالون، كما أن مخروطاً جانبياً بنفس هذه الفوهة قد أخرج حوالي ٤٦٠ مليون جالون في أيام مائة.

هذا، ويعتقد ان البخار الصادر من الفوهات البركانية يأتي جزء منه من المياه الجوفية التي كانت قد تسربت الى أعماق بعيدة في الأرض، ومن ثم ارتفعت درجة حرارتها الى ما فوق الدرجة المعتادة للحرارة، وأن جزءا منه يأتي من المياه التي كانت داخل الصخور لدى تكونها.

الكهوف البركانية

ويرتبط ظهورها بوجود حقول الحمم البركانية في كافة ارجاء العالم. كذلك يعزى توزيعها الى المناطق التي تجرب النشاط البركاني ماضيه أو حاضره، خصوصاً **منطقة الحزام البركاني الباسفيكي، الذي يربط الأنديز بغربي أمريكا الشمالية، وألاسكا ببراكين اليابان والبحار الجنوبية**.

ولقد كان الاهتمام باكتشاف الكهوف البركانية ضئيلاً حتى القرن الثامن عشر الميلادي، نظرا لما كان يشاع حولها من أساطير وخرافات.. لكن المهتمين بالمناجم، الذين يحركهم طموحهم بحثاً عن الذهب الخام، همّ الذين كانوا وراء اقتحام هذه المناطق والتنقيب فيها.

وكان الكتاب المبكرون يرجعون أصل تكون الكهوف البركانية الى ظاهرتي الزلازل والبراكين.

أما في منتصف القرن التاسع عشر – عصر التنوير – فقد بدأ الاهتمام بالظواهر البركانية الموجودة في اوروبا. ومع هذا الاهتمام، ركزت الأضواء حول دور المياه الجوفية في تكون فجوات في الصخور الكلسية ورواسب الكربونات، كسبب في تكوين هذه الكهوف.

بعض مشاهد الانفجار البركاني

(١) عامود الدخان

هو الذي يتصاعد من فوهة البركان لحظة انفجاره، منطلقاً – في اتجاه عمودي – الى ارتفاع شاهق.. حاملاً معه غازات وجزئيات جامدة.. متخذا شكل شجرة الصنوبر.

أما الجزئيات، فتكون مشحونة **بكهرباء إستاتيكية**، ومع صفقات الرعد الصادرة عن البركان، نشاهد ومضات ضوئية كما البرق. وقد يضاء عامود الدخان بفعل الحمم المتوهجة، والتي تبدو وكأنها مشتعلة.

(٢) الغازات

قلنا – من قبل – ان من بين الآراء التي تصدت لشرح كيفية انفجار البراكين، تلك التي تقول ان هناك غازات بكميات هائلة، محبوسة في باطن الارض.. وبفعل الضغط ودرجة الحرارة يكون لهذه الغازات دور أساس في دفع الحمم تجاه خارج الأرض.. على ان بخار الماء يشكل النسبة الغالبة بين الغازات البركانية.

إلا أن أحسن تحليل للغازات البركانية، هو ذلك الذي قام به «**توماس. أ. جاجار**» عام **١٩١٩** للغازات المنبعثة من أحد البراكين جزر هاواي. فقد قام بتحليل **١٤** عينة فكانت النسبة المئوية للغازات فيها هي:–

** **٧٠,٧٥**٪ ماء.

** **١٤,٠٧**٪ ثاني اكسيد الكربون.

** **٠,٤٠**٪ أول اكسيد الكربون.

** **٠,٣٣**٪ هيدروجين.

** **٥,٤٥**٪ نيتروجين.

** **٠,١٨**٪ أرجون.

** **٦,٤٠**٪ ثاني اكسيد الكبريت.

** **١,٩٢**٪ ثالث اكسيد الكبريت.

** **٠,١٠**٪ كبريت.

** **٠,٠٥**٪ كلورين.

(٣) الحمم

تعتبر الحمم – بطريقة أو بأخرى -- هي أهم ما يميز منتجات الانفجار البركاني. صحيح انه في بعض الانفجارات – مثل بركان «مونت بيليه عام **١٩٠٢**» – لم تخرج أية حمم على الاطلاق.. لكن القاعدة – على أي حال – هي أنه بعد أن يكف البركان عن زئيره، بإخراج البخار والغازات المرتفعة الحرارة – تبدأ الحمم في التدفق من الفوهة، أو تندفع في الهواء كنافورة من المعادن المنصهرة.

وتنصب الحمم، عادة، على حواف فوهة البركان أو على جوانبه. فاذا وجد عدد كبير من الفوهات بدا البركان وكأنه «يلفظ» الحمم من عدة مواقع.

وعند اندفاعها من الفوهات البركانية، تكون الحمم – احيانا – لزجة جدا الى الحد الذي يصعب معه تدفقها. وقد يكون ذلك ناتجا عن درجة حرارتها او بسبب قلة الغازات التي تحملها، عندئذ تتكوم على هيئة «**قباب**». وعلى سبيل المثال، ففي أحد البراكين يوجد ثلاث عشرة قبة من هذا النوع في منطقة تبلغ مساحتها **٥٠** ميلا مربعاً.

وهي – عند ظهورها مع بداية انفجار البركان – يكون لونها أبيض أو أحمر من شدة الحرارة.. لكنها تبرد ببطء شديد جداً.

وفي النهاية، وبعد ان يتكون سطح البركان ويبرد بالقدر الذي يسمح بالمشي عليه، فإن الجزء الداخلي للحمم يكون لا يزال أحمر من فعل الحرارة.. ومن أمثلة تلك الحالة:–

(أ) في عام **١٨٣٠**م كان البخار لا يزال متدفقا من حمم بركان «إتنا» بجزيرة صقلية بعد إنفجاره بـ **٤٣** سنة.

(ب) في بركان «جورولو» بالمكسيك، ظل بخار الحمم يتصاعد منه حتى عام **١٧٥٩**م، أي بعد ٨٧ سنة من انفجاره، ولا يزال عمودان من البخار يتصاعدان منه حتى الآن.

سلبيات .. وايجابيات

وبعد.. فقد كان كل ما قدمناه عن الزلازل والبراكين، يعتبر من باب الحديث المحسوب عليها.. لا المحسوب لصالحها.. وبمعنى آخر.. كان حديث السلبيات.. سلبيات الزلازل والبراكين.. وقوتها التفجيرية، والتدميرية، والغبار، والدخان، والزلازل والشقوق.. والموتى...

لكننا لا نريد ان نضع القلم قبل ان نكشف عن الوجه الآخر للعملة.. وأقصد به.. ايجابيات البراكين.. أو ما عسى ان يتحقق من ورائها من فوائد.. تلك الفوائد والمزايا التي يمكن عرضها في نقطتين هما:–

(أ) الإضافات البركانية الايجابية.

(ب) استغلال الطاقات البركانية..

(أ) الاضافات البركانية الإيجابية

لا نريد – كما قلنا – ان يكون كلامنا عن البراكين كله ظلماً لها.. فقد تم بفعل البراكين الانجازات الطبيعية التالية:–

** **بناء اجزاء شاسعة من الأرض مثل هضبة الدكن بالهند، وهضبة نهر كولومبيا** بالولايات المتحدة الأميركية، الى جانب ما تبنيه البراكين من جزر مثل: جزر اليوشن، وهاواي وأيسلندا.

** **ساعدت البراكين على إخصاب تربة بعض المناطق**، كما

حدث في جزيرة جاوة، التي استفادت مما جلبته اليها البراكين من تربة غنية بالبوتاسيوم.

** **تقوم صناعة الكبريت** في كل من امريكا الجنوبية ونيوزيلندا واليابان، على الغازات الكبريتية التي تتصاعد مع الغازات البركانية ثم تتحول الى مادة صلبة وتترسب في فوهات البراكين.

** **من منتجات البراكين** أيضاً.. القصدير والتنجستن، والذهب.. والألماس.

** عندما تتجمد الحمم العادية، فانها تتحول الى **بازلت، يستخدم في رصف الطرق وفي صناعة الأسمنت.**

(ب) الطاقات البركانية .. واستغلالها

بدأ الانسان في استغلال الطاقات الهائلة، الناتجة من الانفجارات البركانية، خصوصاً تلك التي تقع تحت سطح الماء.

في مدينة «توسكاني» **بإيطاليا**، استعمل الدخان الأسود الناتج من الفتحات الغائرة تحت سطح الأرض، في تشغيل المولدات الكهربائية. ومن هذا الدخان اكتشفت كميات من حامض البوريك وكربونات الألمونيوم وكربونات الصوديوم.

ومن يدري.. فربما جاء يوم استطعنا فيه انتاج طاقات هائلة من الطاقات البركانية الموجودة على سطح الكرة الأرضية.



حمم بركانية



عندما ينتشر وباء من الأوبئة الميكروبية الخطيرة، تبدأ الدول في اتخاذ عدد من الاحتياطات الصحية الشديدة، حتى تستطيع ان تحد من انتشار البلاء، وتنقذ ما يمكن انقاذه من براثن ذلك الوباء!

التطعيم .. ماهيته .. وأهميته

والكوليرا وباء من هذه الأوبئة الفتاكة، فاذا انتشرت بين الناس دون حرص أو رقابة، كانت اشد تدميراً فيهم من تدمير لأسلحة الفتاكة، ذلك ان الميكروب يمتلك سلاحاً بيولوجياً قاتلاً، ومع هذا، فان اجسامنا – بدورها – تمتلك «ترسانة» هائلة من أسلحة مضادة، ونحن نستطيع ان نستحثها – أي اجسامنا – على تجهيز سلاحها، لتقابل به العدو اذا ما جاءها غازياً.

بقلم : د. عبد المحسن صالح

التطعيم ضد الأوبئة... تعبئة "حربية" بيولوجية مثيرة!

والتطعيم هو احدى الوسائل الناجحة في التصدي لغزوات الميكروبات التي قد تصيب الانسان والحيوان بضربات مفجعة ومميتة.

فعندما تمتد الذراع لينساب فيها شيء من سائل به عكارة بيضاء خفيفة، عندما يحدث ذلك، فهذا يعني ان «**صفارات الانذار**» البيولوجية قد بدأت تنطلق داخل الأجسام الحية، وكأنما هي تحذر وتنادي «لقد اقتحم عدو من الأعداء خط دفاعنا الأول، فلتأخذوا حذركم، ولتجهزوا اسلحتكم، ولتستعدوا بصواريخكم، ولتعبئوا جيوشكم، لتقابلوا فيها العدو في معركة فاصلة من معارك الموت والحياة».

كأنما نحن نتعرض هنا لأحداث معركة حربية فيها جيوش وخطوط دفاعية وصواريخ مضادة وتعبئة عامة كالتي نسمع عنها في حروبنا الحديثة.

انها – في الواقع – كذلك، وان اختلفت الوسائل والتفاصيل بين معاركنا التي يبيد فيها الانسان اخاه الانسان، وبين معركة الحياة التي تجعلنا نخوضها انتصاراً للحياة على اعداء الحياة .. على الميكروبات!

فقطرة واحدة من طعم الكوليرا تحتوي على بلايين فوق بلايين من ميكروبات قتلها العلماء بوسائل خاصة، او ادبوها وهذبوها فأحسنوا تأديبها، وبهذا التأديب والتهذيب والاصلاح لا يمكن أن تحدث بالجسم ضرراً كما تفعل الميكروبات الحية الشرسة الضارية .. بل ان هذه الميكروبات الضعيفة الكائنة في هذا الطعم الحيوي، هي – في الحقيقة – بمثابة مناورة حربية تحدث في داخل الجسم، وكأنما توقظه، او كأنما تقول له «كتفاً سلاح»! .. فيعلن حالة الطوارئ او التعبئة التي تناسب عالمه البديع المليء بالأسرار والألغاز.

ان التطعيم يبدأ «**بذخيرة**» ميتة، او سلاح مبتور.. هو سلاح الميكروب الميت او المهذب، وينتهي في الجسم بانتاج ذخيرة حية، او سلاح مضاد ليدور في داخله مع تيارات الدم ليل نهار، وكأنما هذا السلاح بمثابة صواريخ مضادة يوجهها بكفاءة الى الاعداء الحقيقيين .. فاذا ما هاجمت الميكروبات التي تخشاها اجسامنا، وجدت السلاح مشهراً في وجهها، وبهذا تقع في الكمين الذي نصبناه له، وتنتهي المعركة في أغلب الأحيان لصالحنا. كل هذا يتوقف على عنصر المبادرة والاستعداد .. ايهما يبادر بالضربة، تكون له الغلبة .. طبق هذا ايضاً على الافراد والجماعات والشعوب، تخرج بنفس النتيجة!

والتطعيم بمثابة مبادرة محمودة، ليبادر الجسم بالاستعداد لمعركة ميكروبية، قبل ان يبادر بها الميكروب، فتكون الطامة الكبرى.

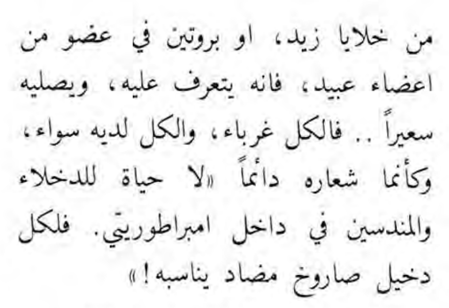
الجسم .. شبكة دفاعية

والواقع ان الجسم الحي يمتلك شبكة دفاعية هائلة تتضاءل أمامها شبكات الدفاع التي تسمع عنها هذه الأيام من اعظم الدول تقدماً في هذا المضمار .. اذ لا وجه للمقارنة بين ما صنعه الله فيك، وما صنعه العقل البشري ليحمي دولته من عدوان قد يقع عليها في عالم مليء بالعداوات .. فما ايسر على البشر ان يعرفوا سر الأسلحة التي صنعتها العقول، ليقوموا بصناعة أسلحة مضادة من كل الأنواع «والموديلات» .. لكن ما أصعب على العلماء ان يكشفوا عن اسرار تلك الميكانيكية الدفاعية العجيبة، التي يدوس الجسم فيها على «الزرار» ليجهز للمعركة أسلحة مضادة، ومن كل الأنواع «والموديلات» كذلك، ليستخدم فيها «صواريخ مضادة» من نوع جديد ومثير!

والواقع كذلك ان العلماء مازالوا في اسرار هذه **الحرب الكيميائية والبيولوجية** التي يجهزها الجسم حائرين، وفي تفاصيلها تائهون «**صنع الله الذي اتقن كل شيء**» .. انت مثلاً – في الظاهر – تتلقى التطعيم، وفي الباطن تجري احداث عظيمة لا دخل لك فيها، ولكن «ادارة المخابرات» الحية تتكفل بالأمر .. فهي التي تدرس الموقف،

وتتجسس على الدخيل، وتحصل من جسمه على الخطة التي تستخدمها في صناعة السلاح المضاد، وبالخطة تقيم «مصانع» كانت معطلة، لتنتج ذخيرة حربية، ولابد ان تكون الأسلحة مناسبة تماماً للهدف الذي يكمن على جسم الميكروب، وما اكثر الميكروبات التي تتعرض لها اجسامنا، وما اكثر الأهداف التي يدرسها الجسم على اجساد هذه الكائنات الصغيرة، حتى يصيبها في مقتل!

معنى هذا ان الأهداف التي تدرسها شبكة الدفاع في اجسامنا، تختلف في تفاصيلها واسرارها من ميكروب لميكروب .. فالأسلحة المضادة التي تضرب الهدف في **ميكروب الكوليرا**، لا تنفع في ضرب الاهداف الموجودة على جسم **ميكروب التيفود**، ولابد للجسم ان ينتج اسلحة مضادة تناسب الأهداف التيفودية. واسلحة جديدة تناسب **فيروس** شلل الاطفال، وأخرى تتوافق تماماً مع **الحصبة او الجدري او الدفتيريا**. وعلى مثل هذه الوتيرة نسير مع مئات الأنواع والسلالات الميكروبية التي تغير في «موديلاتها» وطرازات اهدافها، وعلى «ادارة المخابرات» في اجسامنا ان تكون على علم بكل ما يجري حولها في هذا العالم الغريب الذي يحوم حولنا ليل نهار، عله ينال من هذه القلعة الحية .. فاذا تهاونت، كان



الغزو والمرض، وقد يؤدي ذلك الى الموت، فاذا بالميكروبات تهجم على كل من يموت، لتنهش فيه، وتحوله الى غازات وعناصر وتراب .. وكما بدأ الجسم يعود، فمن الأرض خلق، واليها يعود، والميكروبات تقوم بالمهمة التي لا تنتهي أبداً.

* * *

ورب سائل يتساءل: ولكن التطعيم يحتوي على ميكروبات ميتة .. وهي بهذه الصفة لا حول لها ولا قوة .. فلماذا اذن يقوم الجسم بانتاج السلاح المضاد ؟

الواقع ان شبكة الدفاع لا تهتم كثيراً باموات ولا أحياء .. فلقد دخل الى الجسم شيء غريب، وهو لا يحب الغرباء، حتى ولو كانوا امواتاً!

ان اي مادة غريبة – سواء اكانت مركباً كيميائياً، أو جثة ميكروب، أو ميكروباً حياً، او خلايا من مخلوق آخر، او حتى عضو مزروع في الجسم – محظور عليها ان تتعايش مع الجسم تعايشاً سلمياً، فقد تأتي منها المصائب الكبرى، ولهذا نراه شديد الحذر، كثير الريبة، بكل ما هو كائن حوله وفيه، فهو يحفظ عن «ظهر قلب» كل ما في داخله من بروتينات ومركبات وخلايا، «ويتذكرها» جميعاً .. في جسم كل منا مثلاً ما يزيد على مائة ألف نوع من الجزيئات البروتينية العملاقة، فاذا دخل الى هذه الامبراطورية البروتينية اي بروتين غريب من أي كائن حي على ظهر هذه الأرض، سواء اكان هذا البروتين في ميكروب او في خلية من خلايا زيد، او بروتين في عضو من اعضاء عبيد، فانه يتعرف عليه، ويصليه سعيراً .. فالكل غرباء، والكل لديه سواء، وكأنما شعاره دائماً «لا حياة للدخلاء والمندسين في داخل امبراطوريتي. فلكل دخيل صاروخ مضاد يناسبه!»

وللجسم في هذا حق .. فلابد من الحرص، ومن لا يأخذ حرصه، فلا يلو من الا نفسه!

مما لا شك فيه اننا نتعرض دائماً لقائمة طويلة عريضة من الميكروبات، وقد تدخل هذه الميكروبات الى اجسامنا لتغزوها، فمنها ما يقاوم، ومنها ما ينهار كل ذلك راجع الى عوامل كثيرة .. منها مثلاً ان تكون الشبكة الدفاعية متيقظة حذرة، لتبادر الهجوم بهجوم مضاد .. فالمسألة مسألة وقت، ايهما يبادر ويقاوم، ينتصر ويتغلب في معركة الموت والحياة!

التطعيم .. خداع للجسم

ان عملية التطعيم ضد اي ميكروب من الميكروبات الضارية التي نخشاها ونحسب لها الف حساب وحساب انما هي **مناورة لنخدع بها الجسم**، ونوحي اليه بان هناك خطراً قد حل بكيانه، وبهذا نستحثه على اعلان التعبئة ضد هذا الميكروب او غيره، ليقوم





بتشغيل خط دفاعه الثالث، اعظم الخطوط الدفاعية واكثرها كفاءة وضراوة ضد الدخلاء، وهو الذي يعطينا المناعة لكي نتخطى بها الاخطار، ولكن هذا الخط الدفاعي الأخير مفعم بالكثير من الأسرار التي مازالت تحير العلماء حتى هذه الساعة .. وكل ما قيل فيه لا يخرج عن نظريات ومتاهات، وتبقى الحقيقة مدثرة بالسرية والغموض .. وكأنما نحن لا نعرف الا ظواهر الأمور، أما بواطنها فشيء آخر مختلف تماماً، بمعنى أننا لا نعرف كيف يتذكر الجسم كل بروتيناته ليفرق بينها وبين البروتينات الغريبة عليه، ولا ندرك كيف يدرس المواقع الحساسة في جسم الميكروبات، ولا الطريقة التي يكون بها السلاح المضاد ... الخ، كل ما نعرفه هو ظهور السلاح ليدور في الدم، بعد ان يحدث الغزو .. وحتى هذا السلاح لا نعرف كل تفاصيله بعد .. سر عظيم، «**فهل من مدكر** ؟»

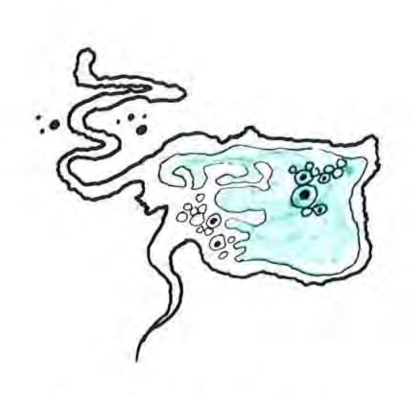
* * *

لكن ما هي طبيعة هذا السلاح الغريب، ومن اين ينشأ ؟

إنه سلاح بروتيني .. جزيئات بروتينية خاصة، تنتجها الاجسام الحية عند الطلب من اجزاء خاصة في جهاز يعرف **بالجهاز الليمفاوي**، الذي يتفرع في كل ارجاء الجسم كشبكة رائعة، وهي التي تحمل الميكروبات وتحتجزها في «الحجر الصحي»، لتجري دراسات على مستوى كبير من الكفاءة والتعقيد، إنه سلاح بروتيني .. جزيئات بروتينية خاصة، تنتجها الاجسام الحية عند الطلب من اجزاء خاصة في جهاز يعرف **بالجهاز الليمفاوي**، الذي يتفرع في كل ارجاء الجسم كشبكة رائعة، وهي التي تحمل الميكروبات وتحتجزها في «الحجر الصحي»، لتجري دراسات على مستوى كبير من الكفاءة والتعقيد، ولكن الموضوع طويل، وعلينا ان نعود الى هذه البروتينات – واذا شئت تسمية واقعية، فعلينا ان نطلق عليها اسم البروتينات الحربية .. وهي نوع خاص ينتجه الجسم، ليستخدمه كصواريخ مضادة للأهداف الغريبة .. او كما يطلق عليه العلماء بروتين «**جاما جلوبيولين**» او بروتين حرف ج.، نوع من أحد انواع ثلاثة هي أ، ب، ج، ونعود لنذكرك ان **في جسمك اكثر من مائة ألف نوع من البروتين .. ولكن «ج» هو المتخصص في الحرب .. حرب بروتينية كيميائية رائعة !**

وعندما تتجسس هيئة المخابرات في اجسامنا على الغرباء، كأنما هي تشتم فيهم «رائحة» خاصة، ولهذا يصدر الأمر الى خلايا أخرى اسمها «**البلازمابلاست**» او المصانع الحربية الخلوية، لتبدأ في تشغيل وحداتها على حسب الخطة المتفق عليها .. لأن لكل ميكروب مواقع حساسة، تختلف في طبيعتها من ميكروب الى ميكروب كما سبق ان ذكرنا..





ان الجسم لا ينتج هذا السلاح العجيب في التو واللحظة، ويا ليته فعل، ولكنه يحتاج الى وقت للدراسة والتخطيط، ثم تجهيز المصانع الخلوية، ليأتي الانتاج بعد ايام قليلة .. قد تكون ثلاثة أو أربعة أو خمسة .. الذي يبادر بالانتاج اسرع، يكسب الوقت والمعركة .. لكن انتاج الصواريخ البروتينية المضادة يبدأ بطيئاً، ثم يزداد شيئاً فشيئاً، حتى يصل تركيز هذه المعدات الحربية الى عدد مهول .. في السنتيمتر المكعب من الدم قد يكمن اكثر من ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ (اي مائة ألف مليون مليون) «صاروخ» او بروتين مضاد .. وهذه هي اعظم قوة ضاربة .. قوة «صاروخية» موجهة تتضاءل أمامها قوة الاعداء، ولو اعجبتك كثرتهم، لكن .. هل يمكن ان تظهر مثل هذه القوة الضاربة بالتطعيم ؟ .. وهل يعلن الجسم هذه التعبئة الهائلة لميكروبات ميتة ؟

ميكروب الكوليرا

يجدر بنا ان نتعرض باختصار لطبيعة اللقاحات الواقية .. ولنأخذ **ميكروب الكوليرا** كمثال، فهو مقوس قليلاً، كانسان أحنت الأيام ظهره .. يتراوح طوله ما بين جزء من الف من المليمتر الى اربعة اجزاء من ألف جزء من المليمتر .. عرضه (او قطره) يبلغ في المتوسط خمسة اجزاء من عشرة آلاف جزء من المليمتر، وله هدب طويل يستخدمه كمجداف يسبح به

ويجري..

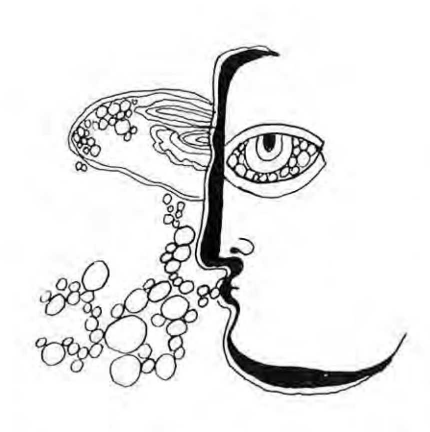
هناك موقعان او هدفان مناسبان للصواريخ البروتينية المضادة .. هدف على المجداف او الهدب، وآخر على الجسد .. الذي على الهدب اسمه الموقع «**هـ**»، والذي على الجسد اسمه الموقع «و»..

لو اننا قتلنا ميكروبات الكوليرا بالتسخين، فان الحرارة تنال من الموقع «**هـ**» وتهدمه، فتضيع معالمه، وهذا امر غير مرغوب فيه، فعلينا ان نحقن الميكروب دون ان تتهدم الأهداف، وبهذا تستطيع هيئة التجسس في اجسامنا ان تدرس الهدف بامانة، دون ان نتدخل نحن في تضليلها بما هدمنا..

صحيح ان الحرارة لا تؤثر على الموقع «و» الكامن على الجسد، وصحيح ان الجسم سيجهز صواريخ بروتينية خاصة لهذا الهدف .. ولكن من الأفضل ان نقدم للجسم الجثة كاملة، حتى يصنع ايضاً صاروخاً للهدب، فيشله عن الحركة، وكأنما قد قيدناه بقيود كيميائية تجعله كالكسيح .. وصاروخان لهدفين، أكفأ من صاروخ واحد لهدف واحد!

لهذا يلجأ العلماء لتحضير الجثث الميكروبية بطريقة غير التسخين، حتى لا تتشوه «الجثث» وتضيع الأهداف، فجاء حكم الاعدام بطريقة كيميائية .. انها اشبه بالحرب الكيميائية التي تقتل الناس، دون ان تشوه اجسامهم .. وكذلك يكون الحال مع الميكروبات التي نجهزها للتطعيم.

وكأنما الجسم يدرس «جثة» الميكروب الذي دخل اليه من خلال الحقنة، كما يدرس الطبيب الشرعي على منضدة التشريح جثة قتيل لمعرفة سر الوفاة .. الا أن اجسامنا – او بالتحديد تلك الخلايا المتخصصة في معرفة الأهداف الغريبة – لا يهمها الا شئ واحد ، إذ لابد أن تتعرف على المواقع الحساسة على جسد الميكروب



وهدبه .. لتجهز لكل موقع نوعاً من الصواريخ البروتينية المناسبة، فللهدف «هـ» صاروخ يختلف عن الهدف «و»!

الا ان ضراوة ميكروب الكوليرا تتركز في سمومه، ولكن هذه السموم لا تنطلق من جسمه الا اذا مات، وكأنما هو ينتقم لموته ويقول «عليّ وعلى اعدائي»!

هذه السموم هي التي تؤثر في الألياف العصبية المنتشرة في الامعاء اذا ما نجح الميكروب ودخل عن طريق طعام وشراب، فيحدث فيها مغصاً وتقلصات وقيئاً واسهالاً مستمراً .. اضف الى ذلك ان الميكروب يمتلك معاول او «فؤوس كيميائية» على هيئة خميرة او انزيم يهاجم به الاغشية المخاطية والانسجة السطحية المبطنة للامعاء، فيهدمها ويذيبها، فتفقد صمودها ووظيفتها، ويتبع ذلك ان يفقد الجسم كمية كبيرة من سوائله واملاحه التي تخرج على هيئة اسهال يشبه ماء الأرز، وهنا تكمن الخطورة على الحياة.

لا شك ان حقنة التطعيم تحتوي على بعض هذه السموم التي خرجت منه بعد موته، وهي تدخل ضمن المواد الغريبة التي تعمل لها الخطوط الدفاعية حساباً، وتقوم بدراستها، لتصنع لها بروتينيات مضادة نطلق عليها اسم «**مضادات السموم**»، ولكل سم من كل ميكروب بروتين مضاد «يصطاده» ويعادله!

معنى هذا أن لكل سلالة من سلالات الكوليرا صواريخ مضادة تناسبها .. صاروخاً للهدب، وصاروخاً للجسد، وصاروخاً لسمومه!

ولتبدأ «ترسانة» ضخمة من صانعات الصواريخ البروتينية في الانتاج، لتصبه في الدم، حتى يصل الى اعلى تركيز .. هذا رغم اننا قدمنا للجسم جثثاً ميكروبية في عملية التطعيم، ولكنه الحذر، ومبدأ المبادرة، والخوف من الاخطار .. كل هذا يدفعه دفعاً ليكون على أهبة الاستعداد، وبأكبر عدد من الذخيرة الموجهة لاهدافها، لتنتصر الحياة على هادمي الحياة، وهنا نقول: ان الجسم قد اكتسب مناعة!

مدى مناعة الجسم

ولكن الى أي مدى يبقى الجسم منيعاً ؟

الواقع ان الأمر يختلف من ميكروب الى ميكروب .. فقد تستمر هذه المناعة أسابيع أو شهوراً أو سنوات طويلة، وكأنما الجسم لا يريد ان يعتبر بدروس الماضي، فما ان يمر الوقت، حتى تتلاشى هذه الأسلحة الفتاكة تدريجاً، وكأنما الجسم قد نسى كل ما كان.

ومع ذلك «**فدرهم وقاية، خير من قنطار علاج**» .. والتطعيم هو خير وسيلة لعمل مناورة حربية دفاعية، ليكون مستعداً بسلاحه، ليتخطى به خطراً قد يكون آتياً في الطريق..

ان الميكانيكية الدفاعية في اجسامنا لمن اروع وادق ما عرفه العلماء في دراساتهم الطويلة، وهم يحاولون محاولات جبارة في فك الغاز هذه الأسلحة البروتينية، وكيفية تشغيلها .. ولكن كل هذا قد لا يهمك الآن بقدر ما يهمك ان تبدأ بمبادرة تطعيمية، ولتترك لجسمك الباقي، ليعلن التعبئة، ويجهز السلاح، ليقف به صامداً أمام هدام الحياة .. ونختم هذه الدراسة المختصرة بقول كريم .. «سنريهم آياتنا في الآفاق، وفي انفسهم، حتى يتبين لهم انه الحق».

«صدق الله العظيم»



ترجمها عن الفرنسية :
سعاد دركزنلي

«يبدو ان افضل الاحتياطات التي يحسن اتباعها للوقاية من الاصابة بالسرطان ترتكز على اتباع نظام غذائي سليم وعلى قواعد معينة في السلوك والتصرفات».

* * *

** السيدة (م) لا تقدم لافراد اسرتها الا أغذية طبيعية من نتاج الطبيعة وحدها اذ انها تعتقد اعتقادا جازما ان العوامل التي تحفظ الاطعمة في المعلبات وكذلك المبيدات الحشرية المستعملة في الزراعة. ان ذلك كله من اسباب الاصابة بالسرطان.

** أما السيدة (ي) التي تتبع بشكل دائم نظاما غذائيا خاليا من السكر فقد ثارت عندما ترامى اليها أن «**السكارين**» تسبب في اصابة بعض الحيوانات المخبرية **بسرطان المثانة**.

** والسيدة (س) تبتلع يوميا كمية من **الفيتامينات** أملا في أن تصبح في مأمن من الاصابة بالسرطان الذي يبدو انه وراثي في اسرتها.

هنالك رأي شائع بين الناس يتداولونه وهم عنه راضون يقضي بجعل النظام الغذائي مسؤولا عن كل الشرور التي يتعرضون لها ومن ضمنها السرطان.

فأنت ترى القلق يرتسم على الوجوه عندما تكتشف المخابر العلمية في أحد الاطعمة عنصرا او مادة ملوثة يعزى اليها السبب في اصابة الانسان او الحيوان بورم خبيث، وترى القلق ذاته يرتسم ايضا عندما يظن ان النقص في وجود بعض العناصر الغذائية في الاطعمة كالفيتامين (أ) او اليود او المواد الضرورية لعمل الاجسام الحية.. الخ يكون سببا في تسهيل الاصابة بالاورام السرطانية.

وفي حقيقة الامر لا تكمن في هذه الامور النقاط الرئيسية الهامة. **فالعلم يثبت من يوم الى آخر ان المسؤول عن الاصابات السرطانية ليس هذه العناصر صغيرة الشأن بل تلك التي تعتبر مصدرا رئيسيا من مصادر الغذاء.**

ملاحظات العلماء

وفيما يلي بعض الملاحظات التي اتفق العلماء المختصون عليها :—

* تبين نتيجة استقصاء دولي جرى على مرضى مصابين **بسرطان الكولون وسرطان المعي** المستقيم بأن هؤلاء المصابين كانوا يتناولون كميات كبرى من **اللحوم** تزيد على ما يتناوله غيرهم بشكل ملموس.

* وفي معظم البلاد التي يموت فيها بسبب الاصابة بسرطان الكولون **وسرطان الثدي** عدد قليل من الناس، يستهلك سكانها كميات قليلة من **الدهون الحيوانية**.

* **وفي اليابان** حيث اعتاد السكان على كميات قليلة من اللحوم وعلى عدم تناول شيئ من منتجات الالبان، فان الاصابات بسرطان الكولون وسرطان الثدي قليلة جدا.

الا ان هذه الاصابات بدأت تتكاثر لدى اليابانيين المقيمين في **الولايات المتحدة** بمقدار ما يتعودون على اتباع النظام الغذائي في هذا البلد. وبعد عدة اجيال ستكون نسبة الاصابة بينهم مماثلة لغيرهم من الامريكيين.

* **البدينون من الرجال والنساء معرضون اكثر من غيرهم للاصابة بسرطانات الثدي وغشاء الرحم والمرارة**. وقد أمكن الحصول على النتيجة ذاتها لدى **الفئران البدينة** في حين أن غيرها من الفئران التي حددت الاغذية المقدمة لها، وقننت السعرات الحرارية المعطاة لها كانت نسب تعرضها للاصابة قليلة جدا.

نصائح .. للوقاية

وقد أدت هذه الدراسات والأبحاث الى أن يقوم الأخصائيون بتوصية الناس لتغيير الانظمة الغذائية التي يتبعونها متذرعين في فائدة هذا التغيير للاقلال من مخاطر التعرض للسرطان والامراض القلبية.. وفيما يلي نصائحهم:-

* **اقللوا** من تناول لحم البقر ولحم الخروف الغنية بالدهون **واكثروا** من تناول الاسماك والطيور والدواجن.

* **كلوا اللحوم مشوية ولتكن قطع اللحوم هذه خالية من المواد الدهنية** ولا تنسوا ان ترموا بالدهون الذائبة الناتجة عن الشيئ لانها مؤذية.

* **احذروا من تناول الاطعمة المقلية** وفضلوا عليها ما تم نضجه في الفرن او المشويات او الاطعمة المسلوقة. لا تنسوا ان تنظفوا الشورباء وغيرها من الاطعمة المماثلة من طبقة الدهن الطافية على وجهها واياكم أن تأكلوها.

* تناولوا **الحليب والاجبان خالية من الدهن الحيواني والكريما**. استعملوا **المارغرين** بدلا من السمن الحيواني واستعملوا ايضا **الزيوت النباتية** ويفضل استعمال **زيت الذرة وزيت فول الصويا**. لا تتناولوا اسبوعيا اكثر من بيضتين او ثلاث بيضات.

* **اكثروا من تناول الخضروات والفاصولياء والحبوب الكاملة غير المنخولة واستعيضوا عن الحلويات بعد وجبات الطعام بتناول الفواكه**. وليكن نظامكم الغذائي غنيا بالمواد النباتية اذ بذلك تقل نسبة **الكولسترول** لديكم ويسهل عليكم عدم الاصابة بالسمنة وبالتالي الاحتفاظ بضغط دموي عادي ويحتمل كثيرا ان يقل تعرضكم للاصابة بالسرطان.

أسباب بعض الأمراض السرطانية

واذا ما تم نشر هذه المبادئ المتعلقة بالحمية والنظام الغذائي فانه من المتوقع ان يقل عدد الوفيات بسبب الامراض القلبية وسرطان المعي الغليظ (الكولون) وسرطان المعي المستقيم وسرطان الثدي. فما هي أسباب ذلك؟

اولا:- توحي الدراسات التي جرت على الحيوان والانسان ايضا بأن الجراثيم التي تعيش في الامعاء تحلل الدهون الحيوانية والكولسترول الى مواد لها طاقة كامنة قادرة على الاصابة بالسرطان. وتبقى هذه المواد في الامعاء على تماس مباشر بالأغشية المعائية لمدة طويلة وبتركيز كبير. ويحتمل ان تتحول هذه المواد بسبب فعاليات الجسم العضوية الى مواد شبيهة ببعض الهرمونات التي لا ينكر اثرها السرطاني على الانسجة الثديية للحيوانات.

وثانيا:- تحتوي الثمار والخضروات والحبوب على كميات كبرى من المواد **السلولوزية** التي تسمى أحيانا بالألياف وهذه المواد تزيد حجم محتوى الامعاء مما يسهل مرورها ويجنب ركود فضلات الطعام وتوقفها في المعي الغليظ مما ينشأ عنه تسمم ضار بالجسم.

وعلاوة على ذلك فان هذه الالياف او المواد السلولوزية تملأ المعدة بعد تناولها مما يسبب شعورا بالشبع يمتنع معه الانسان عن الاستمرار في تناول السعرات الحرورية التي لا يحتاج اليها الجسم وهذه وسيلة ممتازة لتجنب السمنة وبالتالي احتمال الاقلال من التعرض لمخاطر السرطان.

المشروبات الكحولية .. والسرطان

وقد اتضحت بشكل واضح العلاقة بين تناول **المشروبات الروحية** والاصابة ببعض انواع السرطان وبشكل خاص الاصابة **بسرطان البلعوم وسرطان الفم وسرطان الحلق وسرطان الحنجرة وسرطان الكبد**. ويتعرض الذين يكثرون من شرب المواد الكحولية اكثر من غيرهم للاصابة بسرطان البلعوم **واذا كان هؤلاء الاشخاص يكثرون من شرب الدخان بالاضافة الى الاكثار من تناول الكحول فان خطر وقوعهم في مخالب السرطان أمر محقق**.

ولا شك في ان التقيد بقواعد علم التغذية والحمية لا يكفي

السرطان

كيف نتجنب أخطاره؟



وحده لحماية الانسان من أخطار السرطان، ولم يثبت للعلماء حتى الان ما اذا كان تناول غذاء معين يشفي من السرطان شفاء تاما. ولكن العلماء استطاعوا ان يبينوا بوضوح الدور الوقائي والأثر الحسن للتغذية السليمة المنهجية وهذا الامر وحده جدير بأن يعيره الانسان الاهتمام والتفكير.

* * *

نصائح اضافية للوقاية من السرطان

أورد الدكتور **ارثور اوبتون مدير المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة الامريكية** ثماني **نصائح للوقاية من السرطان** انطلاقا من القاعدة «**الوقاية خير من العلاج**» يقول الدكتور اوبتون: -

١ — لا تدخن. ان عدم التدخين احتياط صحي وتحفظ سليم. **فالذي يكثر من التدخين (أي الذي يدخن علبتين من الدخان يوميا) يتعرض للصابة بالسرطان اكثر من الشخص الذي لا يدخن بنسبة عشرين الى ثلاثين مرة.**

٢ — **تجنب الامكنة التي تملأها رائحة الدخان** واذا كان لم يثبت للباحثين بشكل واضح ضرر دخان السجاير بالنسبة للجالسين مع المدخن فان الحس السليم يدفع المرء لتجنب شم هذا الدخان بقدر الامكان.

٣ — **تجنب استنشاق غازات الاحتراق التي تنفثها السيارات او المعامل**. ويعتقد أن غازات الاحتراق هذه تحتوي على مواد مسرطنة (أي تسبب السرطان) وسكان المدن الذين يستنشقون هواء فاسدا ملوثا تكون رئاتهم اكثر ميلا للسواد كما أنهم يكونون اكثر استعدادا للاصابة بالسرطان وبغيره من الامراض من اولئك الناس الذين يعيشون في مناطق غير ملوثة (في الريف مثلا).

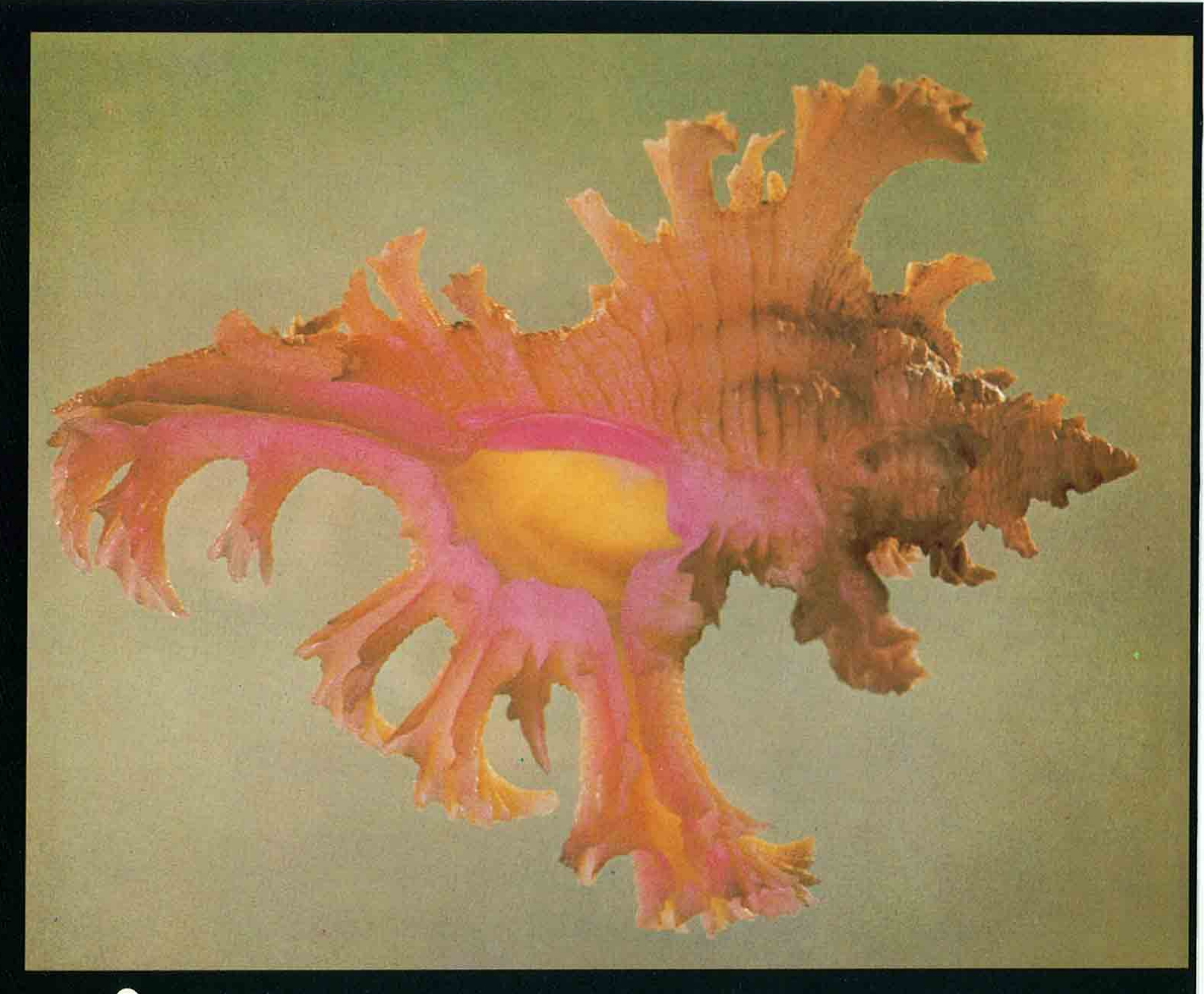
٤ — **لا تتصور بأشعة اكس** في كل مناسبة ولئن كان التصوير بالاشعة امراً هاماً جدا للتوصل الى تشخيص الامراض الا انه **لا يستحسن اللجوء الى التصوير بالاشعة بشكل دائم** لغرض التأكد من خلو الجسم من أي مرض وللحصول على راحة البال.

٥ — احذر من التعرض **لأشعة الشمس** فالمغالاة في **التعرض للأشعة فوق البنفسجية يزيد في أخطار الاصابة بسرطان الجلد**. ولهذا الامر أهمية خاصة بالنسبة لذوي البشرة البيضاء.

٦ — احذر من طول مدة تعرض الأيدي والانف للمواد المنظفة التي تستعمل عادة في المنازل وللمواد التي تزيل البقع ولتلك التي تستعمل في تخفيف الدهان وفي اضعاف حدة الألوان ويحتمل كثيرا ان يكون استنشاق المواد المركزة منها ضارا جدا بالصحة وبخاصة في الاماكن المغلقة التي لا تتعرض للتهوية.

٧ — لا تكثر من تناول الاطعمة المدخنة. **فالبنزويرين وغيره من المواد الكيماوية التي تتشكل اثناء عملية تعريض الاطعمة للدخان هذه المواد لها اثر مسرطن ضعيف حقا الا انها تعاون وتيسر ظهور سرطان المعدة**. فاليابانيون المشهورون بكثرة تناولهم الاسماك المدخنة ترتفع فيهم نسبة الاصابة بسرطان المعدة.

٨ — كن حذرا في استعمالك **المبيدات الحشرية** ومبيدات الفطور الطفيليات النباتية وما ماثلها من المواد الكيماوية التي تستعمل للعناية بالبساتين والمروج. واتبع تعليمات استعمالها بدقة زائدة. وكن يقظا عندما تستعمل هذه المواد او عندما تكون مخزونة لديك بحيث لا يتعرض اي انسان لاستنشاقها أو لابتلاعها أو أن تتلوث بها الاغذية او الماء او ألعاب الاطفال الملقاة في اركان الحديقة.

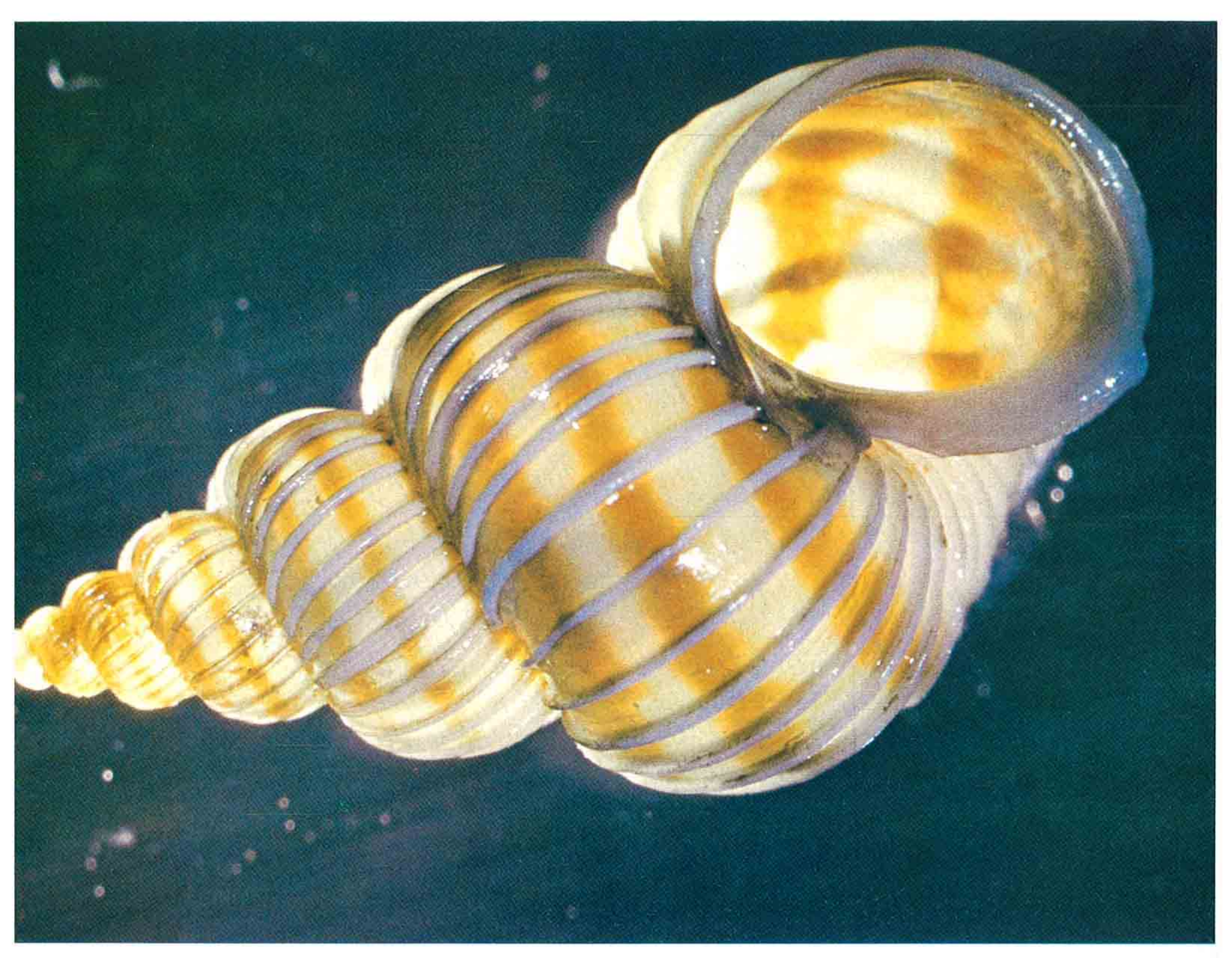


ودع البحرْ و صَدفه

في عقائد العرب.. ولغتهم وصناعاتهم وعاداتهم الشعبية

تداعب أنظارنا بين أحضان الطبيعة العذراء.. أشياء صغيرة، تتمتع - على بساطتها - بجاذبية خاصة، وفتنة وامضة، تخلب الحواس والألباب.

بقلم: ابراهيم محمد الفحام



ومن هذه الأشياء: **الزهور البرية العطرة، والفراشات الرشيقة، وودع البحر** الأملس، **وصدفه** اللامع البراق، الذي تطرحه الأمواج على رماله الذهبية، فلا نملك حين نلتقط حفنة منه، ونتأمله على أكفنا – بأحجامه وأشكاله وألوانه الشتى – إلا أن نهتف من أعماقنا مبهورين: سبحان المبدع العظيم.

وبفضل هذا التأثير المبهر، استأثر الودع والصدف بمكانة أسطورية سامية لدى الشعوب القديمة، التي تصورت أن من احشاء بعضه، ولدت ربات الحب والجمال – مثل (**افروديت**) – وأنه ينطوي لذلك على سر إلهي دفين، **كالقدرة على جلب الرزق، ودفع الشر، وكشف خبايا القدر**.

ومن أجل ذلك وجدت أنواع معينة من الودع الكبير، في بعض المعابد الوثنية القديمة، وعليها كتابات ونقوش مقدسة. كالودعات الكبيرة التي تحمل اسم **الفرعون المصري** المعبود (**سنوسرت الاول**) من ملوك الأسرة الثانية عشرة، والودعات التي كانت تستخدم أبواقاً لترديد النداءات الدينية في **معابد الهند**.

ويحمل بعض الودع الذي يتفاءل باقتنائه أبناء السواحل الأوربية، أسماء بعض الأنبياء والقديسين مثل (**سفينة نوح**)، (**سان جاك**) و(**برنار الراهب**) وتتضمن مأثوراتهم الشعبية البحرية، باقة من أروع الأساطير التي يتوارثون ترديدها، حول تعليل هذه الأسماء.

الودع في عقائد العرب

وكان للودع تلك المكانة أيضاً في نفوس أسلافنا من **العرب الأول**. فقد كان من عاداتهم في **الجاهلية** أن يعلقوه على **الأوثان** أو على بعضها، وعلى ستور **الكعبة** المباركة. وكانوا يطلقون عليها لذلك (**ذات الودع**) كما أطلقوا ذلك اللقب – للغرض نفسه – على سفينة نوح عليه السلام، وكانوا يحلفون بها إجلالاً وتعظيماً، فيقولون (**يميناً بذات الودع**).

وكان الودع يتخذ تمائم لاتقاء الحسد وقد نهى الحديث الشريف عن ذلك في قوله عليه الصلاة والسلام (من تعلّقَ وَدَعةً، فَلاَ وَدَعَ اللّه له).

وكان (يزيد بن ثروان) الذي اشتهر في مأثورات العرب باسم (هبنقة) يلقب بذي الودعات، لأنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف، مع طول لحيته، فلما سئل عن سبب ذلك قال (لأعرِف بها نفسي حتى لا أضل) فسرقها أخوه ذات ليلة وتقلدها فأصبح (هبنقة) ورآها في عنقه فقال له (أنت أنا فمن أنا؟) فضرب بحمقه المثل، وقالوا (أحمق من هبنقة).

قال الفرزدق يهجو جريراً:

فلو كان ذا الودع بن ثروان لالتوت
به كفّه، أعني يزيد الهبنقا

الودع والصدف في لغة الحرب

وتضم المعاجم العربية عدة أسماء تطلق على الودع والصدف عامة، وعلى أنواع خاصة منه.

وقد عرف (تاج العروس) الودع بأنه (خرز بيض تخرج من البحر، تتفاوت في الصغر والكبر) وذكر أن اسمه مشتق من (ودعته) بمعنى (تركته) لأن البحر ينضب عنه ويدعه على الشاطئ.

ومما قيل من الشعر في الودع، ما ذكره (السهيلي) في (الروض):

إن الرواة بلا فهم لما حفظوا
مثل الجمال، عليها يحمل الودع









لا الودع ينفعه حمل الجمال له
ولا الجمال بحمل الودع تنتفع

ومن التشبيه بالودع قول (ذي الرمة):

كأن أدمانها والشمس جانحة
ودع بأرجائها فض ومنظوم

ويقول (ابن قبئة):

ورأيت الدخان كالودع الأهجن
ينبـــاع من وراء الستر

والأهجن الأبيض، وينباع يتثنى ويتلوّى، والمقصود بالستر ستر البيت.

وعرّف (لسان العرب) الصّدف بأنه (المحار، واحدته صدفة) ونقل عن (الليث) أن (الصدف غشاء خلق في البحر، تضمه صدفتان مفروجتان عن لحم فيه روح، يسمى المحار، وفي مثله يكون اللؤلؤ) وعرّف المحار بأنه (دابّة في الصّدفتين) (وربما قالوا لها محارة بالدابّة والصّدفتين) والصّدف – لغة – كل شيء مرتفع عظيم) ويقال لجانبيّ الجبل اذا تحاذيا (الصدفتان) وقد شبّهت صدفتا المحارة بالجبلين المتقابلين.

وعرّف (الشهاب الخفاجي) المحارة في (شفاء الغليل) بأنها (صدف صغير).

ونقل قول (إبن السيّد) بأنها (الصدف حين يعرّى من اللحم) كما ذكر عن (صدر الافاضل) أنها من (أحار) بمعنى (ردّ) وأنها سميت كذلك (لأنها تردّ الآفات عن الدرّ) اي عن اللؤلؤالذي يحتويه الصدف.

ومعنى ذلك ان المحار قد يقصد به الحيوان الذى يحتويه الصدف فقط، كما قد يقصد به الصدف والحيوان الذي يحتويه معا.

وعلى وجه التشبيه أطلقت (المحارة) على تجويف الأذن، كما أطلقت على (الهودج) وفي ذلك يقول (الورّاق):

بات عيشي على المحارة عيشا منغصا

وذكر الرحالة (ابن جبير) المحارات بهذا المعنى، في معرض ذكره لمناسك الحج، فوصفها بأنها شبيهة بالشقادف جمع (شقدف) (ولكن الشقادف ابسط وأوسع، وهذه أضمّ وأضيق، وعليها ايضا ظلائل تقي حرّ الشمس).

ومن أنواع الودع (**الحلزون**) وقد عرّفه (**الدميري**) في (**حياة الحيوان**) بأنه (دودة في جوف انبوبة حجرية، توجد في سواحل البحار، وشطوط الانهار. وهذه – الدودة تخرج بنصف بدنها من جوف تلك الانبوبة الصدفية، وتمشي يمنة ويسرة، تطلب مادة تتغذى بها، فاذا أحسّت بلين ورطوبة انبسطت اليها، واذا أحسّت بخشونة او صلابة انقبضت في جوف الانبوبة الصدفية، حذارا من المؤذي لجسمها. واذا انسابت جرّت بيتّها معها).

وقد اطلقت (**القوقعة**) على بعض الانواع البحرية والبرية من الودع، وهي من اللاتينية CONCHA ومنها الاسبانية CUENCA وبالفرنسية COQUILLE و COQUILLAGE ووردت بالمعاجم اسماء اخرى لأنواع الودع والصدف، دون وصف دقيق يميز بينها مثل (**الجسم**)، (**القبقب**) و(**القنقن**) و(**الزبلع**) و(**الدلاّع**) و(**الدولع**) و(**السّلج**) و(**الدوك**) وذلك فضلا عن الاسماء الاخرى التّي وردت في بعض المؤلفات العلميّة والأدبيّة، والتّي سنذكر بعضها فيما بعد.

غذاء من المحار

ذكر (**الخوارزمي**) في (**مفاتيح العلوم**) – تعريفاً ببعض احياء البحر – الحلزون، والأربيان والصدف من حيوان البحر، يأكلها الملاحون والغوّاصون) والأربيان نوع من جراد البحر.

وفي **القاموس المحيط** (السّلج – كصرد – اصداف بحرية فيها شئ يؤكل).

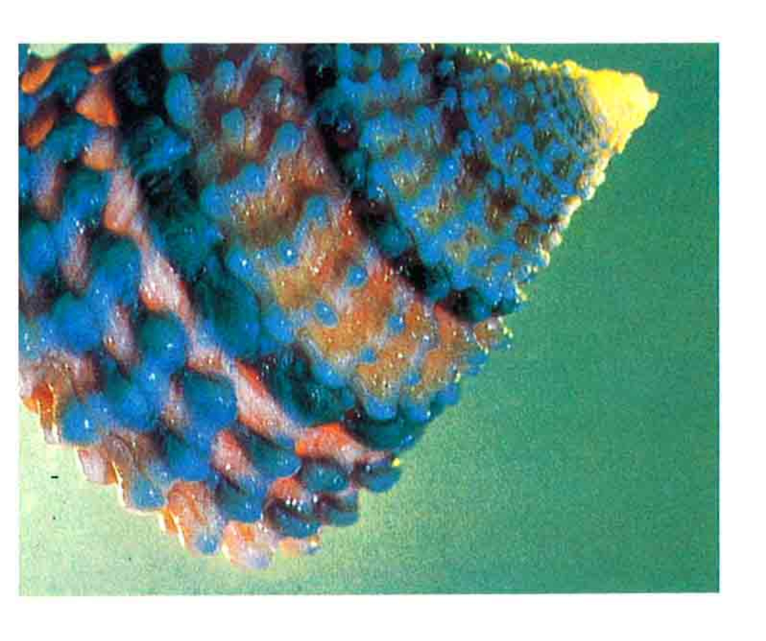
وقال (**ابن هشام اللخمي**) في كتابه (**لحن العامة**) يقصد عامة الاندلس –(يقولون لأصداف تكون في البحر فيها شئ يؤكل: مشل) وهي من الاسبانية MEJELLON .

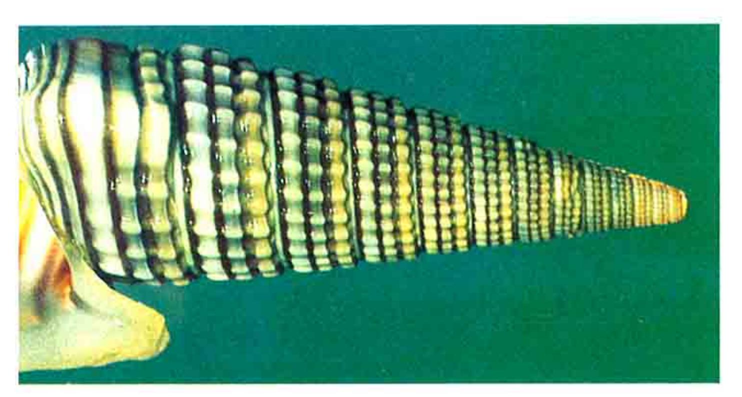
وذكر (**الجاحظ**) في كتابه (**الحيوان**) أن الملاحين يأكلون (**البلبل**) وهو (ما في جوف الصدفة). والبلبل غير (البلبلة) التّي عرّفها (تاج العروس) بأنها (خرزة سوداء في الصدفة).

وورد في كتاب (**الجامع لمفردات الادوية**) (**لابن البيطار**) ذكر (**الدنيلس**) وانه (اسم بالديار المصرية لنوع من الصدف صغير يؤكل نيئا مملوحا يتأدم به).

غير انه يبدو ان اكل لحوم الصدف – او المحار – كان مستهجنا في بعض البلدان العربيّة، اذ يذكر (الدّميري) ان اهل الشام يعيبون على أهل مصر أكل (الدّنيلس) كما أن أهل مصر يعيبون عليهم أكل السرطان البحري.

وذكر (الدّميري) في حكم أكل لحم (الحلزون) (وحكمه







التحريم لاستخبائه، وقال الرافعي في السرطان إنه يحرم لما فيه من الضرر، ولأنه داخل في عموم تحريم الصدف).

بينما قال في لحم (الدنيلس) (وحكمه حلّ الأكل، لأنه من







طعام البحر، ولا يعيش الا فيه، ولم يأت على تحريمه دليل على ذلك، كذا أفتى به الشيخ (**شمس الدين بن عدلان**) وعلماء عصره وغيرهم. وما نقل عن الشيخ (**عز الدين بن عبد السلام**) من الافتاء بتحريم أكله، لم يصحّ فقد، نص (**الشافعي**) على أن حيوان البحر الذى لا يعيش الا فيه، يؤكل لعموم الآية، ولقوله ﷺ: هو الطهور ماؤه الحلّ ميتته. بينما قال الشيخ (**عماد الدين**

الاقفهس) في كتابه (**التبين، فيما يحل ويحرّم من الحيوان**) (ينبغي القطع بتحريم الدنيلس، لأنه من انواع الصدف، مستخبث كالسلحفاة والحلزون).

ومن ذلك يتضح ان اكل المحار وان كان معروفا عند العرب، الا أنه كان من مأكولاتهم المستهجنة، المحصورة في نطاق محدود.

التداوي بالودع والصدف

برع ابناء الشواطئ العربية – كغيرهم من أبناء الشواطئ الاخرى – منذ اقدم العصور – في استنباط الادوية من حيوان البحر ونباته.

وقد أفاد الطب العربي القديم من تجاربهم المأثورة في ذلك المجال، فسجلها علماؤهم ضمن مؤلفاتهم النفيسة، التي تحوي الكثير من المعلومات الشيقة التي تهم الباحثين في تراثنا العلمي والشعبي، على السواء.

فقد جاء في (القاموس المحيط) عن (الحلزون) أنه (دويبة رمثية لحمها جيد للحصوة) ويقصد برمثية أنها توجد في (الرمث) وهو خشب يضم بعضه الى بعض ويركب عليه في البحر.

وذكر (جبريل بن يختبشوع) في منافع (الدنيلس) انه (ينفع من رطوبة المعدة والاستقساء).

وذكر (**ابن البيطار**) ضمن مفرداته بعض الخواص الطبية لأنواع معينة من الودع والصدف ومن ذلك استخدام نوع من الصدف يسمى (**فورفورا**) بعد احراقه، في علاج القروح الخبيثة والمتعفنة. وأما لحمه ولحم صدف آخر يسمى الطنيلس فهو جيد للمعدة ومرق الصنف من ذوات الصدف التي يقال لها (ختمى) وسائر اصناف ذوات الصدف الصغار تسهل البطن اذا طبخت مع شيء يسير من ماء).

(وصدفة «**الفرفير**» اذا طبخ وأدهن به امسك الشعر المتساقط، وانبته، واذا شرب بخلّ اذبل الاورام في الطحال).

(و«**الفوحلياس**» وهو نوع من «الحلزون» اذا احرق مع جثته، وخلط مع رماد عفص أخضر، وفلفل ابيض، منع من القروح الحادثة في الامعاء).

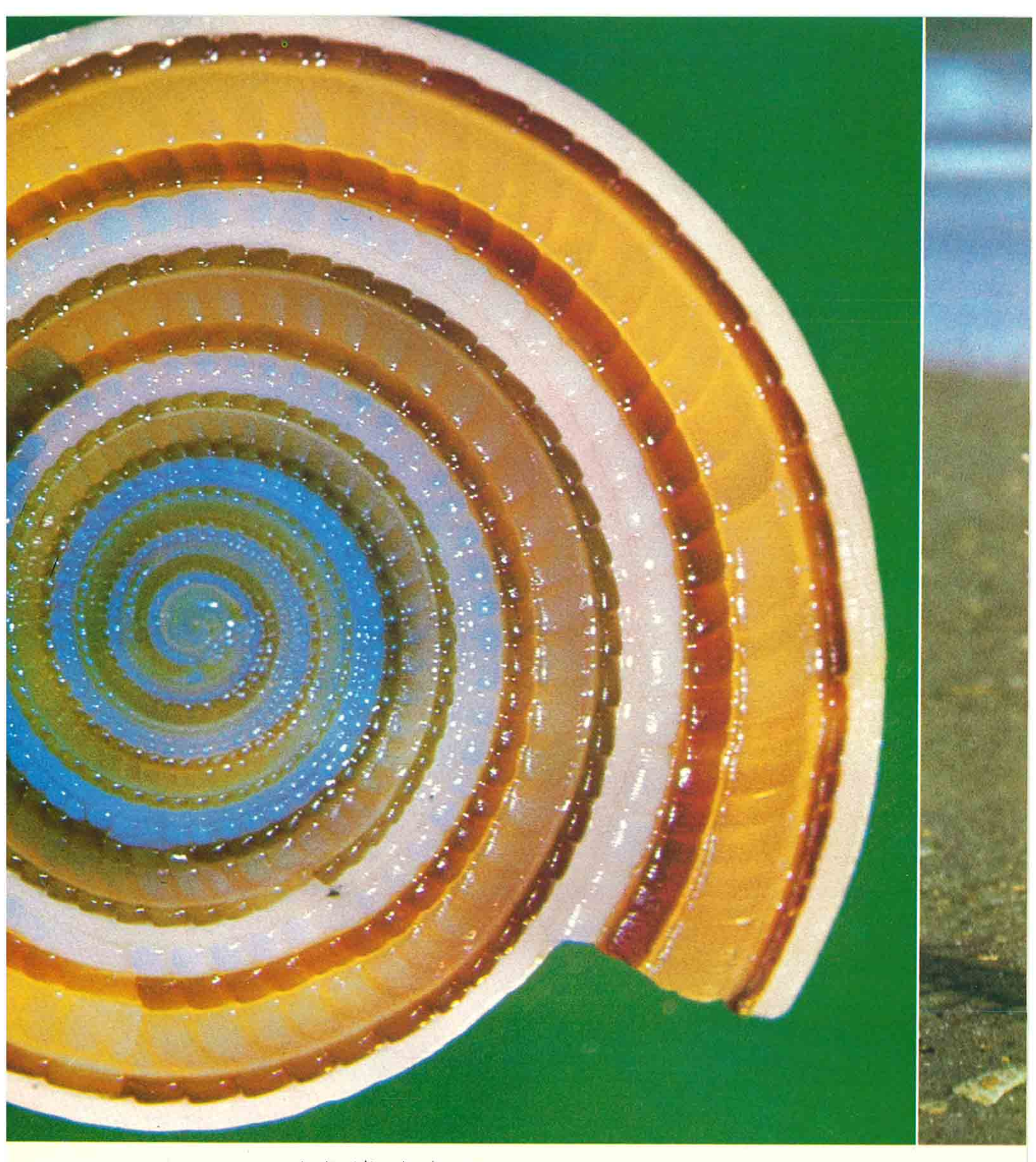
وذكر من **المنافع الطبية للودع** عموما انه اذا احرق (تتولد فيه حرارة ويبوسة) وأنه يستخدم لذلك في (جلاء البهق والقوابي، وجلاء البياض من العين، وجلاء البصر)، و(اذا دقّ لحمه ناعما واستعمل، نشّف الرطوبات الحادثة في الاعضاء المترهلة).

كما تحدث عن نوع يطلق عليه (صدف البواسير) لأنه يستخدم



في علاج هذا المرض.

وذكر (**القزويني**) في كتابه (**عجائب المخلوقات**) – في معرض حديثه عن الفوائد الطبية للصدف – أنه (ينفع وجع النقرس والمفاصل ضمادا، واذا سحق بالخل قطع الرعاف، ولحمه ينفع



من عضة الكلب ومحرقه يجلو الاسنان استياكا. وفي الأكحال ينفع من قروح العين واذا طلي به موضع الشعر الزائد في الجفن بعد نتفه منع نباته، وينفع من حرق النار).

وذكر (**ابن سيناء**) ان طلاء الجبهة بالحلزون - يقصد لحمه -(يمنع انصباب المواد الى العين).

وسواء أكان من الممكن اثبات الأساس العلمي لهذه الوصفات الطبية القديمة، أم تعذر ذلك فحسبنا ان تصلح _ لو أحسن جمعها وتصنيفها - مادة سخية للدراسات الخاصة بالفولكلور



البحري، الذي يحظى باهتمام متزايد من الباحثين المتخصصين.

حلي ونقود من الودع والصدف

والى جانب استخدام الودع والصدف **كمصدر للغذاء والدواء**، فقد استخدم كذلك في **صنع بعض الحلى**، كالقلائد والأساور والأقراط والخلاخيل، وكان من أحسن تلك الحلى ما صنع من ودع (**الشنك**) الكبير الحجم، الذي يقدّسه **الهنود**، والذي كان يسمى لذلك (**سوار الهند**).

كما استخدم الودع – في الوقت نفسه – **كوسيلة للتعامل النقدي** في بعض السواحل والجزائر الجنوبية، مثل جزائر



(**الدبيجات**) التي كانت تحكمها احدى الملكات. فقد ذكر (المقريزي) في كتابه (مروج الذهب):

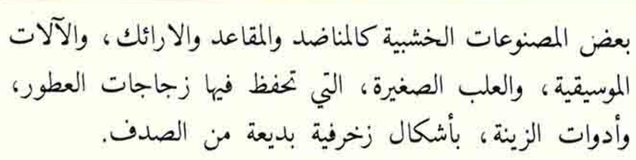
(بيوت أموال هذه الملكة الودع، وذلك ان هذا الودع فيه نوع من الحيوان، واذا قل مالها، أمرت أهل هذه الجزائر أن يقطعوا من سعف نخل النار جيلا بخوصة، ويطرحونه على وجه الساحل فتحرق الشمس ما فيه من الحيوان، ويبقى الودع خاليا مما كان فيه فتملأ من ذلك بيوت الأموال).

ترصيع المصنوعات الخشبية بالصدف

وقد ازدهر في بعض المدن العربية فن رقيق، يقوم على ترصيع





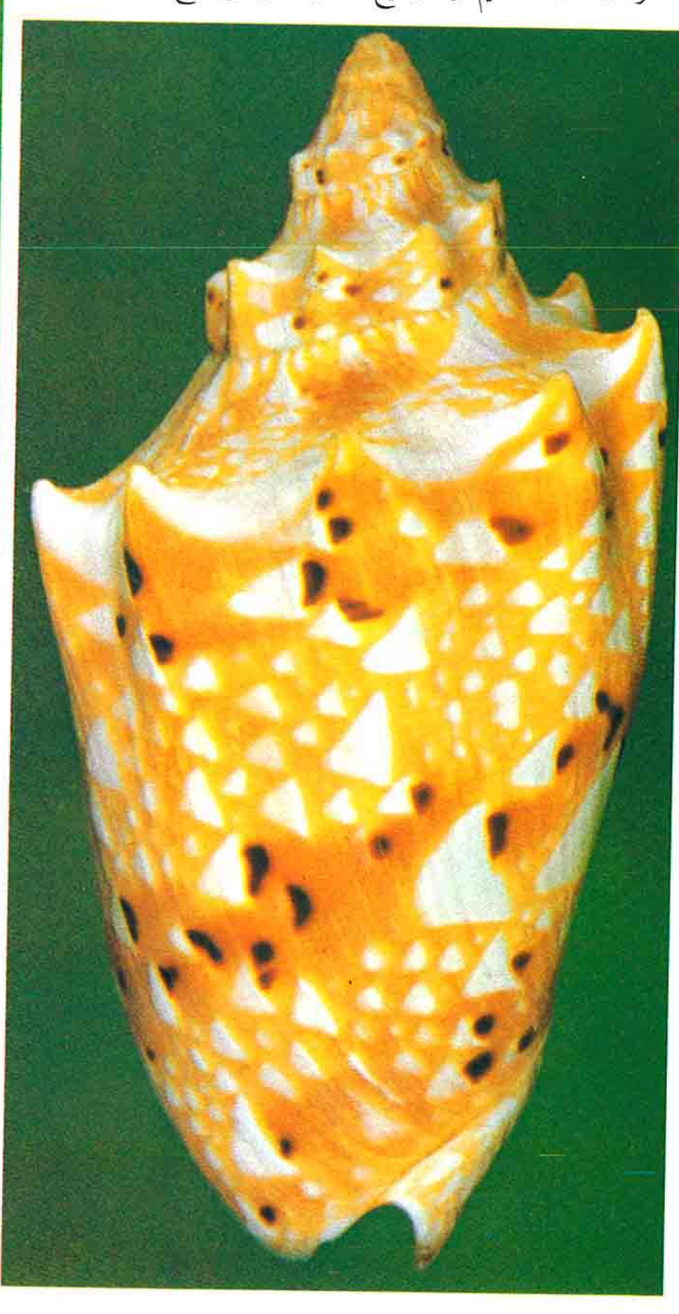


بعض المصنوعات الخشبية كالمناضد والمقاعد والارائك ، والآلات الموسيقية ، والعلب الصغيرة ، التي تحفظ فيها زجاجات العطور ، وأدوات الزينة ، بأشكال زخرفية بديعة من الصدف.

وقد أشار (**الوشاء**) الى بعض المجالات التي استخدم فيها ذلك الفن، في كتابه (**الظرف والظرفاء**) حيث يقول (اتخذ بعض اهل الظرف للمساويك - جمع مسواك - طسوتا لطافا، وأباريق من الشبه الخفاف، وكراسي الأبنوس المصدّفة، والخيزران المشبكة والاحقاق المخروطة).

وكان الصناع المهرة المتخصصون في ذلك الفن الدقيق يسمون (الصدفيين) أو (المطعمين) أو (الرصاعين) أي (المرصعين).

وكان ذلك التطعيم او الترصيع، لا يقتصر على قطع الصدف،



بل يشمل كذلك قطعا من العاج والعظم والابنوس، وخشب الورد.

وتضم المتاحف الاسلامية نماذج بديعة، من المصنوعات

الخشبية الدقيقة، التي احكم ترصيعها بالصدف.

مادة عطرية من بعض الودع

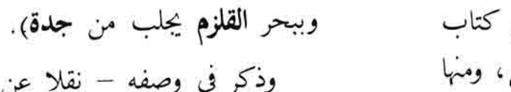
وكان يتخذ من غطاء ودع معين من الطيب يدعى (**الأظفار**) أو (أظفار الطيب) اشتهر برائحته الذكية.





ونقل (ابن البيطار) عن (ابن رضوان) (وجدت في كتاب الطيب أن أنواع الاظفار كثيرة، منها ما يكون في بحر **اليمن**، ومنها ما يكون في بحر **البصرة**، ومنها ما يكون **بالبحرين**، وهو اجودها، وببحر **القلزم** يجلب من **جدة**).

وذكر في وصفه – نقلا عن (**ديسقوريدس**) – أنه (غطاء صنف من ذوات الصدف وهو اشبه بصدف الفرفير).



وكانوا يقولون (ظفر فلان ثوبه تظفيرا) اي طيبه بالاظفار، وهو اسم مفرد جمعه (أظافير) وإن كان **السودانيون** يسمونه اليوم (الظفر) او (ظفر العفريت).

وقد ذكر الأظفار في الحديث الشريف، اذ أباح النبي استعمال نبذة منه للخاتنة - أي التي تختن الصبية - عند الطهر (راجع صحيح البخاري - طبعة الحلبي جـ ٣ ص ١٨٩).

وذكر (القزويني) الودعة التي تستخرج منها تلك المادة العطرية في كتابه (**عجائب المخلوقات**) باسم (عطار) ووصفها بأنها (صنف من الدواب الصدفية، يوجد ببلاد الهند في الحياة القائمة، المنبتة للناردين، ويوجد بأرض **بابل** ايضا، وهو من أعجب الحيوانات، له بيت صدفي يخرج منه، وجلده أرقّ شيئ، وله رأس وأذن وعينان وفم، فاذا دخل في بيته يحسبه الانسان صدفة، واذا خرج منه ينساب على الارض، ويجر بيته معه، فاذا جفت المياه في الصيف تجمع، ورائحته عطرية لأن هذا الحيوان يرتعي الناردين) و(**الناردين**) نوع من نبات السنبل الطيب الرائحة.

وورد ذكر (**الأظفار**) في (**التوراة**) خروج ٣٠ : ٣٤)والآية هي (وقال الرب لموسى خذ لك اعطارا ميعة وأظفارا وقنة عطرة ولبنا نقيا) ويقول علماء التوراة ان الاظفار هو غطاء الحلزون البحري المسمى STROMBUS ومن عدة أنواع منه.

وذكر الفريق (**أمين المعلوف**) في كتابه (**معجم الحيوان**) أنواعا أخرى من الودع، وكان يستخرج منها أظفار الطيب وهي : **الدولع والدلاع والسرنباق**، التي تكثر في البحار المحيطة بجزيرة العرب.

أوعية وعلب من الصدف لتحضير العطور وحفظها

وكان صانعو العطور، يستخدمون بعض الاحجام الكبيرة من الصدف لصلابتها، ونعومة باطنها كأوعية لسحق أنواع الطيب، وتحليلها، ومزجها، وفقا للمعايير المقدّرة.

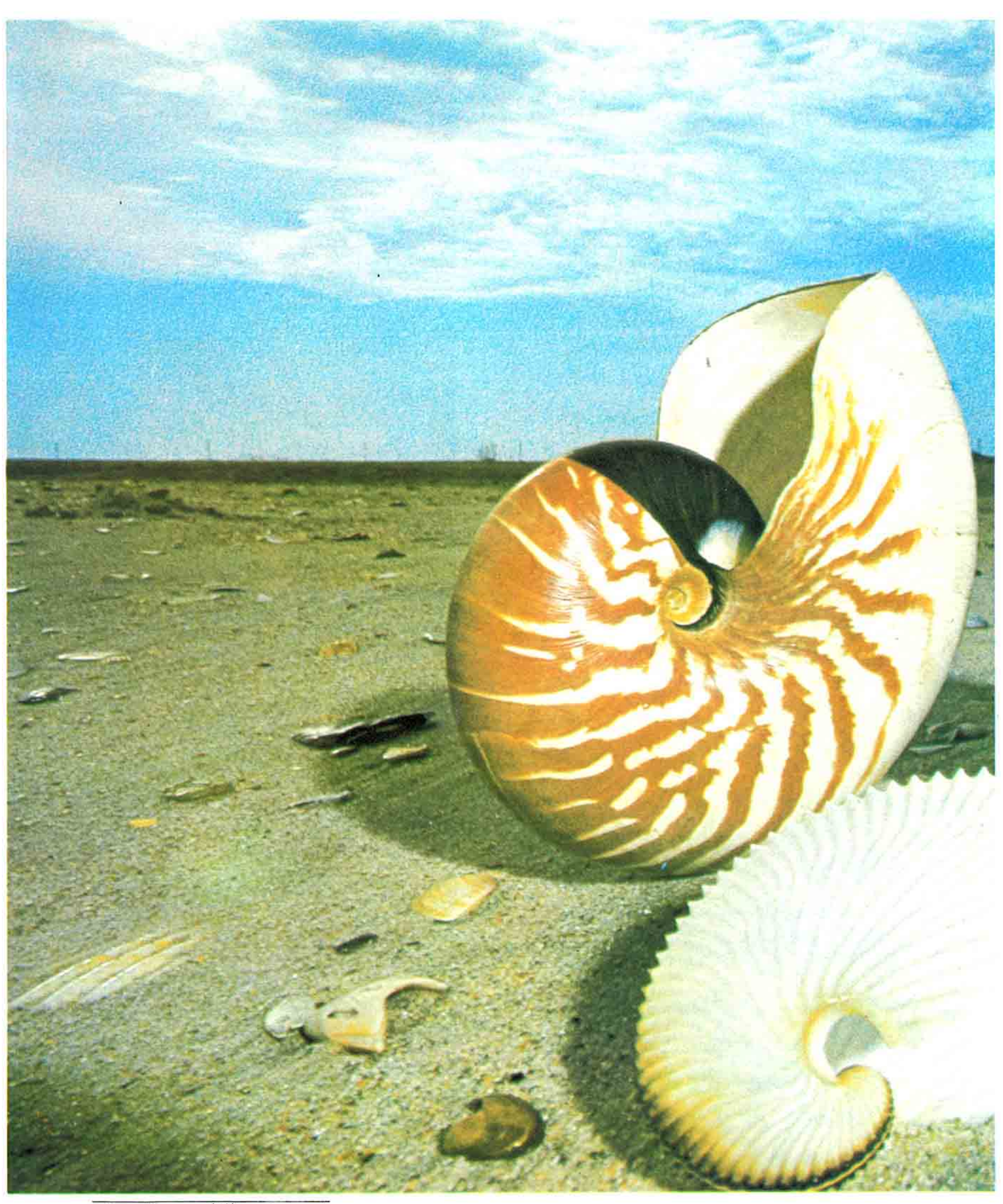
وكانت الصدفة التي تستخدم في ذلك الغرض تسمى (الدوك) وهي كلمة تطلق في الأصل على الحجر الصلب الأملس، الذي يدق عليه العطر او الحنظل. وفي ذلك يقول **الأعشى**:

وزوراً ترى في مرفقيه تجانفاً
نبيلاً كدوك الصيدنانيّ دامكاً

و(التجانف) هو (الميل) ومنه (رجل أجنف) أي في أحد شقيه ميل عن الآخر. والملاحظ ان احد طرفي الصدفة، يبدو مائلا عن الطرف الآخر و(الصيدنانيّ) هو (العطار) وأما (الدامك) فهو



وقال (الصاغاني) في (التكملة) ان (الأظفار شيئ من العطر أسود، كأنه ظفر مقتلف من أصله، يجعل في الدخنة) والدخنة نوع من البخور.



(الأملس).

واستخدمت الصدفة – بشقيها معا – كعلبة أنيقة لتعبئة المواد العطرية وحفظها، وقد ذكر **البستاني** في (**محيط المحيط**) تعريفا لما يسمى (**الشند**) بأنه (نوع من العطر يؤتى به من الحجاز داخل أصداف).

استخراج اللؤلؤ من الصدف

وكان اللؤلؤ – أو الدر – من أهم ما يستخرج من الصدف، وقد نسج الخيال العربي – في محاولته لتعليل تكونه فيه – بعض التصورات الممتعة، التي تعد من قبيل الفلكلورالبحري وممّا رواه (الأبشيهي) منها في كتابه(المستطرف)ان حيوان الصدف (يصعد من البحر على ساحله وقت المطر، ويفتح اذنه ويلتقط بها قطرات المطر ويضمها، ويرجع الى البحر، فينزل الى قراره، ولا يزال قابضا

أذنه على ما فيها، خوفا أن يختلط بها أجزاء البحر، حتى ينضج ما فيها ويصير درا).

وذكر أن حجم الدر يتوقف على حجم قطرات الماء التي يلتقطها الصدف.

ولم يقتصر الخيال العربي على تصور وسيلة تكون الدر في الصدف، بل ذكر (الأبشيهي) وغيره من تصوراتهم عن خواصه أنه (يفرح القلب، ويحسن الوجه، ويصفي دم القلب) ثم يضيف اليه فائدة طبية فيقول (واذا خلط مع الكحل شدّ عصب العين).

وقد روى (**بزرك بن شهريار**) في كتابه (**عجائب بحر الهند**) عن (**أبي زيد السيرافي**) قصة عجيبة عن لؤلؤة عثر عليها أعرابي على شاطئ **عمان**، في جوف صدفة كبيرة، أطبقت على شفتي ثعلب فقتلته، وباعها الأعرابي الى عطّار بمال وفير، فلما سئل عن مصدرها قال: (مررت بعمان وهي في أرض البحرين بينها وبين الساحل مديدة قريبة، فرأيت في الرمل ثعلبا ميتا، على فيه شيئ قد أطبق عليه، فنزلت فوجدت شيئا كمثل الطبق يلمع جوفه بياضا، ووجدت هذه المدحرجة فيه - يقصد اللؤلؤة - فأخذتها).

فعلم أن السبب في ذلك -كما يقول الرّاوي- (خروج الصدفة الى الساحل تستنشق الريح - وذلك من عادة الصدف - فمرّ بها الثعلب، فلما عاين اللحمة في جوفها وهي فاتحة فاها، وثب بسرعة فأدخل فاه في الصدفة، وقبض على اللحمة فأطبقت الصدفة على فيه، ومن شأنها اذا أطبقت على شيئ وأحست بيد تلمسها، لم تفتح فاها بحيلة حتى تشق من آخرها بالحديد، ضنا منها باللؤلؤة وصيانة لها كصيانة المرأة لولدها، فلما أخذت بنفس الثعلب، أمعن في العدو، يضرب بها الأرض يمينا وشمالا، الى أن أخذت بنفسه فمات وماتت).

صبغة من الصدف

ومن صدف (الفرفير) كانوا يستخرجون نوعا من الصبغة بين **الحمرة والزرقة** وفيها يقول (ابن البيطار) في مفرداته (وهي شيئ يظهر على صدف الفرفير، ويجمعه الصباغون ويجففونه، وأجوده ما كان كحليّ اللون) أي أقرب الى الزرقة.

وكان يطلق على ذلك الصدف ايضا (**أنديقون**) وهي كلمة يونانية الاصل معناها (الهندي).

وما زال هذا النوع من الصدف، مصدرا من مصادر صبغة حمراء، مشبعة بالزرقة، ويقال للونها (فرفيري) وهي من اليونانية PORPHURA ثم من اللاتينية PORPURA ومنه الفرنسية POURPRE

وقد وردت تلك الكلمة في(القاموس المحيط) الذي لم يحدد اللون الذي تعنيه، بل اكتفى بأن قال (**الفرفير - كجرجير - نوع من الالوان**) بينما ذكر (**الشهاب الخفاجي**) في (**شفاء الغليل**) أن (الفرفير باللغة الرومية، هو لون يقرب من الكحلي الا أنه اشبع).

خيوط ونسيج من بعض الصدف

وكانوا يحصلون من نوع من الصدف على خيوط دقيقة يصنع منها نسيج فاخر، وتسمى (صوف البحر) وكان ذلك النوع من الصدف يكثر الى حد ما عند شواطئ **أفريقية الشمالية**، وخاصة عند **القيروان وسفاقس**، وبعض **جزائر البحر الابيض المتوسط**.

ووصف ابن البيطار الصدفة التي تفرز تلك الخيوط بأنها (صدفة كبيرة، على قدر يد الانسان، أعلاها عريض، وطرفها دقيق، الى الطول ما هو، كأنه فم طائر، ظاهرها خشن، فيه زوائد طويلة ناتئة منها دقاق، منها ما يكون في غلظ أقلام الكتاب، فارغة الداخل، ولون الصدفة كلون صدفة اللؤلؤ، وداخلها لونه أصفر مليح المنظر، الى الحمرة ما هو، وفي داخل الصدفة حيوان مؤلف من أشياء تشبه الاعصاب والكبد الابيض والاسود، كنبات اللوبيا، قائم غير معوج المصير، وفي الطرف من المصير مما يلي الطرف الحاد من الصدفة، يكون الصوف المعروف، خلقة عجيبة للخلاق العليم سبحانه وتعالى).

وقد وجد ذلك النوع من الصدف ايضا في الشواطئ الاوربية، وكان يطلق على الخيوط التي يفرزها (**حرير البحر**).

وكان **اليونانيون والرومان** يجمعون تلك الخيوط وينسجونها، ويصنعون منها أثمن وأجمل أنواع الثياب، ويقال ان عمامة القائد اليوناني (**أرخيطاس**) كانت مصنوعة منها، كما ذكر المؤرخ البيزنطي (**روكوبياس**) أن الامبراطور (**يوستبنانوس**) أهدى الى حاكم أرمينية حلة منسوجة من تلك الخيوط.

وقد أشير الى خيوط النسج البحري في كتابات عربية عديدة مثل (**نخبة الدهر**) **للدمشقي**، و(**نهاية الأرب**) **للنويري**، وغيرهما، وذكرت في بعضها بأسماء مختلفة مثل (**قطن البحر**) و(**خزّ الماء**) و(**صوف السمك**) ونسب مصدرها أحيانا الى أحياء بحرية أخرى.

وكان بعض **الأمراء الأمويين بالأندلس**، يرتدون ثيابا فاخرة من صوف البحر، يتجاوز ثمن الواحد منها ألف دينار، وذكر (**ابن عزازي**) في (**البيان المغرب**) أن أحدهم وزع على أصحابه في احدى رحلاته واحدا وعشرين ثوبا من تلك الثياب.



اللغة المالطية

لهجة عربية كتبت بحروف لاتينية

بقلم : احسان جعفر

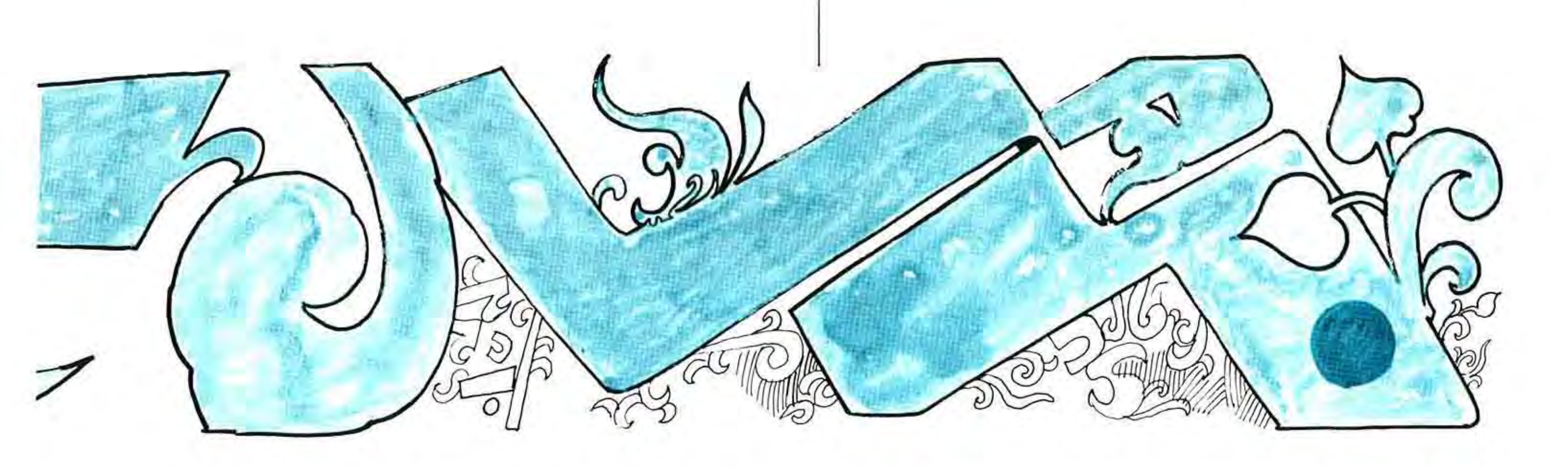
تخاطب سكان جزيرة مالطة والجزر الملحقة بها غودش وكومينو وكومينوتو.. في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى بلغات عديدة لعل من أشهرها الفينيقية والبونية (القرطاجية)، وآخر لغة سامية انتقلت اليها كانت اللغة العربية متمثلة في لهجة من اللهجات العامية المغربية السائدة في شمال افريقيا، وذلك عندما استولى عليها صاحب افريقيا (تونس) ابو الغرانيق محمد بن الأغلب سنة ٢٥٥هـ.

ومما يشعر بانتشار اللغة العربية وآدابها في **مالطة** لعهد الأغالبة ما نجده في تضاعيف بعض المصادر العربية وما حكاه المؤرخون ومن ذلك أن ملك مالطة العربي صنع له بعض مهندسي بلده تمثال جارية يتعرف بها أوقات الصلاة، وكانت ترمي ببنادق على الصنج **«قصاع الابنوس»**.

غير انه في أواخر القرن الخامس الهجري (١٠٧٢ — ١٠٩١م) نجح **روجر النورماندي** في الاستيلاء على مالطة بعد ان انتزع **صقلية** من العرب المسلمين، **لكن النورمنديين لم يحاربوا اللغة العربية التي بقيت لفترة طويلة حية.**

لذلك يرى بعض علماء اللغات **أن اللغة المالطية مشتقة من لهجة عوام المغرب العربية**، بينما يرى آخرون انها تمت بصلة وشيجة الى اللغة البونية، وممن قال بهذا الرأي **«ويليام ولككس»** الذي نشر عام **١٩٢٦** كتابا بالانكليزية جعل عنوانه «سورية ومصر وشمال افريقيا ومالطة تتكلم البونية لا العربية» (؟) **غير أن اسرائيل ولفنستون في كتابه «تاريخ اللغات السامية» يؤكد على أصلها العربي.**

وقد احيطت هذه اللغة بظروف تختلف كل الاختلاف عن الظروف التي احاطت بسائر اللهجات العربية الأخرى فسلكت في تطورها طريقاً يختلف كل الاختلاف عن طريق اخواتها،



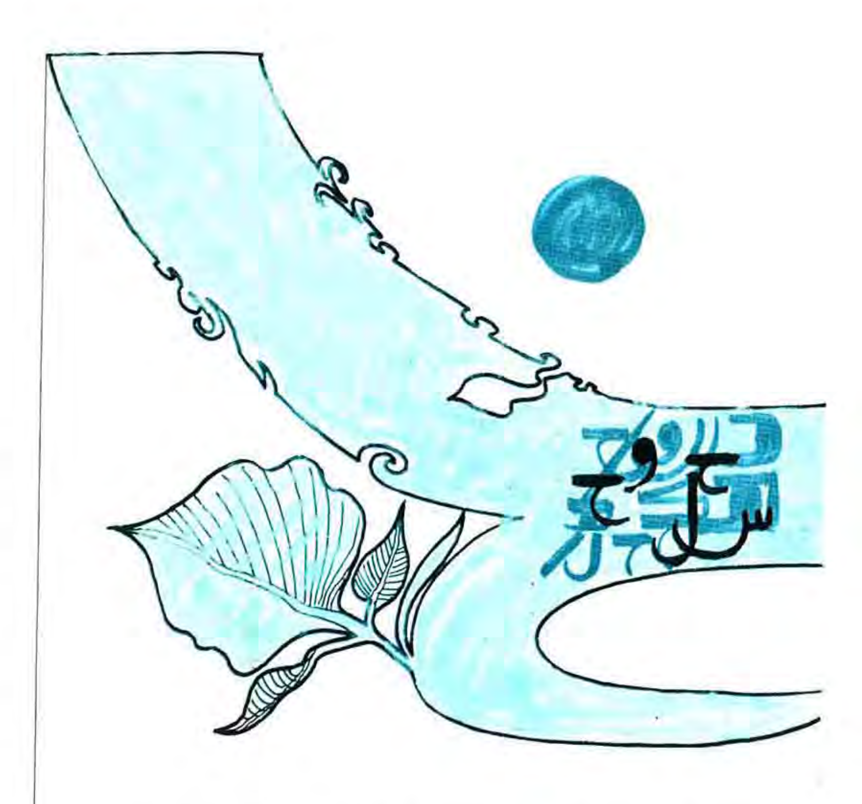
ويرجع سبب ذلك الى انعزالها عن الوطن العربي وانتشارها في قطر مسيحي وكثرة احتكاكها **باللغة الايطالية** المجاورة لها وخضوع مالطة لحكم **الانكليز**، ولا قرآن يرجعون بها اليه ولا معاجم يصححون الفاظها عليه، فأصبحت مشوهة بما دخل عليها من التحريف والتبديل، وتأثرت بالعديد من اللغات الأوروبية **كالفرنسية والألمانية** فضلا عن الايطالية، فانتقلت اليها مفردات كثيرة من هذه اللغات، فأصبحت خليطاً بنسبة التسعة أعشار من ألفاظها من العربية والعشر الباقي من اللغة الايطالية وعلى الأخص **اللهجة الصقلية** وباقي اللغات المذكورة، فتألف من مجموع ذلك برج بابل حقيقي من اللغات حتى أن الكلمة الواحدة تتألف احيانا من اصلين أحدهما عربي والآخر مستعار من اللغات الاوروبية ومن ذلك على سبيل المثال كلمة «ليبرانا» أي نجنا وخلصنا فهي مؤلفة من الفعل الفرنسي LIBERER بمعنى حرر أو خلص، والضمير العربي لجماعة المتكلمين «نا».

ولا تزال اللغة المالطية على الرغم من ذلك تحتفظ بكثير من خصائص اللهجات المغربية كإمالة الألف المتوسطة في معظم الكلمات، غير أن **أحمد فارس الشدياق** يرى في الفصل الذي تحدث فيه عن لغة مالطة في كتابه «**الواسطة في أحوال مالطة**» أن في المالطية عبارات عربية دينية تمت بصلة الى لهجة المشارقة مما لا يفهمه أهل المغرب.

وأهل مالطة يلفظون الغين أينما وقعت عينا والخاء حاء، والفلاحون منهم يلفظون القاف همزة ويشمون الألف في نحو قال وباع الضمة، وينطقون بالضاد دالا وبالطاء تاء، ولا يلفظون العين اذا كانت متطرفة اصلا فيقولون «تلا» أي طلع و «سما» أي سمع، ويقال انهم كانوا في القديم يلفظون الثاء على حقها، وينطقون بالجيم نطق أهل سورية ولبنان الا في قولهم «جدي» فانهم يلفظونها بجيم قاهرية، وهم يزيدون الشين بعد النفي كما في العامية المصرية، ويكسرون حرف المضارعة، ويجعلون الظرف خبراً مقدماً والنكرة مبتدأ مؤخراً، وأداة التعريف عندهم مكسورة والضمير غير ظاهر، فانهم يلفظون به كالواو..

أما كتابتهم فبالحرف اللاتيني، وقد تم لهم ذلك في القرن التاسع عشر، **وتذكر بعض المصادر انهم بقوا يكتبون بحروف عربية كوفية حتى سنة ١١٧٣م**، وقد ادخلوا على الحروف اللاتينية التي يصطنعونها اصطلاحات مخصوصة لتصوير بعض المقاطع، الا أن هجاءهم يختلف كثيرا عن الهجاء العربي، فربما ضموا كلمتين في هجاء واحد وربما قسموا الكلمة الى هجائين تبعا لما يقتضيه اللفظ دون التركيب مما يدل على أن أصل الكلمات قد ضاع عندهم بالمرة، ويختلف ترتيب الحروف عندهم عما يدل عليه في العربية، فالحرف الثاني عندهم بعد الألف هو العين.

وأهل مالطة شديدو التمسك بلغتهم التي يطلقون عليها «**مالطن**»، لا يسمحون باهمالها ولا يرضون باستبدالها وينص دستورهم على كونها لغة البلاد الرسمية جنباً الى جنب مع الانكليزية التي ورثوها منذ زمن الاحتلال، وقد وضعوا لها مؤخرا



قواعد ومعجمات حديثة، وهم يطبعون بها الكتب والصحف والمجلات وتدون بها الرسائل وتستخدم في جميع الاغراض التي تستخدم فيها لغات الكتابة، ومن اوائل الصحف التي اصدروها وتحمل أسماء عربية محضة «**الصليب**» و«**النحلة**» و«**الحمار**»..

ومن المالطيين من ينظم «الشعر» بلغتهم، ويقال له بلغتهم «**التقبيل**» ومن ذلك قول أحدهم :–

يـن حنينـــا ساير نسافر
ساير نسافر مانا حدكش معي
مـور وهيـــا بـــالسلامـــة
الله يظمك في المحبة تيعي

قوله ين بمعنى انا وحنينا بمعنى حبيب، منادى محذوف اداة النداء، ومن قواعدهم أن المنادى اذا كان عظيما أو مهما يدخلون عليه أداة النداء من الايطالية فيقولون (أومولاي) واذا كان عادياً ادخلوا عليه النداء من العربية فيقولون (يا تفاح؟ يا عنب؟)، وقوله ساير نسافر هو بمثابة قول العامة في سورية ومصر (رايح أسافر) والنون في نسافر علامة المفرد المتكلم لا الجمع فانه (نسافرو)، وهي لغة أهل المغرب، والشين في (ناحدكش) لازمة عندهم بعد النفي والاستفهام كما في الدارجة، و(ميعي) أصلها معي. و(مور) فعل أمر من مار أي ذهب وهو في اللغة، و(هيا) اسم فعل بمعنى اقبل، و(يظمك) أي يضمك، و(تيعي) محرفة من متاع، وأهل المغرب يدخلونها في الاضافة كثيراً.

وفيما يلي بعض العبارات التي تدل على القربى بين العربية والمالطية، ففي احدى الصحف المالطية نشر الاعلان الذي نقتطف منه الجمل التالية بعد كتابتها بحروف عربية «في ستّرادا رويال نمبر ٣٢ في بيركركارا انفتحت سكول جديدة تات تفصيل كبار رجال واناث، داس كل اللي يريدوا يتعلموا يفصلوا...» وتحرير المعنى «في الشارع الملكي رقم ٣٢ في بيركركارا (اسم مدينة) افتتحت مدرسة جديدة للتفصيل للرجال والاناث، فاذا كل الذين.. الخ..»

ويقول المالطيون «الساعة ثمانية دكوارتو واسي تسمعوا الانفرماسيوني» وترجمتها العربية «الساعة الثامنة، والآن تسمعون الأخبار»، ويلفظ المالطيون كلمة «اسي» أي الآن كما يلفظها اهالي الجنوب في لبنان.

والمتأمل فيما آلت اليه اللغة المالطية التي انعزلت عن بقية اخواتها اللهجات العربية، وكتبت بالحروف اللاتينية يرى أي خطر يتهدد اللغة العربية فيما اذا سايرنا «دعاة التيسير» الذين تارة يدعون الى اقتباس الحروف اللاتينية وتارة اخرى يدعون الى اسقاط الاعراب واصلاح الاملاء.. الخ..

ومما قاله أحد المستشرقين بهذا الصدد «ان كتبت اللغة العربية بالحروف اللاتينية صارت كاللغة المالطية بعد جيلين».

من مصادر البحث

انتشار الخط العربي – عبد الفتاح عبادة

تاريخ اللغات السامية – اسرائيل ولفنستون.

تاريخ الصحافة العربية – فليب طرزي

الرحلات – محمد الخضر حسين

من حاضر اللغة العربية – سعيد الافغاني

فقه اللغة – علي عبد الواحد وافي

الواسطة في احوال مالطة – احمد فارس الشدياق.

قصة قصيرة



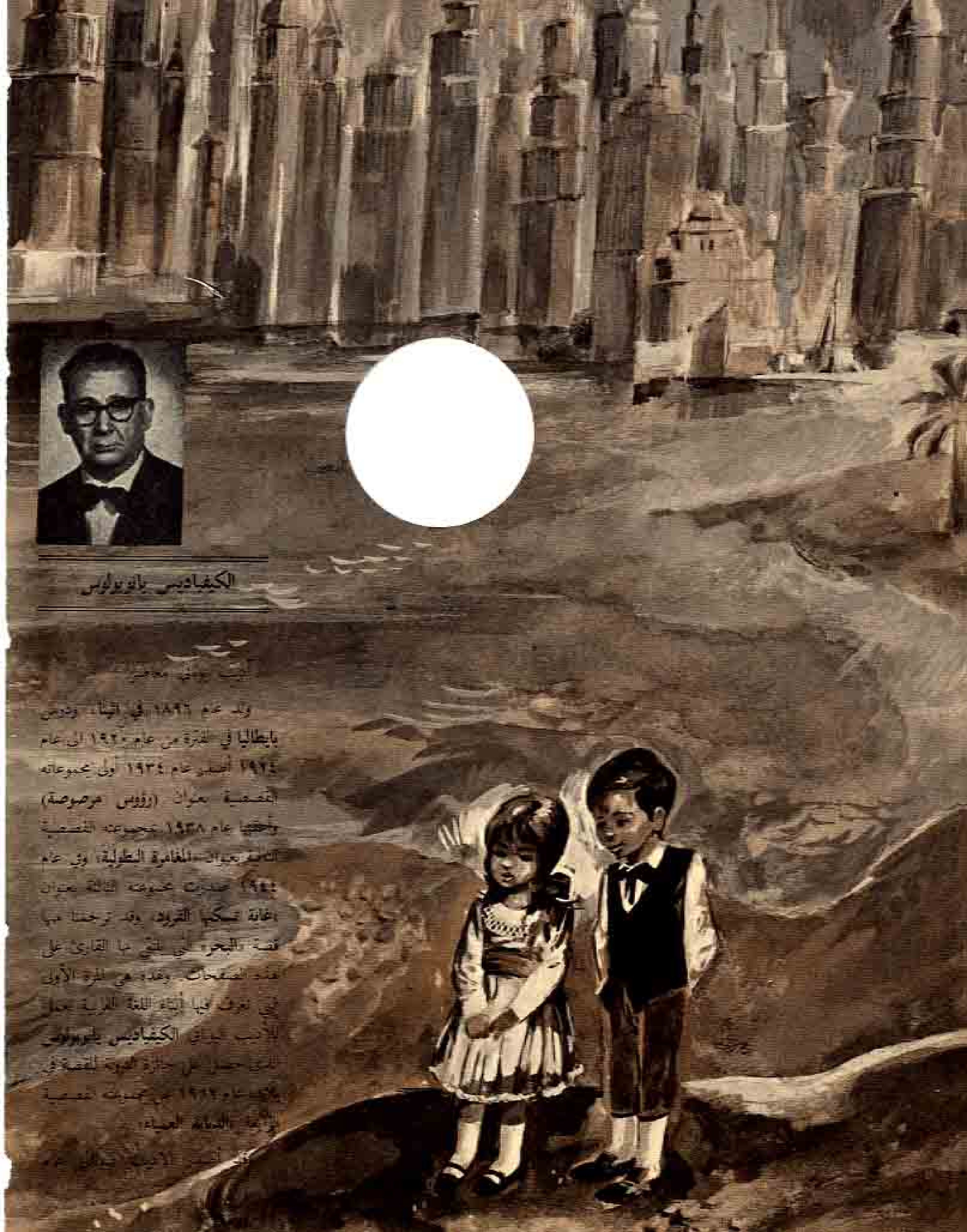
للكاتب اليوناني المعاصر:

الكيفياديس يانوبولوس

ترجمها عن اليونانية:

د. نعيم عطية



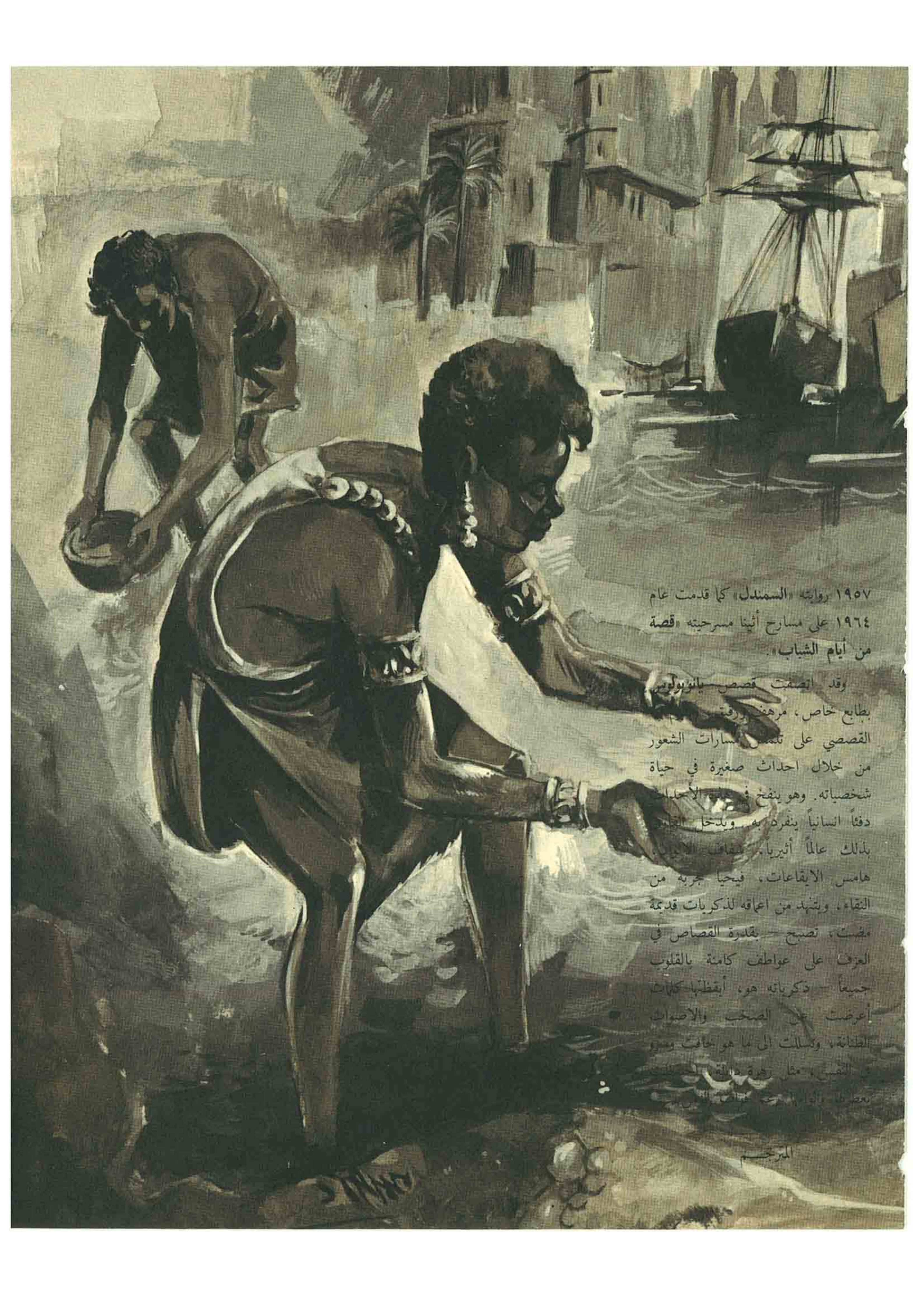


الكيفاديس باتوبولوس

[illegible]

ولد عام ١٨٩٦ في اثينا، ودرس بايطاليا في الفترة من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٢٤ أصدر عام ١٩٣٤ أولى مجموعاته القصصية بعنوان (رؤوس مرصوصة) وأتبعها عام ١٩٣٨ بمجموعته القصصية الثانية بعنوان المغامرة الطويلة، وفي عام ١٩٤٤ صدرت مجموعته الثالثة بعنوان أغانٍ تسكبها القرود، وقد ترجمنا منها قصة البحر، التي يلتقي بها القارئ على هذه الصفحات، وهذه هي المرة الأولى التي تعرف فيها أبناء اللغة العربية بعمل الأديب اليوناني **الكيفاديس باتوبولوس** الذي حصل على جائزة الدولة للقصة في اليونان عام ١٩٦٢ عن مجموعته القصصية الرائعة الدمية الحية.

[illegible]



١٩٥٧ روايته «**السمندل**» كما قدمت عام ١٩٦٤ على مسارح أثينا مسرحيته «**قصة من أيام الشباب**».

وقد اتصفت قصص يانوبولوس بطابع خاص، مرهف [illegible] القصصي على تلمس مسارات الشعور من خلال احداث صغيرة في حياة شخصياته. وهو ينفخ في [illegible] الأحداث دفئاً انسانياً ينفرد به، ويدخل القارئ بذلك عالماً أثيرياً [illegible] هامس الايقاعات، فيحيا تجربة من النقاء، ويتنهد من اعماقه لذكريات قديمة مضت، تصبح — بقدرة القصاص في العزف على عواطف كامنة بالقلوب جميعاً — ذكرياته هو، أيقظتها كلمات أعرضت عن الصخب والاصوات الطنانة، وتسللت الى ما هو خافت [illegible] في النفس، مثل زهرة [illegible] [illegible]

المترجم

كان منقوشاً على البساط المجلوب من اوروبا، في وسطه، ثلاث نخلات باسقات. وكان ساق النخلة الوسطى مستقيماً فارعاً وأطول من ساقي النخلتين الأخريين، اللتين تشكلان قوسين ينحنيان بدقة تامة وتناسق محكم، الأول ناحية اليمين والثاني ناحية اليسار. وينبثق من قمة كل نخلة سعف عريض مستو بديع التنسيق. كل ذلك مرسوم بالوان قوية: **خضراء، وصفراء، وبنفسجية**. ويصور المنظر صحراء تكسوها رمال وردية. على ان طرافة هذا المنظر كانت تتمثل في رجلين زنجيين. يقف اولهما وقفة جانبية الى جوار النخيل، عاري الجسم حتى الوسط. يتفجر اللون الأحمر من شفتيه وفتحتي أنفه، وحدقتا عينيه شديدتا البياض، اما الزنجي الثاني فيقف في المواجهة بعمامة بيضاء، وحزام مزركش. كان المشهد ينقصه حقاً رقعة فسيحة من السماء، او حتى خط يمثل الأفق. لكن السماء كانت تحجبها تلك الحلية عند الحافة. وما كان يمكن أن يعتبر افقاً ذلك الخط الضيق المرتفع باهت الزرقة.

كان الصغيران، **الولد واخته**، يقولان آنذاك عن ذلك الخط انه البحر. وقد مضت اليوم سنوات وسنوات وما عاد للبساط الطريف وجود. وقد كانت تبلى حوافه يوماً بعد يوم، وتتآكل ويعتريها القدم، فكان أهل البيت يقصّونها ويرفونها، ويبدلون مكانها في البيت مرة بعد الأخرى. وفي النهاية غمر النسيان ذلك البساط حتى قبل ان تضيع بقاياه الأخيرة. ومن ثم، ربما كانت اوصافه التفصيلية الآن غير مطابقة للواقع تماماً..

كانت الغرفة التي وضع بها البساط أول الأمر مخصصة للضيوف، فكان محظوراً دخولها على الولدين الصغيرين. واذا حدث ان تسللا اليها خلسة، سارا في حذر على اطراف اصابعهما. وعندما لم يكن في البيت زوار كانت نوافذ الغرفة تغلق وتتدلى عليها ستائر ثقيلة جميلة. وفي ساعات الاصيل تتسرب الى الغرف من خلال ثنايا الضلف الخشبية اشعة من الشمس تضيف الى البساط زخارف متحركة، عند سقوطها على المشهد الغريب على الأرض. على حوائط تلك الغرفة علقت الصور الكبيرة ذات الاطر الذهبية: **صورة الأب** بنظرته الصارمة المستغرقة في التفكير والتي لا تفارقه حتى في لحظات صفوه، **وصورة الام** بملامحها الوسيمة التي لا زالت تحتفظ بحلاوتها حتى اليوم، وصور الاجداد واحداً واحداً. ثم بعد ذلك، **كانت هناك صورة فتاة شابة تبتسم ابتسامة حزينة**.

عن تلك الصبية - **التي كانت جميلة حقاً** - لم يكن الصغيران يعرفان سوى انها سافرت ذات يوم. **(الى اين؟ لماذا؟)** وان اسمها «**خريسي**». لم يكونا قد رأياها قط، وما كان احد في البيت يتحدث عنها في حضورهما. بل ان ثمة شيئاً آخر كان يحدث ايضاً. ربما رجع الأمر الى زاوية الحائط حيث كانت توجد، أو ربما الى طبيعة عينيها.. فقد كانت ثمة لحظات - وعلى الأخص، عندما كان يخفت الضوء في الغروب - تتعلق فيها نظراتها بالبساط على الأرض.

وقد كان اول من لاحظ ذلك هو الأخت الصغيرة - كانت آنذاك في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمرها - وقد اخبرت بذلك اخاها الذي يكبرها بقليل قائلة:

-أرأيت، ياستيلو، كيف تنظر خريسي الى البحر؟

-ها هي، تطل الى حيث يوجد البحر، هناك.

ويلمع في عينيها المنبهرتين، وهي تنطق بكلمة البحر، يلمع حقاً الخط الضيق ذو اللون الازرق الباهت المرتسم على السجادة. ثم يتسع وينبسط على مساحة خيالية، مطفئاً تماماً حيز الغرفة المغلقة، ومنطلقاً الى ضياء سماء شفافة، الى عالم مجهول يغمره نور صاف.

عالم مجهول.. رؤيا عن سفن بيضاء، تكاد تتمايل، كما لو كانت مهوداً تهدهدها يد خفية، وقد رفرفت السكينة على تلك



المهود الوديعة. وغمر الارجاء احساس بالاتساق والتآلف، وبرصانة حلوة.

يقول ستيلو «**السفن تمضي الى مدن تشبه فيها العمائر قلاعاً، نوافذها فتحات مربعة لا حصر لها ولا عدد.**» ثم يردف قائلاً «**ولكن اليس للشطئان هناك وجود؟ تنتصب هناك اشجار النخيل، مثل تلك التي على البساط ويرتفع سعفها حتى تلمس اطرافه اديم السماء .. ثم هناك الشوارع .. خطوطها على الجانبين تجري، تجري كي تلتقي في ركن بعيداً، بعيداً، هناك: يجب ان تغمض عينيك حتى ترى كل ذلك**» ثم يمضي ستيلو فيقول مؤكداً: «**الناس في المدن ليس لديهم وقت لمثل هذه الأمور. ولا هم ايضاً يحلمون.**» وتسأل الأخت الصغيرة قائلة: «**حسناً، لكن أين تذهب الصبايا الجميلات مثل التصاوير، الباسمات في حزن؟...**»

ان خريسي حتى في الخيال مقصية. وهي، هنا، في البيت، غريبة. لهذا فهي خفيضة العينين تتشبث نظراتها بالبحر الازرق الساكن، المسجى على الأرض قبالتها..

هذا ما كان يحدث عندما تكون النوافذ موصدة. لكن الامر كان يختلف عندما كان يجيء زوار. كانت تزورهم على غرة السيدة فلانة، وهي صديقة حميمة للأم. تنتقي الضيفة مقعداً وتجلس. كانت المقاعد مثبتة في اماكنها التي لا تتغير. الأشياء كلها يسودها ذلك النظام الهندسي المقدّر أن يوجد في «**غرف الاستقبال**» وفي جانب من الغرفة، ليس في الوسط تماماً، المنضدة الصغيرة وهناك ايضاً المقاعد الأخرى، والكراسي الثلاثة الواطئة بلا مساند، والدولاب الزجاجي الذي يحتوي على الآنية المفضضة، وهناك الخزانتان المكشوفتان، كل منهما في ركن بالغرفة. وفي الاولى التحف المنمنمة والعلب الصغيرة وطرائف اخرى منوعة. اما في الخزانة الأخرى فتعرض المحارة الوردية الكبيرة «**أتسمعين البحر، يانينا؟**» (كان نينا اسم الأخت الصغيرة) واناء الزهر الأخضر القيّم وبه الزهور الصناعية وكأنها زهور حقيقية..

تقول السيدة فلانة مؤكدة:

-لن ابقى طويلاً، ياعزيزتي ايريني ...

فتجيب الأم محتجة:

-لم أرك منذ أمد طويل، ياامرأة! واني لا أخرج الا نادراً...

-ولمَ ذلك. بالله عليك؟ ليس هذا تصرفاً طيباً من جانبك..

فتقول الأم:

-سأخبرك .. سأخبرك ..

ثم تنادي الخادمة، وتقول لها:

-النافذة، ياماريكا

ولم يتسن قط لماريكا أن تفتح النافذة في الوقت المناسب. فقد كانت مشغولة البال للغاية. وتصيح فيها سيدتها:

-ماريكا! لا تنسي ان ترتدي ميدعتك البيضاء!

فتهرول الخادمة، وتجوس بين قطع الاثاث مسرعة. وما ان تلمس أناملها الستائر الثقيلة المسدلة، تقول الضيفة:

-لا داعي لذلك، ياايريني. ان الرؤية ميسورة بهذا الضوء ايضاً..

ولا يلبث ان يغمر الضوء الاشياء كلها دفعة واحدة. الستائر ناصعة البياض كالثلج، منشاة ومدلاة على النوافذ، نظيفة وغير مجعدة خطوط كوائها، مستقيمة، وتسري في النسيج اهتزازة خفيفة يكاد يكون الحديث المتبادل بين المرأتين مرحاً اول الأمر، ويدور حول موضوعات سارة. ولكن رويداً رويداً وكلما ازداد



تدفقاً واكتسى اهمية، انخفضت نبرات الصوت. وكان من الجلي عندئذ ان كل كلمة اصبح لها معنى تتفرد به.

يدخل «**الولدان**» الى «**غرفة الاستقبال**»

-تعالي هنا، يانينا، ياعصفورتي العزيزة! كم كبرت! .. بالهاتين العينين الجميلتين!..

كان الولدان يردان التحية بأدب.

-اعتن بدروسك، ياستيليو! .. ان اباكما وامكما يشقيان من اجلكما.

-اني اعتني بها، ياسيدتي!

ثم يعود الحديث في حذر وارتياب، وبكلمات متقطعة الى الموضوع الذي انفرط عقده:

-ولماذا .. ألم تكتبي بعد ذلك، ياايريني؟

تعاود الام كلامها بحزن قائلة:

-كلا ...

كانت بالطبع قصة مجهولة، ولكن الولدين كانا يشعران بأن ثمة ما يثقل قلوب أهل البيت، قلق ما، توجس ما، شيئ يكبل الافكار بالاغلال..

ومن وقت لآخر كانت السيدة تقاطع الأم قائلة:

-سبق ان قلت لك ذلك ياايريني، ياحبيبتي.

وترد الام قائلة:

-اجل، ولكن ...

ثم تنتهر الولدين بغضب مكبوت:

-نينا، ستيليو! لا تقفا هنا، اذهبا الى غرفة الطعام!

للأسرار حرمتها. على انه قد تصادف ذات يوم ان رأى الولدان مشهداً غير مألوف. وقفت الضيفة امام صورة خريستي، وكما لو كانت توجه الخطاب اليها، أومأت برأسها، كانت هذه الايماءة فريدة وغير متوقعة، حتى ان الولدين ظنا أن خريسي قد عادت، وان ذلك الوجه وجه فتاة حقيقية، تقف هناك بالقرب منهم، بنظراتها القلقة التي تبدو كأنها خائفة.

وقد جعل دبيب الحياة هذا في الصورة، وجود الفتاة بعد ذلك اكثر تجسماً في الغرفة الساكنة المغلقة.

ما عادت خريسي، كما كانت من قبل، شخصية من شخصيات الحواديت. صارت مرتبطة بالموجودات الأخرى المحيطة بها. واصبحت من الأسرة مثل الأجداد، الذين وان لم يكن أي من الولدين قد عرفهم، الا ان انتماءهم الى الحفيدين، وشدة الشبه بالاب، وشعورهما بالقربى جعلها ينظران اليهم على أنهم «**موجودون**» وليس الامر بحاجة في شأنهم الى أي «**تفكير**».

واذا بعاطفة جديدة تتولد كلما عادت خريسي تطل من حكايات من في البيت المتنوعة .. وذات مساء، وجد ستيليو في الغرفة الشهيرة اخته نينا جالسة على البساط الذي رسمت عليه اشجار النخيل .. فسألها:

-انت هنا. ماذا تفعلين؟

-لا شيئ

-تنامين؟

-كلا، اني انظر.

-في الظلمة؟ الى ما تنظرين؟

-لا شيئ.

ثم بعد برهة تردد قصيرة، تقول:

-هل صحيح انني اشبهها؟

-تشبهين من؟

-اشبه خريسي.

-انت؟! .. من قال ذلك؟

-ماريكا

-ماريكا بلهاء

ثم بعد برهة، باصرار:

-كما ان خريسي جميلة .. وليس ذلك فحسب. ان خريسي ما كانت تقبع في الظلمة مثل شبح تحلم بتوافه»...

بقيت تلك الصورة وقتاً قليلاً في مكانها. وعندما انتقلت الاسرة الى بيت آخر، لم تعد الصورة تتبوأ مكانها في غرفة الطعام **(ولم يعد ثمة غرفة استقبال)** ولم يصبح المكان يتسع لأي صورة من الصور السابقة، فقد كانت الشقة الجديدة أصغر، واكثر تواضعاً، وفي حي أقل صخباً. وهكذا، مع اشياء اخرى قديمة اختفت خريسي في مكان ما هناك.

وبعد ذلك بكثير، جاء دور البساط. في اول الأمر شطِرَ الى شطرين ثم قسّمَ الى ثلاثة اجزاء، واصبح الآن يؤدي خدمات يومية اكثر تواضعاً. بل انه رويداً رويداً نسيَ ما كان عليه من حال في سالف عهده.

وفضلاً عن ذلك، فانه مع مر السنين، وكلما غيرت الاشياء من مواضعها واستعمالاتها، كلما صارت اكثر بساطة وصراحة



ووضوحاً. لم تعد تكتسي بأي مسحة من الغرابة. كان وجودها مرهوناً فحسب باستخداماتها المألوفة. وصار هذا هو أمر البشر ايضاً.

واذا بخريسي تصبح شخصاً من الاقارب اللصيقين. كانت توجد في الطرف الآخر من الدنيا، سنين وسنين مضت عليها هناك الآن... كما كان ثمة مسألة تتعلق بميراث يخصها، تفاصيله مكدرة ومثيرة للاشجان...

ومع ذلك، فعلى الرغم من كل ما هو عادي ومألوف الى حد الغثاء، كانت تعود الى الذاكرة لحظات، لحظات مثل غزال رشيق يخطر بخطوات اثيرية، خيالات بعيدة من ايام الطفولة: اسفار في بحار لا وجود لها، تشبه ذلك البحر الأزرق الباهت، ذلك البحر الفسيح الساجي، على البساط الذي طواه النسيان. ومع تلك اللحظات يخيم سكون ضبابي، واحساس بحلم مريح تنتشي به الذاكرة.

في البحور الأخرى، البحور الحقيقية، السفن كتل تنساب في بطء بأشكالها المعروفة ناشرة قلاعاً وصواري، وأبراج مراقبة،



ومداخن وكوات مستديرة.

تقطر المراسي ماء أجاجاً. وليست السماء على الدوام صفحة ملساء صافية الزرقة. بل هي في بعض الأحيان جهمة غائمة، ووضاءة في بعض الأحيان الأخرى، وتتزين بين الفينة والفينة بأسمال ارجوانية وبنفسجية. ولكنها منذ الأزل تجاهد كي تجمع قدر امكانها غشاوة معتمة حول الأفق، تقف مثل سد يحتجز كل شيء هناك فلا يمكن اجتيازها ولا بالخيال...

وتصل المراكب – التي تبدو ناصعة البياض، من بعيد – الى الموانئ مثل طيور منزوعة الريش، وتبين بلا حياء عن عددها المرتبكة وحبالها واحمالها: كلها اشياء نافعة مألوفة وحافلة بما يثير الاهتمام.

أما بحر البساط، ذلك الخط الضيق المسحور، فقد كان وحده يطوي بين جنباته سعادة الدنيا بأسرها، بطلاوتها ونقائها المبرأ من كل شائبة. وكانت خريسي تطل عليه بنظرات ملؤها الاصرار وكانت تحلم خريسي في الايام الخوالي، تلك الفتاة الجميلة مثل التصاوير..

اين تذهب حقاً، ساعات الأصيل الماضيات ؟ آنذاك، لم يكن ثمة وجود للأحزان والمنغصات مثل خلافات الميراث. كانت **نينا** تنسج رؤى عن شواطئ تنمو فيها اشجار نخيل. وكان الولدان يرحلان مع **خريسي، في رحلات على اطراف الاقدام (حتى لا يحس بهم احد)** فوق ذلك البحر ذاته، الذي أودع (**اسمعي** ؟) هديره الذي لا ينتهي في المحارة الكبيرة الوردية.



شعر: محمد العيد الخطراوي

اذا ما أقْبَلَ الليلُ واخْفَتْني دياجيه
وراح ما أقْبَلَ مُنْتَحِراً يَئِنُّ على حواشيه
فلا لحنٌ ولا وتَرٌ يخفِّفُ ما أقاسيه
ولا نجمٌ ولا قمرٌ يبدِّدُ ظلمتي فيه
ذكرتكِ فانْتشتْ روحي وذابت في اغانيه

* * *

وحين يدب في الأُفُقِ شعاعُ البدرِ في وَمَقِ
يضمّ غلائلَ السَّحَرِ ويلثمُ جبهَةَ الغَسَقِ
ويفضحُ ما تخبِّئُه عيونُ الزهْرِ والورَقِ
فعُشُّ الزهْرِ في عَبَقٍ وعرُشُ النور في أَلَقِ
أشيمُ سناكِ مُنبعثاً فاحمد نعمَةَ الأَرَقِ

* * *

وعند مَشَارِفِ الفجْرِ وانسامُ الصَّبا تَسرِي
بانفاسِ الشَّذا الريَّا نِ موجاتٍ من العطر
وصوتُ البلبلِ الشادي على افنانِه الخُضْر
يُضمِّد بؤس ايامي ببلسم لحْنه العُذْري
ألوذُ بصوتك الحاني فيُخصِب بالمُنَى عمْري

* * *

وان شطَّتْ بىَ السبُلُ ومات بهُدْبِها الاملُ
كما ماتت محاورةٌ بصدر الغيب تعتملُ
وراحتْ في جوانبِها جراحُ اليأسِ تشتعلُ
واشواقي مُمَزَّقَــــةٌ تلوحُ كأنها طلَلُ
ذكرتُ هواك فالْتأمتْ جراحي وانتشى الاملُ

* * *

عرفتُ هواكِ في كبدي حنيناً مفرط اللَّددِ
كأن الروحَ مُذْ خُلِقَتْ رأتك بسالفِ الامدِ
فما فتئت يؤرِّقها بعادُكِ فَهْيَ في كمدِ
وتشقيها بواعثُـــــه فما تُلوي على احد
لئن اشقيتِني زمناً سأسعدُ فيك للابد



البيروني

أبو الريحان البيروني

عبقرية خالدة عبر العصور!

بقلم : حسني محمد بدوي

أستهل مقالي عن أبي الريحان البيروني بمقدمة موجزة عن فضل العرب والاسلام على العلوم والفكر، وعلى الثقافة الانسانية عموماً، وذلك من خلال بعض أقوال نخبة من مؤرخي العلوم وأساتذة فلسفة الحضارة..

وليس من المستطاع، في هذه العجالة، أن أتناول باستفاضة شخصية البيروني وسيرته أو كل مؤلفاته ورسائله ومخطوطاته المتعددة ذات العلوم المختلفة والموضوعات المتنوعة، لأن الإلمام التفصيلي بالتراث الثقافي للبيروني انما يستلزم الجهد الكبير والمجلدات الكثيرة .. وليس المجال هنا بمتسع .. فمن تتوق نفسه للبحث والدرس والتعمق والتمحيص، عليه أن يرجع الى ما يستطيع أن يصل اليه من مؤلفاته التي نذكرها في موضعها من مقالنا اليوم..

* * *

* **يقول «كاربنسكي»** : (KARPINPINSKI):

«إن الخدمات التي أداها العرب للعلوم غير مقدرة حقّ قدرها من المؤرخين وان البحوث الحديثة قد دلت على عظم دَيننا للعلماء المسلمين الذين نشروا نور العلم حينما كانت أوروبا غارقة في ظلمات القرون الوسطى - ولم يقتصر العرب على نقل علوم الاغريق، بل زادوا عليها، وقاموا باضافات هامة فيها».

* **ويقول «فرانز روزنتال»**(١) :

«إن أعظم نشاط فكري قام به العرب، يبدو جلياً في حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم، فانهم كانوا يبدون نشاطاً واجتهاداً عجيبين، حين يلاحظون ويمحصون، وحين يجمعون ويرتبون ما تعلّموه من التجربة او أخذوه من الرواية والتقليد، وكذلك فإن أسلوبهم في البحث أكثر ما يكون تأثيراً عندما يكون الأمر في نطاق الرواية والوصف .. وبصفتهم مفكرين ومبدعين فقد أتوا أعمالاً رائعة في حقلي الرياضيات

(١) FRANZ ROSENTHAL في كتابه: «مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي».

والفلك، وللسبب ذاته نجح العرب في باقي العلوم».

* **ويقول العالم «ليبري»**: (LIBERER)

«لولا العرب لتأخر عصر التجدد في أوروبا لمدة قرون. **فقد لمح العرب في كل الميادين العلمية**. وفي الوقت الذي كان فيه الشعراء والأدباء والفقهاء يقومون بأدوارهم في نهضة العرب الروحية والنفسية والخلقية. كان العلماء في كل الميادين يقومون بقسطهم في البحث والنقل والتجويد، ولم يتركوا باباً إلا وطرقوه، إن لم يكونوا قد فتحوا في العلم أبواباً جديدة».

* **أما «ديلاسي أوليري»[٢] فيقول**:

«لو أزيل العرب من التاريخ لتأخرت النهضة الأوروبية بضعة قرون، فقد علّمت الأمة العربية الغرب بعد أن أيقظته خمسة قرون أو ستة، وحتى أواخر القرن الثامن عشر كانت مؤلفات ابن سينا لا تزال تناقش في جامعة «مونبلييه» بجنوب فرنسا».

* **وقال «جوستاف لوبون»** (DR. G. LEBON) **في كتابه «حضارة العرب»**:

«كلما تعمق المرء في دراسة المدنية العربية تجلّت له أمور جديدة واتسعت أمامه الآفاق. وثبت له أن القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة إلا بواسطة العرب أصحاب الفضل في مدنية أوروبا».

* * *

* **ويقول الدكتور عبدالحليم منتصر**:

«ثالث ثلاثة إزدهت بهم الحضارة العربية في عصرهم، أولئك هم:

١ – ابن سينا.

٢ – وابن الهيثم.

٣ – والبيروني...».

من هو البيروني ؟

هو: أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني .. ولد في الثاني من ذي الحجة عام ٣٦٢ هجرية (الموافق ٤ سبتمبر عام ١٩٧٣ ميلادية) – وذلك في ضواحي مدينة «كات» دولة «خوارزم»، وهي المدينة التي تعرف الآن باسم «البيروني» – وتقع شمال مدينة «كييف» على نهر «أموداريا» بجمهورية «أوزبكستان».

ويقول البيروني عن نفسه: «أنا في الحقيقة لا أعرف نسبتي ولا أعرف من كان جدي» .. (وتتنازع كثير من الأمم في العالم على انتساب البيروني اليها، ومن هذه الأمم: **روسيا وتركيا وايران**، فيرى علماء روسيا أن البيروني يمثل القومية الأوزبكستانية – ولكن الحقيقة الثابتة أن **البيروني كان عربياً في لغته التي كتب بها مؤلفاته ورسائله .. كان عربياً في روحه وثقافته .. كان يدين بالولاء الى عروبته ولا يرضى أن ينسب إلا الى العرب** .. وهو الذي قال: «الهجو بالعربية أحب اليّ من المدح بالفارسية...»[٣] – وقد أخذت دائرة المعارف البريطانية أيضاً بنسبته العربية[٤].

وتنطق «البيروني» بكسر الباء وسكون الياء وضم الراء وبعدها الواو وفي آخرها النون – وهذه نسبة الى «خوارزم» وتعني بالفارسية «البراني» أو «خارج المدينة» – وذلك لاشتغال عائلة البيروني – فيما يقال على الأرجح – بالتجارة خارج المدينة.

ولكن «**ابن أبي أصيبعة**» **في** «**عيون الأنباء**» يقول ان البيروني منسوب الى (بيرون) وهي مدينة **بالسند**. وقد أخذ بهذه النسبة الأستاذ أحمد أمين[٥]. ويقول الاستاذ علي أحمد الشحات في كتابه عن البيروني:

«.. ولكن اتضح عدم صحة ذلك، إذ لم يكن أبو الريحان سنديا، وكذلك لا توجد مدينة في السند تعرف باسم (بيرون)!» وهذا الزعم الأخير غير صحيح، إذ عرفت مدينة باسم (البيرون) كانت تقع على مصب نهر السند!

وقد رحل البيروني عن موطنه وهو ما يزال شاباً يافعاً، وتوطدت علاقته **بابن سينا**، ودرس علوماً عديدة ولغات مختلفة، رحل الى **الهند** فحمل معه الحكمة والفلسفة الاسلامية، وفي الهند أحاط بكنوز العلم عند الهنود وتعرف على آدابهم وفلسفاتهم بعد أن درس **اللغة السنسكريتية** وأتقنها، كما درس عقائدهم وعاداتهم وعلومهم وضمّنها كتابه العظيم: «**تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**».

ويقول الاستاذ نفيس أحمد – الاستاذ بجامعة «كلكتا» بالهند:

---

(٢) D. O'LEARY – في كتابه: «فكر العرب ومكانته في التاريخ»: "ARABIC THOUGHT AND ITS PLACE IN HISTORY."

(٣) (أبو الريحان البيروني) للاستاذ علي أحمد الشحات.

(٤) دائرة المعارف البريطانية – المجلد الثالث (صفحة ٧١٠)

(٥) ظهر الاسلام – الجزء الأول.

«يعد البيروني أحد عظماء العالم في التاريخ، وهو يحتل مكانةً فريدة بين علماء المسلمين. إذ **هو عالم، مؤرخ، طبيعي، جيولوجي، فلكي، رياضي، كما درس التقاويم والطب ويتمتع البيروني بحاسة جغرافية حاذقة..**».

بل كان البيروني عالماً في اللغات، وله إلمام واسع بعلم الآثار القديمة والتاريخ الطبيعي لأجناس البشرية وعلم الأديان المقارن وعلم الأخلاق وعلم السلوك **ويمكن أن يعد من الفلاسفة**، كما بذل في آخر حياته عناية فائقة بعلم الأدوية وتاريخه وبعلم المعادن والجواهر، **وشارك في مجالات الأدب والشعر والفقه** .. وكان يتمتع بعقلية موسوعية فريدة، وقد وضعه علماء الغرب والشرق في مصاف أرقى العقليات العلمية في الوقت الحاضر! وهناك من قال من علماء الغرب المعاصرين: لو كان البيروني حياً اليوم لاستحق بجدارة جائزة (نوبل)!

مؤلفات البيروني

أما عن مؤلفاته، فقد أدرج البيروني بياناً بمعظمها في مخطوطه «**الفهرس**» ومن أهمها كتابه «**القانون المسعودي**»، وهو يعد أعظم موسوعة في علوم الفلك والجغرافيا والهندسة والرياضيات، وينتهج فيه المنهج النقدي الموضوعي...

وللبيروني عدة مخطوطات علمية منها مخطوط «**راشيكات الهند**» وكلمة (راشيك) معناها (موضع)، وكلمة (راش) معناها (برج) أي برج مراقبة النجوم والكواكب السماوية .. كما للبيروني كتاب بعنوان (**الرسائل المتفرقة في علم الهيئة**) – وقد قامت دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند بطبعه سنة ١٩٤٨ – أما كتابه (**الصيدلة في الطب**) فقد نشر في برلين عام ١٩٣٢ – ومن أهم كتب البيروني في علوم المعادن والبلورات والفلزات هو: «**الجماهر في معرفة الجواهر**»، وقد قام بتحقيق بعض فصوله المستشرق الالماني «**ادوارد سخاو**» (EDWARD SACHAU) ونشر في لندن عام ١٨٧٨، ثم طبع طبعة جديدة في لندن أيضا عام ١٩١٠، كما نشر في الهند.

ومن أول مؤلفات البيروني الكبرى، كتاب: «**الآثار الباقية في القرون الخالية**» – ويبحث في التقاويم، وترجم الى اللغة الانجليزية وطبع في لندن عام ١٧٨٩ – ونذكر فيما يلي بعض رسائله وكتبه الشهيرة:

«**التفهيم لأوائل صناعة التنجيم**» و«**جوامع الموجود لخواطر الهنود**» و«**تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن**» و«**الدستور في الفلك**» و«**كريّة السماء**» و«**امتحان الشمس**» و«**الارشاد في أحكام النجوم**» و«**في تحقيق منازل القمر**» و«**افراد المقال في أمر الظلال**» و«**التطبيق في تحقيق حركة الشمس**» و«**جدول الدقائق**» و«**جدول التقاويم**» و«**المسائل الهندسية**» و«**المسامرة في أخبار خوارزم**» – وغيرها من الرسائل والمخطوطات في الطب والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والظواهر الجوية والآلات العلمية والنيازك والشهب، وترجمات لهندسة (**اقليدس**) الى اللغة العربية – وفي قياس محيط الأرض، وما يسميه الغربيون بـ «قاعدة البيروني»، وله دراسات وأبحاث في عمر الأرض والبراكين والزلازل والتحولات الجيولوجية وفي تأثير رحلات العرب في لغات الشرق والغرب، وله ابتكارات في طرق وضع خرائط الأرض والسماء .. وقد قام البيروني بتصحيح جغرافية (**بطليموس**)! .. كما تعرض بالعرض والتحليل لنظرية (**تناسخ الأرواح**) عند الهنود في كتابه «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» .. وقد بلغت كتب البيروني ١٨٠ كتاباً، ضاع الكثير منها.

* **ونختم مقالنا بما قاله عنه المستشرق الألماني (شاخت)**:

«كان البيروني يتمتع بشجاعة فكرية فائقة. وكان مولعاً بالاطلاع العلمي أشد الولع، بعيداً عن الأوهام والتوهم، محباً للحقيقة، متسامحاً، مخلصاً لأبحاثه العلمية إخلاصاً نادراً..».

ومن المرجح أن البيروني قد توفي في ٣ رجب عام ٤٤٠ هجرية (الموافق ١٣ ديسمبر عام ١٠٤٨ ميلادية).

وقد احتفلت مؤتمرات عديدة في العالم الغربي بمناسبة مرور ألف عام على مولده فأصدرت أكاديميات العلوم السوفيتية والأوروبية والهندية مجلدات دراسية تذكارية اعترافاً بفضله على العلم والثقافة الانسانية، كما شاركت في ذلك هيئة «**اليونسكو**» فنشرت منذ سنوات عديدة دليلاً (ببليوجرافيا) للقيم الثقافية العربية، حوى بين دفتيه تعريفاً بالكثير من أعمال أبي الريحان البيروني – الخالدة عبر كل العصور..

فهل قام العالم العربي والاسلامي، بمثل ما فعل الغربيون من واجب التقدير وحباً في تراثنا العلمي وكنوزنا الثقافية ؟!

واذا كانت أصالتنا تنطوي على كل هذه الذخائر التي كانت نتاجا موسوعيا في عصر عربي اسلامي مجيد قد مضى وانقضى .. فانظر كيف، ولماذا أصاب التدهور عصرنا وثقافتنا اليوم ؟!

مسابقة مجلة

نتيجة مسابقة العدد السابع

* فاز بنصف الجائزة الاولى وقدره ٢٥٠٠ ريال سعودي (الاخ محمد عيد العباسي، دمشق ركن الدين جسر النحاس بواسطة الحلاق ابو سعيد محمد حسن ملي).
* كما فازت الاخت لؤلؤة صالح العلي (كلية الشريعة، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة) بالنصف الآخر من الجائزة الاولى وقدره ٢٥٠٠ ريال سعودي.
* ومن المملكة المغربية (١٦ درب المتر الطالعة الكبرى بفاس) فاز الاخ السلماني بوعيون محمد) بنصف الجائزة الثانية وقدره ١٥٠٠ ريال سعودي.
* ومن (الرياض بالعجيلية) فازت الاخت نورة عثمان التويجري بالنصف الآخر من الجائزة الثانية وقدره ١٥٠٠ ريال سعودي.
* وفاز الاخ حاتم احمد الجمل (بالتعلم الثانوي ميت خاقان بندر شبين الكوم - مصر) بنصف الجائزة الثالثة وقدره ١٠٠٠ ريال سعودي.
* كما فاز الاخ محمد صديق عالم (ص.ب ٣٢ الخرطوم، السودان) بالنصف الآخر من الجائزة الثالثة وقدره ١٠٠٠ ريال سعودي.
* وفاز الاخوة الآتية اسماؤهم باشتراك مجاني في المجلة لمدة سنة (١٢ عدداً) وهم:

١ عبد الكريم محمد هندي (الاردن، مدرسة وادي السير الاعدادية بوادي السير).

٢ احمد محمد الحاجي (سوريا، اللاذقية - شركة المرفأ دائرة المحاسبة).

٣ عبد الرحمن سيف السيف (الرياض، سوق الكماليات).

٤ محمد سالم شجاب (اليمن صنعاء، باب النهرين، دكان عبد الحفيظ عبد الرب).

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١- قيمة المسابقة عشرة الاف ريال سعودي .. موزعة على ثلاث جوائز على النحو التالي:
أ) الجائزة الاولى ٥٠٠٠ ريال
ب) الجائزة الثانية ٣٠٠٠ ريال
جـ) الجائزة الثالثة ٢٠٠٠ ريال

٢- المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الاسم ثلاثيا او رباعيا - ان امكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة الى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣- ترسل الاجابات على العنوان التالي:
(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل - ص.ب (٣) المسابقة)، مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج.

٤- أية اجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت اليها.

٥- ننصح بمتابعة اعداد المجلة لان أغلب اسئلة المسابقة سوف يجدها القارئ في ثنايا المواضيع المنشورة فيها.

٦- من حق القارئ ان يشترك باسمه في المسابقة الواحدة اكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

وهناك سبع جوائز اخرى قيمة كل جائزة اشتراك في المجلة لمدة عام.

الفيصل

السؤال الاول:

الاسطرلاب .. واحد من الاختراعات العربية .. ما هي استخداماته .. مع ذكر اسم المخترع؟

السؤال الثاني:

اذكر اسماء مؤلفي الكتب التالية:
فتوح الشام – تاريخ الشعوب الاسلامية – الجامع الصحيح – المصون في سر الهوى المكنون – زهر الآداب.

السؤال الثالث:

كان احد ابطال المسلمين .. قضى عمره محارباً في صفوف المسلمين باستثناء غزوة «احد» التي حارب خلالها في صفوف الكفار حين مات قال عنه عمر بن الخطاب «على مثل ابن سليمان تبكي البواكي» .. من هو؟

السؤال الرابع:

حضارتهم كانت عربية في لغتها .. آرامية في كتابتها .. سامية في ديانتها .. يونانية ورومانية في فنها وهندستها المعمارية .. من هم؟

السؤال الخامس:

متى نشأت المدن التالية:
حلب – الطائف – الجيزة – الرباط – غرناطة.

السؤال السادس:

ما هو الفرق بين القدح .. والكأس؟

السؤال السابع:

متى بدأ استخدام الحمام في البريد المنتظم؟

السؤال الثامن:

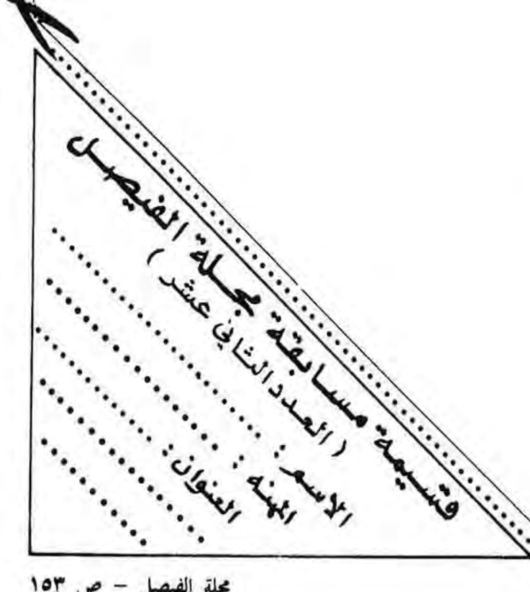
بحيرة قزوين – بحيرة فيكتوريا – بحيرة طبريا .. هل مياه هذه البحيرات عذبة أم مالحة؟

السؤال التاسع:

النخيل .. انواع عديدة .. اذكر خمسة انواع منها.

السؤال العاشر:

اول بئر نفط حفرت في العالم كانت في احدى الولايات الامريكية .. متى كان ذلك .. وما اسم تلك الولاية؟



أجوبة مسابقة العدد السابع

ج١ سوق الرابية: في حضرموت.
ذو المجاز: بالقرب من عرفات.
سوق مجنة: في مر الظهران قرب مكة المكرمة والمعروف اليوم بوادي فاطمة.
سوق المربد: على بعد ٣ أميال تقريباً الى الغرب من البصرة في العراق.
سوق عكاظ: جنوب شرقي مكة المكرمة يبعد عن الطائف بحوالي ١٥ كيلومتراً.

ج٢ هو زيد بن مهلهل بن يزيد الطائي كان يعرف في الجاهلية بزيد الخيل وفي الاسلام لقبه الرسول الكريم ﷺ بزيد الخير تشريفاً له وتخليداً لفضله ومروءته وحبه للخير.

ج٣ اسماء مؤلفي الكتب الآتية هم:
العين: الخليل بن احمد الفراهيدي
خزانة الادب: عبد القادر بن عمر البغدادي
احياء علوم الدين: ابو حامد محمد بن محمد الغزالي
الرد على الدهريين: جمال الدين الافغاني

ج٤ الهرمونات مواد عضوية تتدخل في كافة وظائف الجسم اذ تنظم النمو والبلوغ والتناسل والتمثيل الغذائي العضوي وغير العضوي ولها تأثير في العقل وتمكن الجسم من المحافظة على التركيب الكيميائي للدم والانسجة واغلب الهرمونات تفرزها الغدد الصماء.

ج٥ اول من دعا الى تدوين الحديث هو الخليفة الاموي (عمر بن عبد العزيز) رضي الله عنه.

ج٦ ابوه احد المبشرين بالجنة .. وامه ابنة احد الخلفاء الراشدين .. مات وهو صائم .. هو (عروة بن الزبير بن العوام).

ج٧ الفرق بين السخط والغضب هو ان الغضب يكون من الكبير على الصغير وبالعكس على حد سواء بينما لا يكون السخط الا من الكبراء والعظماء على من هم دونهم.

ج٨ «والله لضربة سيف في عز احب اليّ من ضربة سوط في ذل» عبارة قالتها اسماء بنت ابي بكر.

«لوكان بيني وبين الناس شعرة لما انقطعت، اذا شدوها ارخيتها واذا أرخوها شددتها» قالها الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان.

«امطري حيث شئت فسيأتيني خراجك» قالها الخليفة العباسي هارون الرشيد.

ج٩ الزمرد: اخضر اللون
الفيروز: يتراوح بين الرمادي الضارب الى الاخضرار والازرق السماوي.
الياقوت: مختلف الالوان واشهرها واحسنها اللون الاحمر.

ج١٠ الوان اعلام الدول الاسلامية الآتية هي:
الاموية: الابيض
العباسية: الاسود
العلوية: الاخضر





أحسن التقاسيم في معرفة الأقليم (كتاب):

لشمس الدين ابي عبد الله محمد احمد بن ابي بكر البناء الشامي المقدسي الحنفي المعروف **بالبشاري** المولود **بالقدس** ولا يعرف له ترجمة وافية يقول في مقدمته (لقد سميت بستة وثلاثين اسما دعيت وخوطبت بها مثل مقدسي – مصري – فلسطيني – عابد – سايح – زاهد .. الخ) وذلك لاختلاف البلدان التي حل بها وكثرة المواضيع التي دخلها. وكتابه يمتاز على حد قوله بثلاث ميزات : قسم دونه عن معاينة شخصية، وقسم سمعه من الثقات والثالث نقله من كتب مصنفة ولم يتكلم في كتابه الا عن **ممالك الاسلام** ولم يتعرض لممالك الكفر وقسم مملكة الاسلام الى اربعة عشر اقليما ستة عربية وثمانية عجمية.



البردة:

البردة هي بردة **النبي** ﷺ التي خلعها على الشاعر **كعب بن زهير** لما رجع الى النبي تائبا ومدحه بقصيدته المشهورة (**بانت سعاد فقلبي اليوم متبول**) وظلت البردة عند أهل كعب حتى **اشتراها معاوية** اثناء خلافته بأربعين الف درهم **وتوارثها الخلفاء الامويون والعباسيون**.



الترس:

الترس أو المجن آلة دفاعية قديمة كان يتّقي بها المقاتل نفسه من رميات الاعداء وضرباتهم سواء أكانت بالسهام أم بالرماح ام بالسيوف .. فلكل سلاح ترس يناسبه او يستعمل ضده، والترس كالدرع قديم عند كل الامم وكما أن السيف لا يفارق يمين المحارب كذلك الترس لا يفارق يساره عند القتال او ظهره عند حمله وقد استعمله **قدماء المصريين** وكذلك **اليونان والفرس والرومان**.



ثابت بن قطنة:

ثابت بن كعب بن جابر العتكي من **الأزد** من شجعان العرب واشرافهم في العصر **المرواني** يكنى ابا العلاء له شعر جيد شهد المواقع في **خراسان** (سنة ١٠٢ هـ) واصيبت عينه فجعل عليها قطنة فعرف بها.

ولما غزا **أشرس بن عبد الله** بلاد **سمرقند** وما وراء النهر كان ثابت معه ووجهه في خيل الى (**آمل**) لقتال من فيها من **الترك**. فقاتلهم وظفر – واستمرت وقائعه معهم الى أن قتلوه توفي في ١١٠ هـ (٨٢٨م).

جبل النبي شعيب :

هو أعلى جبل في **اليمن** وفي شبه الجزيرة العربية قاطبة بما في ذلك **لبنان** ويعرف ايضا بأسم «**جبل حضور**» وارتفاعه ٣٧٦٠م عن سطح البحر ولا تسقط عليه الثلوج الا نادرا لقربه من **خط الاستواء** (١٤ درجة شمال الكرة الارضية) **ويقع جبل النبي شعيب في أواسط اليمن غربي صنعاء**.

ح

الحجابة :

مصطلح يراد به حجب الخليفة عن الناس، ويشرف عليها الحاجب الذي يغلق باب الخليفة دون الناس او يفتحه لهم ثم تطورت وظيفته واصبح عمله تنظيم مقابلة المراجعين للخليفة وترتيبهم في الدخول عليه مراعيا في ذلك مركزهم الاجتماعي وأهمية اعمالهم. ولم يمنع **الخلفاء الراشدون** أحدا من مقابلتهم اما **معاوية** ومن جاء بعده فانهم اتخذوا الحجابة بعد **حرب الخوارج** خوفا على انفسهم وفي **عهد العباسيين** كانت مرتبة الحاجب دون مرتبة الوزير.



الخندق :

من وسائل الدفاع القديمة عند الفرس والروم، يحفرونه حول مدنهم وحصونهم للدفاع عنها من خلفه ولكن العرب لم يعرفوه الا عن الفرس واول من استعمله من العرب هو **الرسول (ص)** في **غزوة الأحزاب** واول من استخدم الخنادق في خلافة ابي بكر واكثر منها هو (**العلاء بن الحضرمي**) اثناء قتاله المرتدين **بالبحرين** ومن القادة الذين عرفوا بالتزام الخنادق في الميدان (**المهلّب بن ابي صفرة**) في حربه للخوارج. واستمر العمل بنظام الخنادق ايام الدولتين الاموية والعباسية كذلك حتى نهاية القرن الثاني.

د

دومة الجندل :

ويقال لها «**دوماء الجندل**» وهي بلد يقع في نقطة متوسطة **بين الشام والخليج والمدينة**. على منتصف الخط الواقع بين **العقبة والبصرة** تقريبا وسميت دومة الجندل لان حصنها مبني بالجندل وقريب منها جبلا طيئ وكانت بهذا الحصن **بنو كنانة** من كلب وكانت خربة فأعاد بناءها **اكيدر** صاحبها واخوته وهي التي تسمى حديثا **بالجوف في المملكة العربية السعودية** وكانت العرب في الجاهلية تنزل سوق دومة الجندل للبيع والشراء في غرة ربيع الاول.



ذو الحلم :

هو عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ العدواني – حكيم وخطيب ورئيس من الجاهليين كان امام مضر وحكمها وفارسها.

وممن حرم الخمر في الجاهلية، وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهما ولا بحكمه حكما. وهو احد المعمرين في الجاهلية **واول من قرعت له العصا**. وكان يقال له (**ذو الحلم**) وفيه قول الشاعر «**ان العصا قرعت لذي الحلم**».



رفيدة :

طبيبة متميزة بالجراحة اختارها الرسول ﷺ لتقوم بالعمل في خيمة متنقلة وقد روى مسلم عن **عائشة رضي الله عنها** أنها قالت :

أصيب **سعد بن معاذ** يوم **الخندق** رماه رجل من **قريش** .. ابن العرقة رمي في الاكحل، فأمر **الرسول** رفيدة ان تقيم خيمة في المسجد ليعوده من قريب.

وقال **ابن اسحق** : كان **الرسول** ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من اسلم يقال لها رفيدة في مسجده كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها في خدمة من كانت به ضبعة من المسلمين.



الزجل :

يمكن تعريف الزجل كما أورده «**ليفي بروفينسال**» بأنه قصيدة ذات قطع قد تقل وقد تكثر والقطعة تتألف من ثلاثة أبيات مصرعة فيما بينها وبيت رابع مصرع مع السمط والمركز والمطلع ينبئ عادة في موضوع القصيدة بوجه عام، والبحر المستعمل واحد في كل القصيدة ولا يشترط ان يكون من البحور العادية القديمة.

ويبدو انه من المتفق عليه نسبة هذا الفن الى **مقدم بن معافى** الذي عاش في اواخر القرن السادس عشر الهجري **بالاندلس** حيث كان هو الذي (تخيل بناء هذا القصيد الجديد وتخيل فوق ذلك اصطلاحات اجزائه.



سادية :

الساديون هم الاشخاص الذين يتلذذون في انزال الاذى بالغير وايلامهم وتسمى الحالة بالسادية SADISM وتطلق السادية في مجال الامراض العقلية على اصابة الشخص بحالة مرضية يشعر معها انه مضطر بصورة لا مبرر لها ولا يمكن السيطرة عليها لايذاء الاخرين بتلذذ.



شو :

برنارد شو (١٨٥٦ – ١٩٥٠) كاتب المسرحيات والروائي الناقد البريطاني المشهور ولد في «**دبلن**» ثم سكن **لندن** وهو في العشرين من عمره تقريبا – عمل ناقدا في **الادب والموسيقى** في صحف لندن. عرف بأسلوبه الساخر اللاذع. وعرف باعجابه بالرسامين الانطباعيين. بدأ يكتب المسرحيات من حوالي عام ١٨٩٢م ترك مؤلفات كثيرة جدا في ميادين الادب والفن والنقد اغلبها مسرحيات ومنها روايات ومقالات مختلفة وفاز **بجائزة نوبل** في الادب عام ١٩٢٥م.



صالح عليه السلام :

هو ابن عبيد بن جابر بن ثمود، **وثمود قبيلة من العرب العاربة** عمرت بلاد **عاد** وكانوا في سعة ورخاء من العيش ففسدوا في الارض وكانت مساكنهم **بالحجر** وهي المعروفة **بمدائن صالح بين الحجاز والشام** وكانوا يتخذون من الجبال بيوتا فمحض صالح لقومه وحذرهم بان لا يعيثون في الارض مفسدين فلم يستمعوا اليه .. اختلف الباحثون في مدفنه فقيل في **فلسطين** وقيل في **حضرموت** وقيل في **مكة**.



الضبعي :

عمرو بن خالد الضبعي، من بني ضبيعة ابن قيس، شاعر جاهلي اشتهر باشعاره يوم (**الوقيط**) وهو يوم لبكر بن وائل على **بني تميم** وهو القائل

ان الفوارس يوم ناجعة النقا

نعم الفوارس من بني سيار



طيء:

طيء بن أدد من بني يشجب من كهلان جد جاهلي، التسمية اليه طائي وقيل اسمه **جلهمة** وطيء لقبه كانت منازل بنيه في **اليمن** وانتقلوا الى جبلي **(اجأ وسلمى)** من بلاد **نجد** فكانت منازلهم من دون **فيد** الى اقصى اجأ الى **القريات** وكان اسم صنمهم في الجاهلية **(الفلس)** اقاموه بنجد قريبا من فيد وسدنته بنو بولان. ودخل الاندلس ايام الفتح كثير من طيء فكانت ديارهم فيها بسطة وتاجلة وغليار وارجع الاشرف الرسولي قبائل طيء الى اصلين: **جديلة والغوث** ومنهم الان بطون متفرقة في **شمالي الحجاز وباديتي العراق والشام**، ينضوي معظمها تحت اسم **(قبائل شمر)**.



ظلم الحية:

العرب تقول ليس شيء **أظلم من الحية**، لأن الحية لا تتخذ لنفسها بيتا وكل بيت قصدت نحوه هرب منه اهله وخلوه لها فدخلته، واثقة ان ذلك الساكن بين أمرين فاما اقام فصار طعاما لها، واما هرب فصار البيت لها، فأقامت فيه ساعة أو ليلة، وقال الراجز:

فأنت كالافعى التي لا تحتفر
ثم تجيء سائرة فتنجحر



عقبة بن نافع:

قائد عربي ولد عام ٦٢١م شهد **فتح مصر** وتولى الجيوش المحاربة **بأفريقية** وهو الواضع لاول حجر اسلامي بأفريقية بتأسيس **مدينة القيروان** ٦٧٠هـ وشيد جامعها الشهير والمعروف بأسمه.

عزله **معاوية** ٦٧٥م وعينه **يزيد** واليا على **المغرب** (٦٨١ - ٦٨٢م) وعقدصلحاً مع اهل **فزان** ووصل في فتوحه الى ساحل **المحيط الأطلنطي** قتل عام ٦٨٣م.

وهو يعتبر بحق احد القادة المسلمين الذين دفعهم وجدانهم الديني للجهاد والبلاء الحسن في سبيل الله وانتشار **الاسلام**.



الغنيمة:

هي ما يكسبه المسلمون في الحرب من الاعداء. وهي على اربعة اقسام اسرى وسبي واراض وأموال **فالاسرى** هم الرجال المقاتلون الذين يقعون في الاسر واختلف في حكمهم منها قبول الفدية عنهم او قتلهم او ان يمن الخليفة عليهم بالاطلاق اما **السبي** فهم النساء والاطفال الذين يقعون في الاسر فلا يجوز قتلهم والاموال فاربعة اخماسها للمقاتلين وخمس للرسول ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واخيرا **الاراضي**.



الفينيقيون:

شعب سامي الاصل من فرع **الكنعانيين** ظهروا في **لبنان** حوالي عام ٣٣٠٠ق.م. اشتهروا بالملاحة وعرفوا سواحل البحرين **الابيض المتوسط والاسود** وعبروا مضيق **جبل طارق** وصعدوا في **المحيط الاطلسي** حتى بلغوا الجزر الواقعة في جنوب **انجلترا** وطاف بعضهم حول **افريقيا** واسسوا المستعمرات العديدة في المراكز التجارية الهامة في **المغرب وافريقيا الشمالية وصقلية الجنوبية**، وكانوا صناعا مهرة في **الزجاج والنسيج الشفاف والصباغة** ولهم الفضل في **اختراع الكتابة الابجدية** التي كانت مصدرا لكل الكتابات الابجدية العالمية.



القيافة :

القيافة هي تتبع الاثر أيا كان قدما ام خفا ام حافرا وتعرف ضرورة هذا العلم القائم على التجربة والمران الطويل اذا عرفنا ان البدوي كان معرضا للغزاة دوما، وللضياع في الفلاة وللتقصير عن قومه. وقد ذكر في هذا المجال ما يعد من المستحيلات قالوا انهم **كانوا يميزون بين قدم الرجل والمرأة والبكر والثيب والشيخ والشاب والأعمى والبصير** واشتهر بالقيافة من العرب **بنو مدلج** من كنانة **وبنو لهب** من الأزد ولا يزال هذا العلم في البدو الى اليوم.

ك

الكيروسين :

هو من مستخرجات زيت البترول الخام بعد تقطيره – ويستعمل في المنازل للطبخ والاضاءة بكثرة. حيث لا يمكن الحصول على الغاز والكهرباء. كما يستخدم كوقود لبعض الالات كالجرارات الزراعية وقوارب الصيد ولكنه اقل من حيث احتوائه على المادة الطيارة ولذلك فهو ابسط في الاستعمال والتخزين.

ل

لاهاي :

تسمى باللغة الهولندية **(جرافين هاجي)** ويسكنها نحو ٦١٠٫٠٠٠ شخص وهي مقر الحكم الملكي، وليست لها أهمية في الصناعات الوطنية مثلها في ذلك مثل **واشنجتون وكانبرا**. اذ ان معظم النشاط التجاري والاقتصادي في **امستردام** ومع هذا نجد فيها الكثير من المصالح والمكاتب الادارية الرئيسية للصناعات الوطنية لتكون على اتصال مباشر بالحكومة. وفي لاهاي مقر **محكمة العدل الدولية**.



مروج الذهب ومعادن الجوهر(كتاب) :

لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الشافعي المؤرخ المشهور والمتوفى سنة ٣٤٦هـ نشأ في **بغداد** وجاء **مصر** وساح البلاد – فطاف **فارس وكرمان** حتى استقر في **اصطخر** ثم قصد **الهند والصين** – وكتابه تناول تاريخ الخليقة منذ بدئها حتى سنة ٣٣٥هـ واتى فيه على جميع نسبة اهل الانصار من جملة الاثارة ونقلة السير والاخبار وطبقات اهل العلم من عصر **الصحابة** ومن تلاهم من **التابعين** على اختلاف انواعهم وهذا الكتاب يلي في الاهمية كتاب الطبري **(تاريخ الامم والملوك)** وهما مرجعان اساسيان في تاريخ العصور الاسلامية الاولى.



النضر بن الحرث بن كلدة الثقفي :

هو **ابن خالة النبي** الامين وكان النضر قد سافر البلاد ايضا كأبيه واجتمع مع الافاضل والعلماء **بمكة** وغيرها وعاشر **الاحبار والكهنة** واشتغل وحصل من العلوم القديمة اشياء جليلة القدر واطلع على علوم **الفلسفة** واجزاء **الحكمة** وتعلم من ابيه ايضا ما كان يعلمه من **الطب** وغيره وكان النضر كثير الاذى والحسد للنبي ﷺ ويتكلم فيه بأشياء كثيرة كما يحط من قدره عند اهل مكة ويبطل ما اتى به بزعمه، ناصر قريش في غزوة بدر وقتل بعدها.



الهجرة:

هي انتقال الفرد من مسقط رأسه الى مكان بعيد ام قريب لفترة طويلة ام قصيرة تحت ضغط عوامل وحوافز ولغايات متنوعة. ويمكن اخضاع الهجرة الى ثلاثة عوامل هي: عوامل **اقتصادية وسياسية ودينية**. والهجرة ظاهرة اجتماعية – وتعليل الظواهر الاجتماعية يختلف عن تعليل الظواهر الطبيعية فالعوامل والاسباب تتفاعل وتتشابك في الظاهرة الاجتماعية وقلما يوجد ظاهرة اجتماعية ذات سبب واحد او عامل واحد بينما يحدث ذلك في الظواهر الطبيعية بمختلف انواعها.



الوزارة:

يقول الماوردي في (ادب الوزير) الوزارة اسمها مشتق من معناها وقد اختلف فيه على ثلاثة اوجه اولا **من الوِزْر** وهو الثقل لانه يحمل عن الملك اثقاله وثانيا من **الأزر** وهو الظهر لان الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر وثالثا من **الوَزَرْ** وهو الملجأ ومنه قوله تعالى: «**كلالاوزر**» اي لا ملجأ لأن الملك يلجأ الى رأيه ومعونته. وقد وردت كلمة وزير في موضعين من القرآن (**سورة طه – سورة الفرقان**) وفي صدر الاسلام كان **النبي** ﷺ يشاور اصحابه ويفاوضهم في مهماته العامة والخاصة ويخص **أبا بكر** بخصوصيات اخرى حتى كان العرب الذين خالطوا **الفرس والروم والاحباش** يسمون ابا بكر وزيره ويقول بعض المؤرخين **ان الوزارة ظهرت مع الخلافة** فكان **عمر** وزيرا لأبي بكر وكذلك **علي وعثمان** مع عمر **ومروان بن الحكم** مع عثمان.



اليرموك (نهر):

نهر اليرموك عبارة عن نهر صغير (**ينبع من مرتفعات حوران**) ثم ينساب في ممر ضيق متعرج وقد حفر في هضبة من الحجر الجيري مغطاة بطبقة من البازلت ثم هو يتصل **بنهر الاردن** على بعد **٥**ر٦ كم جنوبي بحيرة (**طبرية**) وهو قبل اتصاله بالاردن يدور على شكل نصف دائرة تقريبا وقد كان مسرح **معركة اليرموك** حول هذا النهر الذي سميت المعركة ذاتها باسمه وكانت قد جرت بين **المسلمين والروم** حيث تم فيها **النصر للمسلمين**.

كتب ورَدت للمجلة

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه ان يفتح امام القارئ آفاقاً أوسع وأرحبْ وأبعد مدى».

الخبز .. والصمت

مجموعة قصص قصيرة تأليف الأديب **محمد علوان احد الأدباء السعوديين الشبان** .. وتعتبر هذه المجموعة **باكورة** انتاجه الذي يبشر بميلاد قاص يخدم فنه بصدق وحماس .. كما تدل على أن **فن القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية حقق وجوده حداثة .. ومعاصرة.**

والمجموعة القصصية تعالج قضايا اجتماعية .. ونفسية .. قدم لها الكاتب المعروف يحيى حقي ومما قاله «انني واثق ان المؤلف سيحقق املي فيه .. فهو يثبت لنا في قصته (**الاتجاه شرقاً**) انه قادر على ان ينطق هذا الانسان الذي يحدثنا من خلال السطور بالايمان بالحياة والخير وقيمة الجهاد لنصرة الحق».

المجموعة اصدار «**دار المريخ للنشر**» السعودية .. تقع في ٨٨ صفحة من القطع المتوسط.

منشورات الدار السعودية للنشر

** «**دورنا في ترجمة الاحداث**» **تأليف السيد حسن كتبي** الكاتب السعودي **ووزير الحج والاوقاف سابقاً** عبارة عن مجموعة من البحوث التي تعالج مناحي مختلفة في الحياة كالتوجيه الاجتماعي والتربوي .. وقضايا السياسة والحكم .. يقع في ٢٢٣ صفحة من القطع المتوسط.

** «**دعوة الحق**» تأليف الاستاذ **عبدالله بوقس** الكاتب السعودي تناول فيه حياة **الشيخ محمد بن عبد الوهاب** .. وتطور دعوته منذ انطلاقتها الاولى من «**العيينة .. والدرعية**» ثم انتشارها في **داخل الجزيرة العربية وخارجها** يقع الكتاب في ١٥٧ صفحة من القطع المتوسط.

** «**الاسلام .. والمدنية الحديثة**» تأليف الشيخ **ابو الاعلى المودودي** الكاتب الاسلامي المعروف تناول فيه الاقانيم التي يقوم عليها نظام حياة المدنية الحديثة من الناحية العقائدية .. والاخلاقية .. والاقتصادية .. والسياسية .. والثقافية .. وحصرها في ثلاثة اقانيم هي «**العلمانية او اللادينية**» و«**القومية**» و«**الديمقراطية**» يقع الكتاب في ٥٢ صفحة من القطع المتوسط.

** «**المغامرة الاسرائيلية في افريقيا**» تأليف الاستاذ **كامل الشريف سفير الاردن السابق في نايجيريا** .. وهو عبارة عن ذكريات .. وتجارب .. ودراسات استمدها الكاتب من خلال رحلاته المتكررة الى الاقطار الافريقية. يقع الكتاب في ٢٤٥ صفحة من القطع المتوسط.

** «**حديث في السياسة السعودية**» تأليف **الدكتور عمر حليق** تناول فيه مجموعة من القضايا السياسية المختلفة التي تتصل بالمملكة العربية السعودية ابرز من خلالها مواقفها الثابتة التي لا تتغير .. والملتزمة بتعاليم الدين الاسلامي وتشريعاته السمحاء .. الكتاب يقع في ٣٢٤ صفحة من القطع المتوسط.

** «**منظمة الاوبك .. منهاج سليم للتضامن البترولي**» كتيب حاول مؤلفه الاستاذ **احمد محمد طاشكندي** احد الكتاب السعوديين **التعريف بمنظمة الاوبك من حيث نشأتها .. ونظامها العام .. ومطبوعاتها .. يتألف من ٥٢ صفحة من القطع الصغير.**

غناء الجرح

ديوان جديد للشاعر السعودي محمد العيد الخطراوي .. يحتوي على سبع وعشرين قصيدة تعكس تمكن الشاعر من لغته .. ويغلب عليها الحس الوطني .. والتأملي .. والفلسفي في شؤون الحياة والناس.

الديوان من «**منشورات نادي المدينة المنورة الادبي**» ..

ردود قصيرة

* **(المفتي) بركت الله، بومباي، الهند**
الرحلة الاستطلاعية الى **شبه القارة الهندية** جزء من مخططات المجلة وسوف نشعركم بموعد هذه الرحلة .. ونرحب بكل ما تودون المساهمة به بالكتابة للمجلة .. نشكر لك مشاعرك .. ومبادرتك .. ودعوتك الكريمة.

* **الاخ محمد علي البادي، الدوحة، قطر**
المجلة لا تألو جهداً في تقديم الجديد والمفيد اما طلبك الكتاب الذي اشرت اليه فهو غير متوفر لدينا.

* **الاخ كمال يوسف عبدالوهاب، القاهرة**
نشكرك على مشاعرك نحو المجلة ويمكنك الحصول عليها من قبل الموزع في مصر.

* **الاخ با بكر عمر محمد الطاهر، السودان، الخرطوم**
نشكرك على مشاعرك الطيبة تجاه المجلة واقتراحك جيد .. وسوف يؤخذ به مستقبلاً ان شاء الله.

* **الاخ عمر محمد محمد هريدي، المدمر، جرجاوية ج.م.ع**
اقتراحك احيل للجهة المختصة لدراسته، اما بخصوص طلبك خريطة جغرافية لمدينة الطائف فهذا لا يتوفر لدينا في الوقت الحاضر .. فأمل ان نحقق طلبك في المستقبل

* **الاخ أسعد خالد، الطائف**
بدأت المجلة بنشر أجوبة المسابقة اعتباراً من العدد التاسع .. وسوف ننشر مستقبلاً نتيجة كل مسابقة مع اجوبتها الصحيحة.

* **الاخ نبيل محمود البطريق، المدينة المنورة**
الخطأ الذي اشرت اليه كان خطأ مطبعياً لا غير فمن المعروف ان التلفيزيون الملون بدأ البث به في المملكة العربية السعودية في رمضان عام ١٣٩٦هـ.

* **الاخ اسماعيل محمد اسماعيل، السويس، ج.م.ع**
لك تحياتنا وشكرنا على عواطفك ومشاعرك النبيلة ونرحب بك صديقاً وأخاً وقارئاً لمجلة «الفيصل».

* **الاخ وشير محمد، المحمدية، المغرب**
شكراً لمساهمتك .. ولك تحياتنا.

* **الاخ محمد نجار، الحسكة، سوريا**
مشاعر القراء مصدر اعتزازنا .. كما انها مسؤولية تطالبنا بالمزيد من العمل .. والخدمة .. نسأل الله التوفيق.

* **الاخ عادل محمد غزالي، القصير، ج.م.ع**
طالع العدد التاسع وستجد فيه ما أشرت اليه.

* **الاخ محمد ابراهيم عبدالله، المدينة المنورة**
نشكر لك اهتمامك وحرصك على اقتناء المجلة، ويمكنك الاشتراك بمسابقة الاعداد القادمة مادامت المسابقة التي اشرت اليها قد فاتتك بسبب ظروفك .. كما تستطيع الاشتراك في كل المسابقات .. ولك تمنياتنا بالنجاح والتوفيق.

* **الاخ عبدالحميد الخانكان، حمص، سوريا**
طلبك نشر الاجابة على اسئلة المسابقة حققناه اعتباراً من العدد التاسع بناء على رغبة العديد من القراء .. تحياتنا.

* **الاخ خالد جميل الزايد، الميادين، سوريا**
ما أشرت اليه في دائرة المعارف في العدد الرابع كان خطأ مطبعياً - لا غير، نشكر لك اهتمامك.

الاخت لوله محمد الطريري، الهفوف، السعودية
مجلة «الفيصل» تشكرك على مشاعرك الصادقة وتأمل القائمون عليها ان يوفقهم الله للقيام بمسؤولياتهم على الوجه المطلوب .. ومنه نستمد التوفيق.

* **الاخ عبدالرحمن فهد، حلب، سوريا**
نشكر لك مشاعرك .. وملاحظتك جيدة الا ان تصوير المركز الاسلامي في لندن تم قبل ان يبدأ نشاطه .. اما ملاحظتك الأخرى على الصفحة ١٠٢-١٠٣ فنحن مع تقديرنا لغيرتك الا ان الأمر لا يبدو كما جاء في رسالتك .. ومع ذلك لا يسعنا الا احترام هذه الملاحظة .. ولك تحياتنا.

* **الاخ أ.ع.ع.ع.، الرياض، مدرسة اليمامة الثانوية**
تأكد ان المجلة تحرص كل الحرص على كل ما يفيد القارئ .. ويثري عقله .. ووجدانه .. وهي ترحب بكل الاقلام الجيدة .. والأدب المفيد .. والثقافة النافعة .. لك تحياتنا .. وتقديرنا لمشاعرك.

* **الاخ المهندس الزراعي محمد نذير زرنهجى، جامعة حلب**
نشكرك على كتابك المرسل ونأمل ان نكون عند حسن ظن كل الأخوة القراء وقد اشرنا اليه في باب «كتب وردت الى المجلة» ونحن نرحب بأية مساهمة جيدة في أي حقل من حقول العلوم والمعارف الانسانية.